قاسم سلطان

حديث الورق

حديث الورق

قاسم سلطان

حديث الورق

حديث الورق

قاسم سلطان

Sultan654@hotmail.com

الطبعة الأولى
مارس 2009

الاخراج الفني:
عبد الحميد الدبار

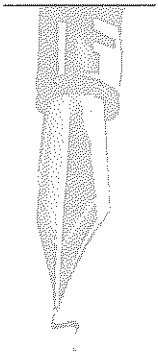

أوراق محلية

محمد بن راشد.. المبادرة والقرار

يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل والقدرة على الفعل والتفاعل والإبداع، ولا تكتمل هذه المقومات وتنمو في الإنسان إلا بالتعليم، فالتعليم أساس نهضة الأمم وتقدم الشعوب، وبالعلم تحدى الإنسان المستحيل. فاكتشف واخترع، ووصل إلى القمر، واستخدمت الدول المتقدمة أدوات التقدم العلمي والمعرفي للارتقاء بشعوبها ورفع مستواها المعيشي والاجتماعي، لأن نهضة الدول لا تقاس بمراتبها العلمية، ونسبة المتعلمين فيها الذين يساهمون في رفع مكانة أوطانهم، وتأخر الدول يقاس بنسبة الجهل والأمية فيها.

يقول الشاعر:

العلم يبني بيتاً لا عماد له

والجهل يهدم بيت العز والشرف

والدول المتقدمة لا تقاس نهضتها بعلمها فحسب، إنما بمساحة الحرية المسموحة فيها، فالعلم لا يكتمل دون حرية، لأن القيود تخنقه وتحد من فائدته، بينما يحرره احترام الرأي والرأي الآخر، وحرية التعبير، وبهما يرفع من شأن دول ويحتذى بها ويتغني بمكانتها.

هذه المقدمة كان لابد منها قبل الدخول إلى موضوعنا الذي كان محور حديث المجالس ومنابر الإعلام داخل الدولة وهو ينقسم إلى

موضوعين، الموضوع الأول: هو مبادرة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي التي أطلق عليها حملة «دبي العطاء» لدعم التعليم في الدول الفقيرة، خاصة في قارتي آسيا وإفريقيا.

هذه المبادرة جاءت لتؤكد على مواقف دولة الإمارات العربية الإنسانية اللامحدودة لخدمة الإنسان، بالرغم من أن هناك دولا كبرى أغنى وأقوى وأكثر قدرة وإمكانية على القيام بمثل هذه المبادرات، وهي دول تدعي الإنسانية، ولا تفوت مناسبة إلا وتطالب فيها بحقوق الإنسان وتدافع عنها.

وتعطي دروساً فيها، لكنها تقف موقف المتجاهل واللامبالي تجاه النهوض بالدول المتخلفة وبقضايا التعليم فيها، لأن ذلك لا يخدم مصلحتها، بينما تقف موقف المحرر الذي يهب لإغاثة الشعوب المستضعفة عندما يتعلق الأمر بالسيطرة على ثرواتها، لأن ذلك يخدم أطماعها.

فبعيداً عن الأنانية والمصلحة الذاتية، وبإرادته وحبه للإنسانية أطلق سموه هذه المبادرة الخيرة لتكون تكملة للمبادرة السابقة التي أطلقها سموه في الأردن بتخصيص عشرة مليارات دولار لدعم التنمية العلمية العربية، وبهاتين المبادرتين يرفع اسم دولة الإمارات العربية المتحدة على الخريطة العالمية هذه المرة بعطائها واهتمامها الإنساني بالقضاء على الجهل والتخلف في الدول المتعطشة للتعليم والتي لم تجد من يمد إليها يد المساعدة في هذا المجال فما أحوجها لمثل هذه المبادرة الكريمة في هذا العصر.

أما الموضوع الثاني فكان قرار سموه بمنع سجن الصحافيين بسبب أداء واجبهم وعملهم المكلفين به، و هذا دعم لكل صاحب قلم ورأي صادق ونزيه، وتقدير من سموه لدور الإعلام والصحافة، في الوقت الذي يمر فيه الصحافيون والإعلاميون في الدول العربية بمرحلة يغلب عليها التهديد وتقييد الحريات بشتى الوسائل وغالباً ما يتعرضون للاعتداء والاضطهاد أو السجن والنفي نتيجة رأي حق يعبرون فيه عن معاناة الناس وينتقدون المتسببين فيها، أو لمجرد كتابتهم لخبر عادي وطبيعي.

بقرار سموه الحكيم هذا، توفر الدولة للصحافيين وأصحاب الرأي بيئة سليمة ومناخاً ملائماً للاجتهاد والعطاء بحرية، والقرار في وجهة نظري لا يعني أن الإعلاميين فوق بقية الناس، ولا يجب محاسبتهم إذا ارتكبوا تجاوزات أو إساءات مقصودة.

بل هو مسؤولية على عاتقهم، فبعد هذا التقدير لهم من أعلى سلطة، عليهم تسخير أقلامهم لطرح قضايا وهموم وطنهم بجرأة ومصداقية بهدف معالجتها أو إيجاد حلول لها، فالإعلام كما هو معروف هو السلطة الرابعة وبذلك للإعلاميين دور مهم في بناء أوطانهم، فعلى من يكتب خبراً أو يبدي رأياً أن يتخطى دوره في نقل الخبر وطرحه، بل يجب أن يكون قلمه بناءً وموضوعياً لرفع الظلم وإظهار الحق، والشعور بمآسي الناس والسعي إلى معالجتها.

إن المبادرة والقرار تزامنا معاً، وجاءا ليعبرا عن مدى بعد نظر صاحبهما، وإيمانه العميق بقضايا الإنسان، فالمبادرة تعطي لكل إنسان الحق في تملك أدوات العلم والمعرفة والابتكار والإبداع، أما

القرار فيمكنه من استخدام هذه الأدوات بحرية ومسؤولية، مما يعني أن المبادرة والقرار مرتبطان ببعضهما البعض لمصلحة الإنسان ولخدمة الإنسانية.

إن دولة الإمارات بهذه الخطوات الايجابية تتخطى الحدود لتلحق بركب الدول المتقدمة والمتحضرة، في عصر لا يعترف فيه إلا بالعلم والمعرفة وحرية التعبير، وحق المشاركة للجميع، لينعم الإنسان بالرفاهية في قرن العولمة لا قرن الظولمة، كما تريده الدول القوية التي تدعي الحرية. فالعولمة شأن الجميع، ومن حق الجميع التمتع بنتائجها الإيجابية لا المعاناة في ظلمها.

مبادرة لامتلاك العلم وتنمية المعرفة

قال لي أحد الأخوة المقيمين في ألمانيا بأن الصحف الألمانية أشادت بمبادرة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم بتخصيص عشرة مليارات دولار لدعم التنمية العلمية العربية، لكن هناك صحيفة كتبت تعليقاً ظريفاً طالبت فيه نائب رئيس الدولة، مناشدة الحكومات العربية بتحرير عقول شعوبها من القيود.

واستكمل الصديق قائلاً لكني أعتقد أن عقول الحكومات نفسها غير محررة وإلا أين الرؤساء العرب والحكومات العربية وأين جامعة الدول العربية من هذه المبادرة؟ ألا تستحق اهتماماً أكبر خاصة وهي الأولى من نوعها أم أن تعليقاتهم وتصريحاتهم اقتصرت على الكلام عن الصراعات والنزاعات التي أحبطت الشعوب العربية وتكاد تمزقها والظاهر أنه لا حل لها.

وكأي مواطن عربي أسعدته هذه المبادرة وبعثت في نفسه الأمل بغد أفضل، قد يغير الواقع العربي ويضعه على الطريق الصحيح والذي يجب أن يبدأ بالتسلح بالعلم والمعرفة اللذين يعدان أكبر قوة لمواجهة أي خطر أو عدوان. حاولت بشتى الوسائل الاستدلال عن مركز عربي مختص بالبحوث العلمية والمعرفية فلم أجده في أية دولة عربية .

وإن كانت دولة قريبة منا كالهند وأخرى مزروعة بالغصب بيننا ومفروضة علينا كإسرائيل والتي حجمها لا يتعدى حجم أصغر دولة عربية. لديها أكثر من مركز للبحوث في مجال العلوم والتكنولوجيا ومع

الأسف لم أخرج من الدول العربية إلا بمراكز اجتماعية وثقافية أو ما يسمى بالمراكز العلمية التابعة لبعض الجامعات.

لذا جاءت المبادرة في وقتها وفي محلها، لأن العرب في هذا المجال كما في كثير من المجالات ما زالوا يعيشون خارج منظومة القرن الواحد والعشرين وهذه المبادرة قد تكون فرصة تبدأ فيها الشعوب العربية بالتحرك والتفاعل مع هذا القرن، قرن التقدم العلمي والمعرفي.

فلا تكفي الخطوات الإيجابية والتفاعل الحاصل في هذا المجال في دولة الإمارات وبعض الدول الخليجية، فالإمكانيات السكانية لهذه الدول ربما لا تساعدها على تبني نهضة علمية وثورة تكنولوجية عربية وحدها. وفي رأيي أن هذه المبادرة الكريمة بمجرد إعلانها قد وضعت حجر الأساس واللبنة الأولى للعمل والتعاون من أجل خدمة الإنسان العربي وتنميته فقوة العلم والمعرفة هي التي سوف تأخذنا إلى مصاف الدول الكبرى ومواجهتها.

لأن كثرة الجامعات ومجانية التعليم لوحدها وارتفاع عدد الخريجين الذي تتباهى به بعض الدول العربية لم يثرها أو يحسن من وضعها، بل أنه كشف في حقيقته عن وضع علمي معرفي عربي متردٍ مع ارتفاع نسبة البطالة بين الخريجين والجامعيين، الذين يضطرون إلى القبول بأية وظيفة لا علاقة لها بشهاداتهم، مع أن المواطن العربي ليس أقل كفاءة أو ذكاءً من المواطن الغربي الذي تؤهله الجامعات في بلده للحصول على أعلى المراكز وتمنح له شهادته الجامعية أو الأكاديمية الفرصة للعمل في أي مكان في العالم.

وترشحه الأكاديميات العلمية في وطنه لنيل أعلى الجوائز. أما عندنا

حتى وإن حصل ورشح مواطن عربي لنيل جائزة علمية فغالباً ما يكون قد حصل تعليمه في الخارج أو أصبح مواطناً أجنبياً من أصل عربي. لذا على الدول العربية التكاتف والتعاون للاستفادة من هذه المبادرة، التي لم ولن تتكرر. فماذا ينقصهم لدعمها مادياً ومعنوياً، أم أنهم أدوا ما عليهم واطمأنوا وأوصلوا شعوبهم إلى الصدارة!

من المعروف أن مراكز البحوث العلمية والتقنية في العالم مدعومة من الحكومات، ويشارك في دعمها كذلك رجال الأعمال والاقتصاد وأصحاب الرؤى والاستراتيجيات. ولقد زرت عدداً من المراكز في أوروبا وآسيا خلال فترة عملي الحكومي وكان ابرزها زيارتي لمدينة كنساي للعلوم بمدينة اوساكا اليابانية وهي مدينة متكاملة في هذا المجال، حيث تضم مراكز تعمل في بحوث علمية متطورة ومختلفة كنت قد أشرت اليها في احدى المقالات في جريدة «البيان» تحت عنوان:

«اليابانيون كيف كانوا وأين أصبحوا» فتفوق اليابان في المجال العلمي والتكنولوجي هو الذي جعلها في المقدمة كذلك زرت مركز ومعرض اي بي ام في زيوريخ بسويسرا والذي تعرض فيه أحدث الابتكارات في مجال التقنية والصناعة التكنولوجية المفيدة للبشرية مستقبلا، وقد كتبت عن نماذج لبعض الأجهزة شاهدتها حينها، وبدأت تغزو أسواقنا هذه الأيام.

ومن خلال بحثي في مواقع مختلفة على صفحات الانترنت تبين لي أن عدد مراكز البحث العلمي والتقني في الهند مثلا لايقل عن أي بلد متقدم ولاشك أن هذا ما صنف الهند ضمن الدول الكبرى.

وفي اسرائيل تشير مواقع مختلفة إلى وجود أكثر من مركز للدراسات

التقنية والبحوث العلمية والبيولوجية إضافة إلى ما يتم تسريبه عن تطويرها الدائم في المجال النووي وما خفي أعظم! لذا على الدول العربية أن تغتنم هذه الفرصة وتشارك كل دولة حسب امكانياتها مشاركة فعالة في هذه المبادرة، فبالعلم والمعرفة وبروح الابداع والتميز ننهض ونسترجع كرامتنا وإرادتنا، لأننا أضعنا كل شيء بالخضوع والخنوع والامتثال وتقليد ما لا يناسبنا، وفي أشجع مواقفنا حاولنا الحفاظ على ماء الوجه بالادانة والاستنكار!

واختتم الموضوع برسالة كان قد بعثها جورج الثاني ملك انجلترا إلى خليفة المسلمين في الاندلس هشام الثالث يقول فيها: سمعت عن الرقي العظيم الذي تتمتع به معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل، لذا ألتمس منكم إرسال بعثة برئاسة ابنة شقيقنا ومجموعة من بنات اشراف الانجليز لاقتباس العلم عندكم. والغريب أنه وقع في نهاية الرسالة: من خادمكم المطيع جورج ملك انجلترا.

فرد عليه خليفة المسلمين في الأندلس هشام الثالث: وافقت على طلبكم بعد أن استشرت من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن، وسوف ننفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين. بالعلم والمعرفة كان لنا شأن، وكان الجميع يتودد لنا للاقتباس والاستفادة، فهل نستطيع إعادة أمجادنا ومكانتنا؟ لم لا، قد تكون هذه المبادرة خطوة لتهيئة جيل قادر على تحدي الأقوياء ومواجهتهم، وقد يصبح نداً لهم.

«دبي العطاء» قدوة للآخرين

عبر رسائل إلكترونية تلقيتها تعليقا على ما كتبته تحت عنوان «محمد بن راشد المبادرة والقرار»: إن أكبر دليل على عظمة الإسلام هو مشاركة المسلم أخاه المسلم في الضراء قبل السراء.

وتؤكد ذلك أركان الإسلام الخمسة التي جاءت فيها الزكاة بعد الصلاة وقبل الصيام لأهميتها، ولو قام أغنياء المسلمين في جميع أنحاء العالم كما يقول القارئ بدفع زكاتهم لما كان هناك مسلم فقير. ورسالة أخرى تقول إن دخل المسلمين الأفراد يصل إلى مليارات الدولارات سنوياً ولو دفعت نسبة الزكاة منها، لحصل الفقراء على أبسط مقومات الحياة، وعمرت الأراضي بمساكنهم وشيدت المدارس لتعليم أطفالهم وبنيت المصانع لإيجاد عمل ودخل ورزق لهم، وبدورهم بعد فترة ولأنهم يشعرون أكثر بما يشعر به الفقراء والمساكين قد يستطيعون المشاركة ودفع الزكاة.

أما الرسالة الثالثة فيثني صاحبها على مبادرة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، ويصفها بالمميزة لأنها تدعم التعليم وبذلك قد تقضي على الجهل قبل أن يتمكن في عقول هؤلاء الصغار المتعطشين للعلم،

لأن الجهل هو سبب كل الآفات الاجتماعية، ويقول في نهاية رسالته إنه كان يتمنى لو كانت المبادرة أوسع لتشمل دولة الإمارات كلها

وكانت المشاركة فيها أقوى وفي جميع أنحاء الدولة وهذا لا يعني كما يقول أن أبناء الدولة وكذلك العرب والمسلمون وجميع المقيمين على أرضها لا يستطيعون المشاركة، بل كلما توسعت استفادت منها نسبة أكبر، كما تمنى أن تخصص نسبة من المال لأبناء الفقراء في الوطن والدول المجاورة، فالأقربون أولى بالمعروف.

كانت هذه بعض الرسائل التي تلقيتها حول موضوع المبادرة، إذ أن البعد الإنساني الذي أطلقت من أجله ألهم الجميع بالمشاركة ولو بالرأي، فما دامت تخدم الإنسان فهي بلا شك هدف كل محب للخير، الذي هو رسالة كل الديانات وعلى رأسها الإسلام،

فالمسلمون الأوائل كان لهم دور بارز في فعل الخير ونشر ثقافة العطاء والمشاركة، لأن من مبادئ الإسلام وقيمه أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه، وبسبب هذه القيم دخل الكثير من شعوب العالم في الإسلام،

لكن مع الأسف تلاشت هذه المبادئ وسط عالم مادي يكاد مع مرور الزمن يخلو من كل القيم الإنسانية والحمد لله أن مثل هذه المبادرات تحيي الأمل عند كل من يسعى إلى العلم والمعرفة، ليحس بإنسانيته ويطمح للأحسن له ولمجتمعه.

لكن في رأيي أن هذا لن يتحقق إلا إذا تكاتفت جهود أغنياء المسلمين وعلماء الدين الذين اقتصر دور بعضهم على الدعوة للمساعدة ومد يد العون للفقراء دون التحرك، وهذا ليس تقليلا من دورهم، لكن نتمنى منهم أن يقوموا بأكثر من ذلك كما يفعل آلاف من الرهبان والمبشرين المسيحيين المنتشرين في العالم لمساعدة الفقراء ولهم الفضل في

انتشار المسيحية في البلدان الفقيرة،

أما الأغنياء في الغرب فلهم دور بارز، ولا يفكرون في مساعدة الفقراء حسب دياناتهم، فجمعياتهم المنتشرة في أنحاء العالم لا تستثني أحداً وهم بلا شك تفوقوا على أثرياء المسلمين في العصر الحالي، لذا لابد من تقدير ما يقومون به وشكرهم عليه لأنهم يفكرون في غيرهم من الذين يفتقدون إلى ابسط مقومات الحياة، ويسخرون امكانياتهم لتحقيق غاية نبيلة،

ألا وهي تخفيف معاناة الآخرين، بل يتفاعلون معها ويسعون لهم أينما كانوا لمساعدتهم، فهم بذلك يجسدون أبسط معاني الإنسانية وهذا ما فعله بيل جيتس صاحب مايكروسوفت حين أعلن أنه لن يترك لأبنائه الثلاثة سوى 5٪ من ثروته التي تقدر بحوالي 46 مليار دولار،

وبذلك يحصل أبناؤه البالغ عمرهم الآن 11 و8 و5 سنوات بعد عمر طويل على حوالي 3. 2 مليار دولار، لأنه يعتقد ان هذا المبلغ أكثر من كاف ليبدأوا به حياتهم. أما باقي ثروته فسوف يذهب إلى مؤسسة بيل وملينذا زوجته لمحاربة الفقر في العالم، هذه المؤسسة التي تعد الآن أكبر مؤسسة إنسانية خيرية في العالم.

وكذلك فعلت (انيتا روديك) مؤسسة البودي شوب، حيث آلت ثروتها التي تقدر بحوالي 70 مليون جنيه استرليني بعد وفاتها منذ حوالي شهرين إلى مؤسسة خيرية للدفاع عن حقوق الإنسان وحماية البيئة، حيث كانت قد صرحت أكثر من مرة قبل وفاتها أن ابنتيها ليستا في حاجة إلى كل هذه الثروة فلكل منهما حياتها وأنشطتها الخاصة، ولن تترك لهما غير بيوتها. ووافقتاها ابنتاها في حياتها،

واحترمتا قرارها بعد وفاتها. حسب ما نشر في بعض الصحف الغربية. هذا قليل مما يفعله مثل هؤلاء الذين يقدرون قيمة الحياة الكريمة لهم ولغيرهم، ولا يقفون موقف المتفرج أو اللامبالي تجاه معاناة الآخرين ويعتبرون أن ما يقدمونه من أعمال جليلة للإنسانية رسالة يجتهدون لتحقيقها بإخلاص.

نتمنى أن يصبح عمل الخير عند كل فرد هدفاً سامياً وغاية يتذكرها ولو مرة في السنة من أجل الشعور بالآخرين، ونشر المحبة بيننا فبتكاتف الجهود وتقدير مسؤولياتنا تجاه الآخرين نرتقي ونتقدم. وحتى لا يأتي يوم تضاف فيه إلى لائحة الاتهامات للعرب والمسلمين «الأنانية والتقصير» ليتذرع بهما الغرب لمهاجمتنا، أو فرض عقوبات علينا .

التعليم والمسؤوليات الكبيرة

في خطوة مباركة اختار صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي مجموعة غير تقليدية من ذوي الكفاءات لتشكيل الوزارة الجديدة.

وقد اطلق عليها أحد الأصدقاء وزارة التكنوقراط، مع انه في اعتقادي ان جميع وزاراتنا منذ ميلاد الدولة كانت من التكنوقراط، لأن هذا المسمى عندما يطلق على وزارات في دول أخرى فهذا يعني انها لا تضم سياسيين أو منتمين للأحزاب وهذا لا ينطبق علينا في دولة الإمارات.

كما أطلق صاحب السمو رئيس مجلس الوزراء يد الوزراء كل في وزارته وأعطاهم الصلاحيات المالية والإدارية الكاملة، وألغى اللجان التي كانت مبعث شكوى البعض في الفترات السابقة وأعطى صلاحياتها للوزارات المعنية.

وتعتبر هذه الخطوات التي قام به سموه سبقاً تاريخياً ومهماً في مسيرة تشكيل الوزارات في دولة الإمارات، لكن الأهم هو كيفية الاستفادة منها من قبل الوزراء المعنيين بشكل ايجابي لمصلحة وزاراتهم والمتعاملين معها، وهذا ما يتمناه كل المواطنين في الدولة وخارجها.

ومن ابرز الوزارات المرتبطة بمصلحة المواطنين وزارتا الصحة والتربية والتعليم. فهاتان الوزارتان منذ ميلاد الدولة كانتا مبعث كثير من الانتقادات، فأي وزير يتسلم إحدى هاتين الوزارتين كان لا يسلم من التعليق والانتقاد.

وبكثير من علامات الاستفهام، مع انهما لم تبخلا بتقديم خدمات جليلة لكافة المواطنين فوزارة التربية والتعليم مثلاً قدمت الكثير والكثير، فهناك العشرات من المدارس التي انشئت على أرض الدولة وتخرج منها آلاف من الشباب من الجنسين، ومنهم من تم ابتعاثة إلى الخارج للتخصص أو نيل شهادة الدكتوراه.

ومع ذلك فإن، هذه الوزارة لم تنل رضا الجميع، وكانت من أكثر الوزارات عرضة للنقد. وقد حاول بعض الوزراء السابقين ايجاد حلول لتلبية احتياجات المواطنين وارضائهم في جميع مناطق الدولة، فتم إنشاء مناطق تعليم في كل أرجاء الوطن.

وتم دعمها بالكادر الوظيفي وإعطائها بعض الصلاحيات الإدارية، مع ذلك لم تصل إلى المستوى المطلوب الذي كان متوقعاً منها، لذا تم انشاء مجلس للتعليم في كل من دبي وأبوظبي.

والسؤال المطروح هو كيف ستتعامل الوزارة الجديدة مع هذين المجلسين؟ وكيف ستنسق بينهما وبين المناطق التعليمية؟ وكيف ستتعامل مع العشرات في المدارس الخاصة لأبناء المواطنين والعرب، وكذلك مدارس الجاليات المختلفة في الدولة؟

منذ أيام تابعت الدكتور حنيف حسن في البرنامج التلفزيوني «المقال»، للإعلامي داوود الشريان، الذي ناقش معه تصوراته ورؤاه المستقبلية بالنسبة للوزارة، واعتقد أن اختيار الدكتور حنيف كان موفقاً لهذا المنصب لما يمتلك من خبرة وقدرات علمية يستطيع القيام بهذه المهمة الصعبة ويكمل مسيرة من سبقوه.

مما لاشك فيه أن التربية والتعليم من أهم مقومات بناء مجتمع واع

متقدم، ومنها يتكون فكر الطالب ويكتسب العلم والمعرفة ويصقل ميوله وتوجهاته ويتجهز لاختيار طريقه للاندماج في المجتمع ليكون عضواً فاعلاً في بناء وطنه.

وكما ذكرت سابقاً ففي دولة الإمارات مدارس حكومية وخاصة، وعلى الرغم من أن المدارس ليست مجرد مبان وإدارات فقط، إلا أن مباني مدارسنا الحكومية لا تشجع أبناء المواطنين المقتدرين على الالتحاق بها.

خاصة واننا نعيش في عصر تجذب فيه المظاهر عقول الكبار قبل الصغار، لذا على الوزارة الاهتمام بمدارسنا الحكومية وإعادة النظر فيها لرفع مستواها جوهراً ومظهراً لتواكب التقدم الذي تشهده الدولة وتقوم بالدور المراد من إنشائها.

أما فيما يتعلق بالمدارس الخاصة، فحسب معلوماتي المتواضعة فإن الوزارة لا تملك الإشراف على هذه المدارس بالشكل المطلوب، بل وليست لديها حتى سياسة واضحة تجاهها، خاصة الأجنبية منها، فغالباً ما نسمع أو نقرأ في وسائل الإعلام عن مدرسة ما لديها مناهج دراسية تختلف حتى عن سياسة الدولة.

وهذا قد يصبح مبعث قلق في المستقبل وقد يخلق لا قدر الله حساسيات ومشكلات لا نعهدها يوماً، في بلدنا ونحن في غنى عنها، فقد حان الوقت لكي تقوم الوزارة بالمراقبة والتأكد من أن مناهج المدارس تتماشى مع سياسة الدولة.

زيارتان مهمتان في توقيت استثنائي

أنا لست محللاً سياسياً، إنما مواطن يعبر تلقائياً عن ما يجيش في صدره، وأعتقد أني أعبر أحياناً عن رأي الكثيرين في الوطن العربي، وهذا ما ألمسه من خلال بعض الرسائل التي تصلني عبر البريد الالكتروني، لذا عندما يشدني مشهد محلي أو عربي، ويحرك شعوري الوطني والقومي، أحاول أن أشارك القراء رأيي عبر صفحات «البيان».

مؤخراً تابعت زيارة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، إلى إيران وسوريا، هاتان الزيارتان التاريخيتان هما الأولى رسميا لسموه إلى هاتين الدولتين الشقيقتين، وأول زيارة يقوم بها مسؤول كبير من الإمارات على هذا المستوى إلى إيران منذ قيام الثورة الإيرانية، وهذا بحد ذاته حدث مهم، خاصة وأن إيران دولة يربطنا بها حسن الجوار والصداقة والمصالح المشتركة حتى لو اختلفنا في وجهات النظر حول بعض الأمور السياسية، لكن ليس بالضرورة أن يتفق الجيران، وحتى الأصدقاء والأخوة على كل شيء، فجاءت هذه الزيارة لتؤكد على أن سياسة دولة الإمارات مبنية على الصراحة والتفاهم والتعاون المشترك. ومن خلال متابعتي للكثير من التحليلات والكتابات السياسية العربية والأجنبية، وجدت أن أكثرها أشادت بهذه الزيارة، واعتبر بعضها أن ما قام به سموه يعتبر خطوة ذكية، خاصة وأنها جاءت بعد زيارة الرئيس الأميركي جورج بوش للمنطقة، والذي حاول من خلال تصريحاته هنا وهناك زرع قلاقل في المنطقة، وافتعال مشاكل بين

إيران والعرب، وخلق توتر إقليمي بين إيران ودول مجلس التعاون، وكل ذلك من أجل مصلحة إسرائيل، ولهزيمة الإرادة الفلسطينية. ولأن أميركا وإسرائيل، على الأقل في الوقت الحاضر، لا تستطيعان مواجهة القدرات الإيرانية، وهذا ما أكده الكثير من الخبراء العسكريين والسياسيين الغربيين، لذلك أرادوا إدخالنا كطرف ثالث، وخلق جو معاد بيننا وبين إيران لتعزيز الدور الإسرائيلي، وتقويتها على حساب تفرقنا.

إن زيارة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد جاءت في وقت مناسب لتقوية العلاقات والمصالح المشتركة مع إيران، وهذا ما أكده سموه في تصريحاته قبل مغادرته طهران، حيث وصف مباحثاته مع المسؤولين هناك بأنها إيجابية ومفيدة للبلدين، وان إيران دولة شقيقة . وجارة مسلمة لا تبيت نوايا سيئة تجاه دول الخليج وتحترم العلاقات التاريخية بينهما. كما وصف نائب الرئيس الإيراني زيارة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بأنها تاريخية وتفتح صفحة جديدة في العلاقات الطيبة بين الجارتين وينتظرها مستقبل زاهر، ومواقف دولة الإمارات حيال إيران حكيمة وجليلة.

وهذا يعني أن هذه الزيارة قد تكون بداية حقيقية للتفاهم والجلوس معاً لمناقشة قضية جزر الإمارات المحتلة. لم لا؟؟ إن الحوار الجاد واثبات حسن النية تجاه بعضنا البعض، حول أهم نقطة خلاف بين دولة الإمارات ومعها دول مجلس التعاون، وبين إيران هي احتلال إيران لهذه الجزر.

ولابد للأصدقاء في إيران أن يدركوا ذلك، ولا يتعاملوا مع القضية بمنطق القوة والتعالي، لكي لا نترك للمتربصين بنا استغلال خلافاتنا لإثارة المشاكل بيننا وتقسيم مواقفنا، والخلاف كما قلت لن تستفيد منه إلا إسرائيل التي مطامعها لا حدود لها، فمهما كانت الخلافات فإنه يمكن حلها بالحوار شريطة

أن تكون النية حسنة، والاحترام متبادلاً. فلنبدأ بالخطوة الأولى لحل هذه القضية، وعسى أن تكون بداية الألف ميل من علاقات الصداقة والتعاون. أما الزيارة الثانية لسموه فكانت لسوريا الشقيقة، وأنا شخصياً أعرف مدى تقدير واحترام الرئيس السوري بشار الأسد، لأخيه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ومدى إعجابه بسياسة دولة الإمارات وما وصلت إليه من تقدم حضاري ورقي اجتماعي. جاءت هذه الزيارة في الوقت الذي تشهد فيه المنطقة تحديات صعبة، خاصة والرئيس الأميركي جورج بوش صنف سوريا ضمن «محور الشر» لأنه حاول الضغط عليها ولم يتمكن، خاصة في الحرب على العراق، ولأن سوريا شوكة في حلق إسرائيل ربيبة أميركا، لذا هي تريد كل شيء لإسرائيل دون أدنى تنازل منها، وكما قالت وزيرة خارجيتها فإنها تستبعد تلبية شروط سوريا بشأن الجولان.

إن أميركا كما هو معروف مطمئنة لقوة نفوذها في المنطقة، وتتحفظ على أي تضامن عربي، وتحاول عرقلة أية قمة عربية، والعكس صحيح. فهي تسعى إلى تشجيع الصراعات العربية العربية، وتشتيت المواقف حتى داخل الدولة الواحدة، لأن الانقسام الجغرافي والطائفي والعرقي سيخدم إسرائيل ويقويها في المنطقة. فالزيارة جاءت لتقول إنه مهما حدث، ومهما حاولتم زرع الخلاف والشقاق بيننا، سنظل نحن العرب أمة واحدة رغم أنف أعدائنا، ومن يسير على خطاهم، فالتاريخ والحضارة والثقافة والجغرافيا تجمعنا وتنادي بوحدتنا.

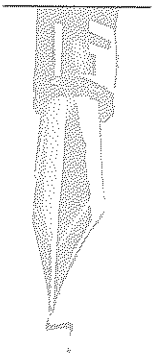

أوراق عربية

مبادرة تقود الوطن إلى النهضة

بإلقاء نظرة على خارطة الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، يتبين لنا انه يعد الأكبر بين جميع القارات، فهو يحتل جزءا كبيراً من آسيا وإفريقيا، بل يصل إلى حدود أوروبا، وهذا الوطن إلى جانب اتساع رقعته يزخر بثروات طبيعية ثمينة من غاز وبترول ومعادن متنوعة، جعلته في أكثر المناطق عرضة للاستغلال والسيطرة. كما يحتوي على اكبر مخزون للمياه ومصادر طبيعية تتنوع بين إنتاج زراعي وحيواني وبحري لا يستهان به، بل تحسده عليه أية دولة من الدول الكبرى، ولو توحد هذا الوطن لكان هو الأكبر والأقوى، لكن هذا الحلم الذي راود فكر الغيورين على مصلحة وطنهم في عهد مضى والذين حاولوا وفعلوا كل ما بوسعهم لتحقيقه، أصبح مستحيلاً في عهد الغيورين على مصالحهم الخاصة في العصر الحالي. ومنذ زمن وهذا الوطن من أكثر الأوطان ضعفاً واستسلاماً رغم اتساع رقعته، وهو أيضا من أكثر الأوطان انتشاراً للفقر والأمية رغم ثرواته، ومن أكثر الأوطان استمرارية للقتل والدمار والمعاناة رغم استقلاله!

يقال ان رئيس دولة عربية كان في ضيافة رئيس دولة عربية شقيقة وهما يتبادلان أطراف الحديث في شرفة إقامة الضيف المطلة على بساتين خضراء يعبرها نهر من المياه العذبة قال الضيف: لو كنت أمتلك هذه الأراضي الخصبة، وهذه الكمية من المياه المنتشرة في جميع مناطق دولتكم لصنعت من بلادي جنة فوق الأرض، فرد عليه مضيفه: لو كنت امتلك مخازن البترول في أراضيكم لجعلت من بلادي اكبر قوة على الأرض.

سواء كانت هذه القصة حقيقية أم لا فهي تدل على ان الدول العربية في

الواقع تمتلك مالا يمتلكه غيرها، ومصادرها وثرواتها متنوعة، وهي تكمل بعضها، وإن كان البعض منها قد قام بخطوات خجولة بالتعاون الاقتصادي وبالتبادل التجاري فيما بينها، إلا أن هذه الجهود لم ولن ترقى إلى الطموح الذي تأمله الشعوب العربية التي عانت وتعاني من صراعات داخلية واحتلال دمرها، ويجثم على أنفاسها منذ سنين، فهي تطمح في أن تبادر ولو بعض الدول العربية بتوحيد سياستها الاقتصادية على الأقل ما دامت لا تستطيع غير ذلك.

إن إنشاء سوق عربية مشتركة وتوحيد عملاتها واقتصادها سيكون أول خطوة لتوحيد سياستها الخارجية، وهو ما ترى فيه الشعوب البداية للخروج من أزماتها والنهوض بمصالحها المشتركة، وبناء على علاقات قوية وصحية فيما بينها، علاقات تقوم على التعاون في شتى المجالات، وتحقق من خلالها إنجازات للجميع، بدل الاكتفاء بعلاقات تقوم على الدعم والمساعدة عند الضرورة، والتنديد والاستنكار عند العجز!

فالدول الأوروبية التي يضرب بها المثل في النهضة والتقدم رغم اختلاف لغاتها وعاداتها وتقاليدها وأنظمتها استطاعت أن تتوحد، وما قوة عملتها الموحدة ونجاح سياستها الخارجية ودفاعها المشترك إلا دليل على نجاح وحدتها، فماذا ينقص الدول العربية لتتخذ مثل هذه الخطوة؟

لغتها واحدة، ودينها واحد، وكذلك عاداتها وتقاليدها إن لم تكن واحدة فهي متشابهة، بل حتى إمكانياتها التي ذكرناها تفوق امكانيات الدول الأوروبية، فأوروبا لا تمتلك المصادر الطبيعية التي تمتلكها الدول العربية، بل هي تعتمد أساساً على المصادر العربية. وفي مناقشة مع أحد الإخوة من دولة عربية، قال هذا حلم أجدادنا وآبائنا الذين ظلوا يحلمون بالوحدة حتى

ماتوا، والبقية القليلة التي ما زالت تؤمن بهذا الحلم سوف تظل تحلم إلى أن تجبر على نسيانه، والخوف من أن يأتي يوم تجبر فيه حتى على نسيان لغتها وثقافتها، وقد يأتي جيل يحتاج إلى شفرة لفهم اللغة العربية التي سوف تستريح في بطون الكتب.

قلت له: أخالفك الرأي، فما دام هناك أحلام تحققت فهناك أمل قائم والدليل الطفرة الشاملة التي شهدتها دولة الإمارات، وعلى الدول العربية الاستفادة من السياسة الاقتصادية وخدمات البنية التحتية الحاصلة في دولة الإمارات وسعي قادتها الدائم إلى دعم عمليات التنمية في مختلف المجالات لخدمة جميع الشعوب العربية. وهذا ما جسدته المبادرة السخية التي أطلقها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي بتخصيص عشرة مليارات دولار لدعم التنمية العلمية العربية، فمثل هذه المبادرة لا تأتي الا من رجل يفكر بالنهضة وبمستقبل العرب، رجل ترجم طموحه إلى واقع يشهد ويتباهى به الجميع. رجل جاء بمبادرة هي الأولى من نوعها، لنشر المعرفة في جميع الدول العربية، لأنه أدرك برؤيته أن الوقت قد حان للفعل، لا للقول، وأن التقدم العلمي والمعرفي هو الخطوة الأولى باتجاه المستقبل، وهو أساس تقدم الشعوب ونهضتها.

جاءت هذه المبادرة الفريدة لتبعث الأمل في نفوس المجتهدين الطموحين على العمل لإحداث نهضة عربية حقيقية، نهضة تحرر عقول المبدعين والكفاءات العلمية من قيود الغرب والسعي لخدمة أوطانهم. وجاءت هذه المبادرة لتكون بداية لأول انتصار عربي وسط هذه الانكسارات، إن هذه المبادرة تحتاج إلى صفحات لتأخذ حقها، وللحديث صلة.

هل علينا أن نستعد للأسوأ؟

اتصل بي أحد الأصدقاء، تعقيباً على ما كتبته حول دور دولة قطر الشقيقة في حل الخلاف اللبناني اللبناني تحت عنوان «عندما يفشل الآخرون وتنجح قطر»، فقال إن الأمر الآن بيد اللبنانيين، ويعتقد أنه مع مرور الأيام ستتوحد آراؤهم أكثر وأكثر ويسيرون على الطريق الصحيح.

لكنه تساءل كمعظم الشعب العربي عن الدور العربي لحل المشكلة الفلسطينية التي قال إن العرب في الأساس طرف فيها، وبالذات الدول المجاورة التي شاركت في حرب 48 ضد الصهاينة، فهل يحتاجون إلى أكثر من 60 سنة لتوحيد رأيهم وإيجاد حل للقضية الفلسطينية، أو على الأقل أين هم اليوم من الخلافات الفلسطينية الفلسطينية، ولماذا لم تبادر هذه الدول بمبادرة جادة ومنصفة لحلها، أم كما قلت في مقالك السابق لم تتلقى بعد الضوء الأخضر من الحكاية..!

من هنا أبدأ موضوع اليوم، فمنذ نكبة 48 مروراً بنكسة 67 والتاريخ يؤكد أن الفلسطينيين اعتمدوا على العرب للرد على اعتداء الصهاينة عليهم، فجاءت النكبة وفصلت الضفة وقطاع غزة عن الوطن العربي الأم، ولم تجد مجموعة كبيرة من الشعب الفلسطيني مخرجاً أمامها إلا اللجوء إلى الأراضي العربية المجاورة، وأصبح الجزء المنفصل، أي قطاع غزة والضفة، تحت سيادة وإشراف دولتين عربيتين، وبقي الشعب الفلسطيني في انتظار التحرير الموعود به من العرب، إلى أن جاءت نكسة 67 فاحتل

العدو مرة أخرى هذين الجزأين.

وبعد سنوات من النكسة عاش العرب نشوة الانتصار المزعوم عام 73 الذي لم يقدم أي حل للمشكلة الفلسطينية، مع أنه كان فعلاً أول انتصار عسكري عربي، إلا أن نتائجه السياسية كانت أسوأ من النكبة والنكسة، وكانت له عواقب وخيمة على العرب خاصة الفلسطينيين، حيث بدأ التقرب العربي من إسرائيل دون أدنى اعتبار للقضية الفلسطينية التي بدأ التنصل منها شيئاً فشيئاً، وأصبح العرب كل في طريقه يسعى لحل مشاكله الحدودية أو السياسية مع إسرائيل التي أصبحت واقعاً لا يمكننا تجاهله، بينما أضحت القضية الفلسطينية قدراً لا يمكن تغييبه.

ولم تتضمن الاتفاقيات الموقعة بين العرب وإسرائيل أي ذكر للأراضي الفلسطينية المحتلة أو لقضيتهم، وكأنهم لم يكونوا سبباً في أسباب ضياعها وطرفاً أساسياً في احتلالها، أو كأنهم لم يكونوا عرباً أو مسلمين، ورضوا بأن يبقى الوضع كما هو عليه، كأنه أصبح لا يعنيهم!!

هكذا استمر الحال لسنوات إلى أن جاءت المقاومة بإمكانياتها المتواضعة والبسيطة، لكن بإرادة رجالها ونسائها، ووضعت لأول مرة في التاريخ إسرائيل في موقف حرج، بعد أن تركهم العرب يواجهون مصيرهم وحدهم، ثم تطورت الأحداث وتخلى العرب كلياً عن واجباتهم تجاه الشعب الفلسطيني، وأصبحوا يتعاملون معه ومع المحتل بأسلوب واحد وبمنتهى الحياد، وتركوا الشعب الفلسطيني ومقاومته يواجهون العدو بكل جبروته وقوته، إضافة إلى الدعم الدولي له، دون حرج أو خجل، وليتهم تركوه ليواجهوه ولم يتدخلوا، لأنهم حتى بحيادهم يحاولون الضغط على المقاومة لصالح إسرائيل.

وهذا الأمر أصبح مكشوفاً من خلال بعض التصريحات على القنوات الفضائية، أو من خلال ما نشاهده على الحدود العربية الفلسطينية، في الوقت الذي يزداد فيه التعاطف العالمي مع الفلسطينيين ويزداد فيه الوضع الداخلي الإسرائيلي سوءاً، وحسب تقارير نشرت مؤخراً في وسائل الإعلام الإسرائيلية فإن التخوف يزداد من أن زوال إسرائيل قد يكون وشيكاً.

وحتى لو كان نشر مثل هذه المواضيع والتقارير هو لكسب الرأي العام العالمي بعد أن أصبح يميل أكثر للطرف المظلوم وهو الطرف الفلسطيني، فقد كان على العرب استغلال ذلك ومحاربة إسرائيل، على الأقل اقتصادياً ونفسياً، بدلاً من دعم اقتصادها في الخفاء كما تفعل بعض الدول العربية وكأن ذلك سر تخجل منه، أو ربما لعدم جرح شعور الشعب الفلسطيني الذي يعيش حالة صعبة في التفكك والانقسام!

والسلاح الذي كان من المفروض أن يقاتل به العدو يستعمل الآن للاقتتال فيما بينهم، والاتهام بالخيانة والعمالة والتآمر، أصبح من أهم صفات هذه المرحلة التي لم يعرفها التاريخ الفلسطيني من قبل. في الوقت نفسه لا تتوانى إسرائيل عن التأكيد في كل مناسبة أن القدس عاصمة إسرائيل، ولن تكون هناك دولة فلسطينية، وهذا ما تجسده على أرض الواقع من قتل الأبرياء وعدم التفريق بين شاب وعجوز، وبين امرأة وطفل لأنها لا تستثني أحداً إلا من يطيعها ويبيع لها العزة والكرامة مقابل رضاها!!

فماذا بعد كل هذا؟ هل على الشعب العربي والفلسطيني بالذات أن يستعد لما هو أسوأ من النكبة أو النكسة؟

هذا هو المتوقع بعد أن أصبح البعض يقول إن الوضع الفلسطيني على حاله منذ 60 سنة إن لم يكن أسوأ الآن، فماذا نستطيع أن نفعل لهم نحن العرب ونحن بهذا الضعف؟ فيما مضى كنا أمة قوية تجمعنا راية واحدة، ووصلنا إلى أوروبا وآسيا وإفريقيا تحت لواء قيادات يذكر التاريخ أمجادها حتى يومنا هذا، فأصبحت شعوب العالم تهابنا وتحترمنا وتتعلم منا.

أما الآن فوصلنا إلى هذا الانكسار والضعف في ظل قيادات بعضها لا يهتم إلا بمصالحه الشخصية، ولا يؤمن حتى بقدرات وإمكانيات شعبه. هل هذه هي بداية النهاية، أم نهاية الضعف وبداية الصحوة؟

في زمن الضعف العربي

تلقيت رسائل واتصالات من بعض الأصدقاء تعقيباً على ما كتبته في جريدة البيان تحت عنوان «هل نستعد للأسوأ». رسالة من صديق متابع لما أكتبه ويحمل هموم الوطن العربي وعلى رأسها القضية الفلسطينية تقول: من الجاني على الفلسطينيين؟

نحن نتذكر أن حالهم قبل هزيمة 67 وانتصار 73! كانت أفضل مما أصبحت عليه الآن، وكانت القدس عربية وبيد أبنائها، والحدود كانت مفتوحة مع الدول المجاورة، أما اليوم فقد فقدنا حتى إنسانيتنا تجاههم، ونتفرج عليهم وهم يعيشون تحت الحصار، والحدود مغلقة في وجوههم، ويعانون مقاطعة اقتصادية وسياسية قسرية، أليس هذا عاراً على العرب؟

وصديق آخر قال: لقد سئمنا من المطالبة بتوحيد الصف والكلمة، لأن ذلك لن يحصل أبداً لأن عقلية المستحيل تسيطر علينا، لكن ألا يمكن للعرب أن يتحدوا ولو لمرة واحدة ولهدف نبيل ويرفعوا القضية إلى محكمة الجنايات الدولية ضد إسرائيل وحكومتها ويتهموها بالإبادة والتدمير؟

أو لماذا لم يتحرك المدعي العام في تلك المحكمة الدولية، كما فعل ورفع قضية ضد اللواء حسن البشير رئيس جمهورية السودان حول أحداث منطقة دارفور؟ فمهما اختلفنا أو اتفقنا حول مسؤوليته فيما جرى ويجري في هذا الإقليم. إلا أنه رئيس دولة، مع ذلك هذا لم يشفع له عند المدعي العام في محكمة الجنايات الدولية، أم لم تكن محكمة الجنايات الدولية تعرف أن الذي حاصرته إسرائيل وأهانته وهو يعاني من المرض

وقطعت عليه الكهرباء رحمة الله عليه، كان رئيس السلطة الفلسطينية الذي تحتل أرضه وتعتدي على شعبه بالقوة والسلاح؟

ألا يستحق الشعب الفلسطيني الذي اغتصبت أرضه وهجر أبناؤه، وسلبت منه حتى أبسط حقوق العيش، التدخل؟ أو لماذا يتدخل الغريب وإخوانهم العرب تنصلوا من المسؤولية وتركوهم يواجهون مصيرهم لوحدهم؟

ورسالة أخرى تقول: بين فترة وأخرى يطلع علينا في وسائل الإعلام، مدعو المعرفة والحكمة في هذا الزمن، زمن الضعف والانكسار، ولا يخجلوا من الإشادة بما حققوه من انتصار في نظرهم فقط، ليوهموا به الشعب العربي المغلوب على أمره، حيث يقول أحدهم ماذا تريدون منا؟

حررنا أرضنا بالمفاوضات وبالطرق السلمية وجنبنا الشعب هدر الدماء، ولكن لم يذكر لنا حكاية تحرير الأرض إلى آخرها، الأرض المحررة في نظره التي لا يملكون داخلها حق الوصول إلى الحدود ولا يتجرأ أي جندي على التحرك فيها.

لأن هذا يعتبر تهديداً للعدو، فيما يحق للعدو ذلك، وكأن الأرض ليست أرضه بل منحة من العدو، هكذا يوهمنا البعض بالنصر والانتصار في زمن الضعف العربي!! وينسى أو يتناسى أن غزة وهي جزء من فلسطين المحتلة كانت تحت إشراف دولة عربية وهي المسؤولة عن احتلالها.

إن العرب وصلوا إلى حالة من الضعف لم يذكر التاريخ مثيلاً لها. كما قلت في مقالين سابقين، يقول أحد المفكرين إن العرب نسوا طعم الانتصار لدرجة أنهم يخافون من أن ينسب إليهم وهذا ليس بغريب في زمن الفوضى الإقليمية، والتآمر الدولي والصمت العربي.

فخلال الأيام الماضية وقعت حادثتان أكدتا ذلك: الأولى في فلسطين المحتلة، حيث تابعنا صوراً عبر الفضائيات لجندي إسرائيلي يقتل شاباً فلسطينياً مكبلاً ومعصوب العينين دون رأفة أو رحمة، وكعادتهم لم يظهر أي مسؤول عربي في مثل هذه المواقف ولو ليندد أو يستنكر وهذا أضعف الإيمان، وأقوى سلاح كان يمتلكه العرب!!

واتضح أن مصور هذه الحادثة المروعة واللاإنسانية بكل المقاييس، شابة فلسطينية قامت بتصويرها من منزلها القريب من موقع الحادث، وعندما عرف العدو سجن والدها ومنع العائلة من التحرك خارج المنزل، ومرة أخرى لم يحرك العرب ساكناً.

وكأنهم غير معنيين بما حدث ويحدث للفلسطينيين، أبعد هذا الضعف ضعف؟ عفواً.. فالحادثة الثانية تدل على أن بعد هذا الضعف ضعفا مستمرا إلى ما لا نهاية! قد نتفق أو نختلف حول كثير من الأوضاع والقضايا في مصر، لكن لا يختلف اثنان حول نزاهة القضاء المصري، فقبل أيام أصدرت محكمة مصرية حكماً بحق الدكتور سعد الدين إبراهيم وهو مصري الجنسية، بغض النظر عن القضية.

إلى هنا الأمر طبيعي وداخلي، لكن غير الطبيعي وغير المنطقي هو توجيه السفير الأميركي في القاهرة نقداً للمحكمة وللحكم الصادر منها، أليس هذا طعناً في القضاء المصري وتدخلاً في شؤون مصر الداخلية! كيف يسمح لنفسه أو يقبل منه ذلك دون وجه حق.؟

وحكومته لا تسمح لأحد حتى بإبداء رأيه في أبشع أنواع وألوان الاعتقال والتعذيب دون محاكمة التي تمارسها على مساجين غوانتانامو الذين لا يسمح لهم حتى بالمطالبة بحقوقهم القانونية التي يكفلها لهم

القانون الدولي، لدرجة أن بعض المساجين إلى جانب المعاناة والذل أصبحوا يعانون من الجنون والأمراض العقلية كما كشف مؤخراً أحد المحامين.

ألم يكن في استطاعة أي مسؤول أن يقول لسعادة السفير: قف عند حدك فهذا ليس من اختصاصك، فلا أحد يتدخل في حكم القضاء المصري، فكيف يحق لك ذلك؟ أم أن أميركا بحكم أنها تتدخل في كل شؤوننا الاقتصادية والسياسية، علينا أن نسمح لها بالتدخل في شؤوننا الداخلية كذلك؟

أبعد هذا الضعف ضعف؟ أبعد السكوت واللامبالاة على ما يحصل في غزة ضعف؟ ألم تقل سيدة العالم إن غزة معادية لأميركا، إذاً فهي معادية كذلك للعرب وحكامهم!! أما قضية دارفور ومحكمة الجنايات الدولية، فإنها قد تكون قضية حق يراد بها باطل، فالظاهر أن السبب الأساسي هو الموارد الطبيعية والبترول التي يمتلكها السودان في هذا الإقليم.

كما حدث ويحدث في العراق، فهم يتحركون من أجل السيطرة على موارد السودان، وليس من أجل مصالح شعبه. هذه هي سياسة أميركا في ظل حكومة جورج بوش في قرن العولمة، خاصة مع الضعفاء أمثالنا!.

أوباما وأحلام الشعوب العربية

دول العالم كله فرحت بفوز «باراك حسين أوباما» في انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة الأميركية، وعمت الفرحة من إفريقيا إلى أميركا، ومن الشرق إلى الغرب، ونسيت في هذه الفترة شعوب العالم معاناتها من السياسة الأميركية.

وشاركت الشعب الأميركي فرحته والذي كان أكثر سعادة لأنه صوت بقوة ودعم أوباما لأنه تأمل فيه انتشال البلد من الحفرة التي أوقعها فيها جورج بوش، فالبعض فرح لأنه رأى في نجاحه حدثا تاريخياً وإشارة إيجابية تدل على تغيير عقلية الشعب الأميركي الذي اختار لأول مرة أسوداً من أصول إفريقية ليرأسه، وقد يكون فرح البعض تعاطفاً مع السود المظلومين في أميركا منذ قرون، ظنا منه أن هذا الانتصار سيكون بداية عهد جديد.

أما البعض الآخر ففرح لهزيمة المحافظين الجدد، ولهزيمة رؤيتهم السياسية والفكرية، وفرحوا أكثر لهزيمة جورج بوش الرئيس الأكثر كراهية في العالم.

لكن علينا ألا نستعجل ونتفائل، فالأيام سوف تثبت إذا كان الرئيس أوباما يستطيع تحقيق أفكار جديدة بنظام جديد مع تركة مأساوية موجودة أصلاً داخل وخارج حدود أميركا، فخارجياً كيف يستطيع مثلاً تحقيق الاستقرار والأمن لشعبي العراق وأفغانستان اللذين ذنبهما الوحيد أنهما وثقا بفكرة الإصلاح والديمقراطية التي روج لها سلفه.؟

أما داخلياً فكيف يستطيع إنقاذ أكثر من 30 مليون مواطن أميركي يعيشون على حافة الفقر والجوع ذنبهم أنهم مواطنون في أغنى وأقوى دولة في العالم! لننتظر وسوف نرى.

تلقيت رسائل عبر البريد الالكتروني حول هذا الموضوع، موضوع الانتخابات الأميركية أغلبها تتفق معي على حالة اليأس والاضطراب التي يعيشها الوطن العربي، وكثيرون يرون أن الحلول يجب أن تأتي من الداخل بدلاً من الخارج وكأننا لا سيادة لنا كما حدث في العراق، لكني أرى أن العراق الحر بإرادة شعبه قادم لا محالة، وما يجري داخله من تحرك شعبي ومواجهات سياسية دليل على ذلك.

إحدى الرسائل كانت من أخ عربي يعيش في استراليا يقول فيها، انه يحلم برئيس عربي يفاجئنا ويفاجئ العالم ويطلق مبادرة كريمة وشجاعة ويقرر عدم تجديد ولايته سوى مرتين ليكون قدوة للآخرين وليسجل بذلك اسمه في التاريخ.

وأقول له حلمك لن يتحقق في زمن الكوابيس المستمرة التي تعيشها الشعوب العربية فها هما رئيسا دولتين عربيتين بادرا وقررا تغيير دستور دولتيهما ليحقق لهما الاستمرار في الحكم إلى الأبد، مع أنهما لم يحققا لبلديهما أو لشعبيهما إلى الآن شيئاً يذكر لكي يقررا الاستمرار في الحكم إلى مالا نهاية.!

لكن لم لا فهما كغيرهما من رؤساء بعض الدول الذين يصلون إلى قمة الرخاء على المستوى الشخصي خلال فترة حكمهم، ويبقون على شعوبهم في الأسفل، وهي تهلل لهم وتثق في وعودهم بتحسين أوضاعها في يوم ما، وسوف يستمرون هم في الوعود، وتستمر الشعوب في الانتظار إلى

أجل غير مسمى!

فنحن الشعوب العربية لا نفرق بين ملك ورئيس فكلهم ملوك ماداموا على سدة الحكم وبعضهم ملك فوق العادة لأنه احتل الكرسي عنوة بغفلة من الشعوب، والشعب العربي كما يبدو لا يستحق أكثر من ذلك، لأنه قانع، خانع، خاضع، راض بمعيشة الحي الميت.

فكما ورد في الأثر «كما تكونوا يولى عليكم» ها هو الشعب الباكستاني الذي كان مغلوباً على أمره تحرك وقضى على الحكم العسكري، ونادى بانتخابات حرة، وهكذا صار. وقبله قامت شعوب من دول أوروبا الشرقية بتحقيق أمنيتها بتغيير أوضاعها واستحقتها.

أما رسالة أخرى فيقول صاحبها انه يأمل من الرئيس الأميركي المنتخب «باراك أوباما» تغيير سياسة بلاده خاصة فيما يتعلق بالشرق الأوسط وقضاياه، وأقول له: يا عزيزي «باراك اوباما» أو غيره من رؤساء الدول لا يمكنهم تغيير الثوابت التي أرساها أسلافهم، وليسوا مثل بعض الساسة العرب الذين سياستهم لا ثوابت لها.

وإن وجدت فهي تتغير حسب مصالحهم الشخصية أو أوامر خارجية، أما عندهم فمصلحة دولهم وشعوبهم تأتي فوق كل شيء وهم يتعاملون مع الدول الأخرى على هذا الأساس، ولا يهمهم من يحكمها وكيف يحكمها، فالإنسان العربي لا مكانة له عند الآخرين لأن لا حقوق له في وطنه ومن لا حقوق له لا يعرف قيمة حقوق الآخرين، فأين كانت الشعوب العربية وأحزابها، ومنظماتها المدنية والحقوقية مما يحصل في غزة؟

أهناك سبب أكثر من معاناة وإذلال وتجويع أهل غزة يدعو إلى التحرك والتضامن ولو بالقول؟ أين حقوقهم علينا؟ أم علينا أن نعترف بأن

الشعوب الغربية أكثر إنسانية منا لأنها تعرف كيف تنال حقوقها كاملة وإلا لماذا جائت المبادرة منهم، وهبوا بشجاعة ذكوراً وإناثاً من مختلف الفئات وتحدوا بسفنهم البسيطة الحصار الظالم الذي فرضه العدو على أهل غزة.

وهم غرباء عنهم والأولى أن يقوم العرب بذلك لأن لا الإمكانيات المادية ولا العلاقات تنقصهم، أم أنهم يخافون تعريض سفنهم للخطر لأن قيمتها في هذا الزمن عندهم أغلى من قيمة الإنسان؟ ولحفظ ماء الوجه لم تتحرك بعض الدول العربية الا بعدهم وقررت ارسال مساعدات لأهل غزة، ربما لأنها تعودت التبعية في كل شيء لأنها لا تمتلك القدرة والقوة على زمام المبادرة حتى ولو كانت إنسانية.

وأختتم موضوعي برسالة تقول: «على الدول الغربية والولايات المتحدة بصفة خاصة أن تفهم أن لا سلام إلاّ إذا طبقت القرارات الدولية التي تتضمن حق الشعب الفلسطيني في إنشاء دولته وتقرير مصيره، وعليها الاعتراف بحقوقه. وأقول أتمنى ذلك لأنه لا يسعنا الا المطالبة ما دمنا غير قادرين على المشاركة في تحقيقها.

الاستبداد هو السبب

وصلتني عشرات من الرسائل عبر البريد الالكتروني خلال الفترات الماضية حول مواضيع كتبت فيها عن التراجع الدائم في وطننا العربي، وكنت ومازلت أتساءل من المسؤول مع أن الإجابة واضحة وذكرتها عدة مرات، لكنني كنت أعتقد أنه قد يكون عند آخرين رأي مختلف أو أسباب أخرى أجهلها.

فجاءت تلك الرسائل لتؤكد على رأيي وكأنه متفق عليه، تقول في مجملها: إن استبداد بعض أشكال النظام السياسي العربي الذي تقوم على أساسه الحكومات العربية هو المسؤول، وهذه حقيقة واضحة باعتبار أن الشعوب العربية مغلوبة على أمرها في أغلب الدول، أو محظوظة في بعضها لأنها على الأقل تختار من يحكمها ولو مرة واحدة في العمر.

مع ذلك فالحكومات في الكثير من الدول العربية تتباهى بأنها جاءت برغبة شعبية وبالإجماع، لكنها عندما تتمكن ويصبح بيدها الحل والربط، تتناسي الرغبة الشعبية وتركز على خدمة مصالح الفئة المشكلة منها، ولأنها تجتهد وتتفنن في ذلك فهي تستمر في الحكم وكأنه لا بديل لها أو كأن الأفراد في تلك الحكومات قد أتوا من سلالة الشمس كما كان يطلق على الامبراطوريات في اليابان، لهذا فهم فوق كل الاعتبارات وكل الحسابات مهما كانت تجاوزاتهم أو أخطاؤهم لأنهم معصومون من الخطأ، وإن حدث وأخطا مسؤول في إحدى الحكومات فان الخطأ غير مقصود أو مدسوس بمؤامرة مدبرة من الخارج.

نادراً ما نسمع أن رئيس دولة عربية، أو مسؤولا في الحكومة قد خضع للمساءلة القانونية نتيجة أخطاء أو إهمال أو اختلاسات وقعت في مؤسسة تابعة للوزارة التي هو مسؤول عنها طبعاً لا، لأنهم معصومون من الخطأ والحساب، وذمتهم بريئة براءة الذئب من دم يوسف لذا لابد وأن يحكموا للأبد، وهذه تضحية منهم فهم لا يعرفون الراحة أو الخصوصية ويقدمون أجمل سنين عمرهم في خدمة الوطن والشعوب لذا لا يتركون مناصبهم وكراسيهم لغيرهم، وهذا ليس خوفا من المحاكمة أو المساءلة -لا سمح الله- نتيجة اختلاسات مالية أو تهرب من ضريبة حكومية، لأنهم في الأصل معفيون من الضرائب.

لكنهم متمسكون بمناصبهم احتراماً وتقديراً لشعوبهم لأنه من الصعب على الشعوب إيجاد بديل لهم بنفس «الماركة» أو كما قلت من أبناء الشمس لكن ما أكثر الماركات الأصلية والمقلدة في عصرنا الحالي! وهذا ما أكده أحد المسؤولين عندما طلب منه ترك منصبه وإتاحة الفرصة لغيره عندما قال هل تريدونني أن أخيب ظن الملايين من أبناء شعبي الذين يطالبونني بالبقاء؟ ومسؤول آخر لم يتعب نفسه بالبحث عن حجة جديدة للبقاء في الحكم فاستفاد من فكرة الأول وطبقها عملياً.

إن الحكومات في العالم وليس فقط في أوروبا وأميركا، بل حتى في دول آسيا تتغير تلقائيا خلال فترة محددة في حين أن المسؤولين في الحكومات العربية يتشبثون بكراسيهم ولا يتنازلون عنها أبداً، ففي أميركا وأوروبا مثلاً يتغير مسؤولون في أعلى السلطة بسبب خلافات في الرأي أو تراجع شعبي.

وحتى في إسرائيل رغم كراهيتنا وعدائنا الدائم لها إلا أننا مضطرون

للاعتراف لها بنظام حكمها، نعم نحن على خلاف أبدي مع إسرائيل ونظامها لأنه نظام عنصري شرس لكن مع هذا فهو نظام أسس ليخدم الشعب، ويحترم الدستور والقانون، فها هو رئيسهم موقوف عن العمل لمدة ثلاثة أشهر ومطلوب للمحاكمة وكذلك عدد من الشخصيات السياسية في إسرائيل تركت الحكم بسبب قضايا ضدهم في المحاكم مع أنه لم يصدر في شأنها الحكم بعد.

إن الفساد الإداري والمالي في الكثير من الدول العربية لا منافس له وذلك بشهادة المنظمات الدولية التي لا تدخر جهداً في نشر تقارير سنوية عبر وسائل الإعلام المختلفة، لكن مع الأسف هذه التقارير لم تغير في الأمر شيئاً يذكر على مر السنين، لأن المسؤولين في الدول العربية، إما معصومون أو منزهون عن الخطأ كما قلت، وإما يتلقون الدعم لتنفيذ أوامر من الخارج أو التهديد إذا تطلب الأمر.

ففي جميع دول العالم لا أحد فوق القانون إلا الحكومات العربية، فهي تسنه للجميع، وتحكم به لصالحها وتطبقه على من يتعارض مع مصالحها.

والخلاصة أن التراجع العربي واضح والأسباب واضحة، أبرزها نظام بعض الحكومات العربية غير القابل للتغيير أو التبديل لأنه لا ثوابت له ولا قانون يحاسبه إنما هو نظام شعاره الدائم أنا القانون والقانون أنا.

الشعوب المناضلة هي صاحبة القرار

ما الذي يجري في عالمنا العربي؟ ما الذي جرى ويجري في فلسطين والعراق ومؤخراً في لبنان؟ إلى أين نتجه؟ ومن المسؤول؟

هل النظام العربي وعجزه، أم هي الشعوب العربية واستسلامها؟ أم هو الاستعمار الغربي ومخلفاته القديمة، وطمعه اللامحدود في الثروات التي تزخر بها الأراضي العربية؟

لا شك أن الاستعمار له دور فيما جرى ويجري، لكن ليس علينا أن نحمله كل مشاكلنا وضعفنا، فدول كثيرة استعمرت في إفريقيا وآسيا، لكن الشعوب التي أرادت الحياة الكريمة ناضلت من أجل النهوض من جديد، واستطاعت التغلب على تخلفها ومشاكلها، بل سبقت دولاً كبيرة والأمثلة كثيرة ولعل أبرزها الهند وماليزيا.

إن خروج الاستعمار البريطاني والفرنسي من الأراضي العربية قد مر عليه أكثر من نصف قرن، وبعد تقسيمها نالت الدول العربية استقلالها، لكن ما الذي حصدته شعوبها من هذا الاستقلال؟ وهل هي فعلا كلها مستقلة؟ أم ما زال المستعمر يتحكم في بعضها عبر أفراد وأنظمة يستخدمهم بجهاز تحكم عن بعد، هؤلاء الأفراد، منهم من جاء إلى الحكم فوق دبابة بحجة تحرير الشعوب، ومنهم من لن يكن يتوقع بأن يصبح رئيساً في يوم من الأيام، وصلوا إلى المنصب بالصدفة فأصبح همهم التمسك بالكرسي إلى الأبد وتفننوا في قهر الشعوب وإسكاتها بدل النهوض بها، هؤلاء فيما كانوا يدينون ويستنكرون، لكن حتى هذا ربما

لم يعد مسموحا لهم حالياً. ومع ذلك لا يخجلون في كل مناسبة من تأكيد شرعيتهم، فإذا كانوا كذلك ألا يستحق الموقف الراهن التحرك لتوحيد الجهود ضد الاعتداء الدائم علينا من عدو متربص بنا، ألم يحن الوقت بعد؟ ومتى سوف تصبح الحكومات العربية التي تدعي أنها كبيرة قادرة على مواجهة هذا العدو أو التصدي له؟ مع أنه قد اتضح للعالم أن كبار هذه الأمة هم الشعوب المناضلة في فلسطين والعراق ولبنان الذين أثبتوا أنهم أكبر وأقوى من كل الجيوش.

ألا تستطيع هذه الحكومات العربية التي نتحدث عنها على الأقل الضغط ولو بمقاطعة بضائع الدول الداعمة للعدوان؟ أم أنها تدلل شعوبها ولا يمكنها أن تأمرها بالاستغناء عنها؟ كما تأمرها وتحبسها إذا ما تجرأت وقامت بمظاهرات سلمية.

تقول دراسات صادرة من مؤسسات أميركية مختصة، ان الولايات المتحدة الأميركية تقوم حالياً بدور المستعمر الجديد للسيطرة على ثروات الشعوب، وأكثر الثروات التي تهمها هي البترول العربي، وسيطرتها عليه تمكنها من امتلاك ثلاثة ارباع الطاقة في العالم. وتؤكد إحدى الدراسات بأنه لا يوجد بديل لهذه الطاقة على الأقل خلال هذا القرن وإن وجدت مستقبلاً قد تكون صعبة ومكلفة، كما تقول دراسة أميركية أخرى أن العالم مرت عليه حضارات مختلفة عبر العصور، وحكمته مجموعة من الإمبراطوريات فلماذا لا يكون هذا القرن قرن الإمبراطورية الأميركية بما تمتلكه من قوة وإمكانيات عسكرية ونفوذ سياسي؟

ولكي تكون آخر الإمبراطوريات وأقواها لابد وأن تعزز نفوذها بالطاقة وتتحكم في مصادرها في العالم العربي، لأنها إن لم تفعل ذلك في

هذه المرحلة بالذات قد لا تستطيع ذلك مستقبلاً لأن التراجع والعجز العربي وصلا ذروتهما وهيأ لها الظروف المناسبة، وقد بدأت بتنفيذ مخططاتها الاستعمارية عندما قررت القضاء على حكومة صدام الذي كان في يوم من الأيام عميلها المطيع، وقد يأتي الدور على آخرين بالقوة أو بالحسنى كما تقول الدراسة.

دراسة أخرى تقول أن المسيطرين على الحكم في أميركا هم في الأصل ممثلون لشركات تدعي أنها عالمية لكن في الحقيقة هي تستخدم الأموال الأجنبية وبالذات الثروات العربية إذ أن أكثر الأموال المتكدسة في البنوك الأميركية هي في الأصل أموال عربية، ومن خلال هذه الدراسات نستنتج أن الوكيل المعتمد للولايات المتحدة الأميركية لقهر وإذلال الشعوب العربية هو إسرائيل وما دعمها المتواصل لها والسكوت عن تجاوزاتها إلا لعكس قوة وصورة أميركا الحقيقية التي تريد بها إضعاف الدول العربية والتحكم في ثرواتها، وإن كان العجز العربي كما يقال متفقا عليه.

رغم كل هذا ما زالت هذه الأمة بخير ما دام فيها شرفاء في فلسطين ولبنان يضحون ويقاومون القهر والظلم اللذين يتعرضون لهما يومياً، وما زال هؤلاء، الرجال هم بارقة الأمل لشباب هذا الجيل الذين يتابعون يومياً المجازر التي يتعرض لها الأبرياء في مختلف أنحاء وطننا العربي، والذين يتساءلون أين الضمير العربي؟ وأين اتفاقية الدفاع المشترك وأين جامعة الدول العربية من كل هذا؟ ولكن هل سيكتفون بالتساؤل فقط أم سيكون لهم رأى آخر ولو بعد حين يفاجئون به المستعمر الجديد وكل من يتشدد له أو يحتمي به؟ وأخيراً إذا كان مجلس الأمن قد أصابه الشلل كما يقال، فإن جامعة الدول العربية قد فقدت الذاكرة، أو ربما تحتضر.

تساؤلات حول أحوال الأمة

مؤخراً تلقيت عدداً من الرسائل عبر البريد الالكتروني يدور مجملها حول ما يجري في بلاد العرب والمسلمين وحول القتل والدمار اللذين لا يصيبان إلا الدول العربية والإسلامية، إضافة إلى الهجوم العنيف الذي تشنه بعض وسائل الإعلام الغربية على الإسلام منذ فترة.

ولأن التاريخ المعاصر لا يذكر لنا موقفاً موحداً رداً على مثل هذه الهجمات، تطاولوا أكثر وأكثر حتى وصلت الإهانة إلى شخص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، مع ذلك عجز المسلمون والعرب خاصة عن توحيد كلمتهم وإصدار رد قوي على الأقل، ربما هم في انتظار أن يجتمعوا ويتشاوروا، ويعقدوا قمة، وبعدها سوف يردون كعادتهم بالاستنكار، أو الإدانة ليس إلا، وهذا إن حصل فهو أضعف الإيمان!

إحدى الرسائل تقول: إن المسلمين وعلى رأسهم العرب أصبحوا أمة مستباحة لدى الكل بسبب ضعف مواقف بعض الحكومات العربية وعدم قدرتها على معالجة مشاكلها الداخلية وتجاهلها لإرادة شعوبها التي طفح كيلها، وأصبح أكبر طموحها، توفير المأكل والملبس من أجل الحياة، حتى التعليم أصبح رفاهية لا يمكن الحصول عليه في بعض الدول بعد أن كان حقاً في حقوق المواطنين على الدولة توفيره للجميع.

لذا فالحكومات العربية هي السبب الرئيسي في الضعف الذي وصلنا إليه، بعد أن نجحت في كتم أصوات شعوبها بالقمع أو السجن، حتى أصبحت هذه الشعوب عاجزة حتى عن الخروج في مظاهرات كما كان

يحصل في ما مضى.

هذا كان مجمل ما جاء في إحدى الرسائل حول التحديات التي تواجه الأمة العربية كما جاء في عنوانها، وينهي صاحبها رسالته بالجزم بأن الحكومات العربية غير قادرة على مواجهة هذه التحديات ما دامت تتعامل معها بمنظور إقليمي، وليس في إطار رؤية عربية أو إسلامية مشتركة.

وأنا أتساءل: هل بقي للمسلمين وفي مقدمتهم العرب مكانة بين شعوب العالم؟ هل بقي للعرب احترام بين الشعوب الإسلامية التي كانت في يوم من الأيام تفتخر بهم وتؤمن بقدراتهم، وتعتقد بأنهم في مقدمة الأمم، وأنهم خير أمة أخرجت للناس؟ ماذا بقي لهم، حكومات وشعوباً، بعد أن وصلوا إلى هذا الحد من الضعف والانكسار؟ ماذا يجري في أوطاننا وإلى أين نحن ذاهبون؟

ولماذا نحن دون غيرنا نتعرض لكل هذه الضغوطات والمآسي؟ من العراق إلى الصومال والسودان مروراً بلبنان ثم أفغانستان وباكستان، وعلى رأسهم فلسطين المحتلة التي كانت قضيتنا القومية العربية الإسلامية فأصبحت القضية الفلسطينية ومن يدري قد تتقلص وتصبح قضيتين، قضية الضفة، وقضية قطاع غزة، ولماذا الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة يتعاملون معنا بهذا الأسلوب؟

هل لضعفنا حكاماً وشعوباً أم لإدراكهم بأننا لا نرضخ إلا أمام الأمر الواقع أم طمعاً في ثرواتنا التي لا تعد ولا تحصى مع ذلك فإن الشعوب العربية والإسلامية من أكثر الشعوب معاناة وفقراً، لأن ثرواتنا مع الأسف بدونهم وبدون قدراتهم الفنية واستغلالها في أسواقهم لا تساوي شيئاً، وهذه هي الحقيقة التي لا نستطيع إنكارها، فأين المسلمون والعرب

من الصناعة لاستغلال ثرواتهم الطبيعية.

هل هم أقل قدرة ونضجا من الشعوب الأخرى أم أن إمكانياتهم العلمية وقدراتهم الإبداعية أقل، لا أعتقد ذلك فهم أحفاد قادة كانوا في عصور الظلام مشعل الحرب والإبداع والتقدم العلمي، وحتى في عصرنا الحالي كثير من علماء الغرب وأميركا هم من أصول عربية وإسلامية، ويديرون مؤسسات علمية خارج أوطانهم في مجالات الطب والفلك والفضاء وغيرها، مع أن أوطانهم الأصلية تزخر بثروات طبيعية.

وإمكانيات مادية تحلم بها شعوب أخرى لكن قدرهم أن تكون إنجازاتهم فردية وتنسب إلى دول أخرى بعد أن عجزت أوطانهم عن احتضانهم. وحتى لو سلمنا بأن هناك دولا لا تريد لنا التقدم والازدهار ولها أهداف ومصالح إلا أنها لا تتحرك إلا لأن الطريق أمامها ممهد من قبل الحكومات التي أغلبها لا ينبثق من الشعب ولا يعبر عن رغبته، فهم في وادٍ والشعوب في وادٍ آخر.

وهذا التناقض بين مواقف الشعوب والحكومات هو الذي شجع ويشجع أميركا وغيرها على فرض السيطرة والهيمنة على الدول العربية والإسلامية، وهو الذي جعل مثل هذه الدول لا تنعم بالاستقرار وشعوبها لم تحقق إنجازاً يذكر.

فلنأخذ مثلاً باكستان الدولة الإسلامية مقارنة بدولة جارة لها وهي الهند، واللتين كانتا جزءاً واحداً، فالهند وصلت إلى مكانة تنافس فيها الأقوياء بالعلم في كثير من المجالات، ورغم أن الهندوس يمثلون أغلبية السكان إلا أن رئيس وزرائها الحالي من السيخ وهم الأقلية حيث لا تتعدى نسبتهم حوالي 2٪، ولم يتجرأ أحد على فرض أي قرار عليها أو تهديدها،

لأن نظام حكمها يدار بإرادة الشعب، فهو الذي يختار من يناسبه ويحقق طموحاته، أما باكستان فمنذ استقلالها لم يستقر نظام حكمها، ولم ينعم شعبها يوماً بالاستقرار والأمان، لماذا؟!

ولنأخذ مثالاً آخر، اندونيسيا أغنى الدول الإسلامية في شرق آسيا بثرواتها البترولية مع ذلك فشعبها من أفقر الشعوب بسبب الديكتاتورية والفساد وحكم الفرد الواحد، مقارنة بجارتها ماليزيا، فتلك شعبها آسيوي مسلم، وهذه شعبها آسيوي مسلم، فلماذا التقدم هنا والتخلف هناك؟ لأن القادة في ماليزيا يؤمنون بقدرات شعبهم ويتركون له حرية اختيار من يمثله ويدافع عن مصالحه، وها هي مرة أخرى تجري انتخابات حرة نزيهة تجسدت من خلالها الديمقراطية بفوز المعارضة بنسبة 40٪ من مقاعد البرلمان.

يقول أحد الأصدقاء، وهو خبير اقتصادي إنه زار ماليزيا عام 1978، وكان وضعها الاقتصادي آنذاك سيئاً، وبناء عليه قدمت لها دولة الإمارات قرضاً للنهوض باقتصادها، أما الآن فمن وجهة نظره هي من أقوى الدول اقتصادياً في شرق آسيا مع أنها لا تمتلك ثروات طبيعية سوى زيت النخيل، لكنها استثمرت هذه الإمكانيات للنهوض بالقدرات البشرية التي تم تعليمها وتأهيلها لقيادة البلاد.

والأمر لا يقتصر على ماليزيا بين الدول الإسلامية، فها هي تركيا يحكمها اليوم حزب إسلامي معتدل بعد أن ترك العسكر الحكم وسلم الأمر للشعب الذي اختار بإرادته الحزب الأقدر على حكم البلاد وتحقيق تطلعاته، حزب حقق في فترة وجيزة نمواً اقتصادياً بشهادة الخبراء، بعد أن كان الفساد منتشراً والاقتصاد منهاراً.

حزب يؤمن بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية رغم كل الضغوط التي يواجهها والتصرفات غير المنطقية من قبل أحزاب المعارضة التي تزعم أنها تتصرف باسم العلمانية لكن تصرفاتها ليست إلا للتقرب من أوروبا ومع أنه لديه القوة القانونية الكافية لوقفهم عند حدهم إلا أنه يتعامل معهم بالعقلانية والمنطق السليم، فبالحكمة واحترام الرأي الآخر تتعامل الحكومة التركية مع أحزاب المعارضة المخالفة لتوجهاتها عكس ما يحدث في بعض الدول العربية التي تتعامل مع المعارضة بأسلوب يدمر الدولة والشعب معاً.

وأخيراً أنهي الموضوع بسؤال طرح في برنامج في إحدى القنوات الفضائية العربية يقول: هل تفضل الديمقراطية أم الأمن والاستقرار؟ وكأن الديمقراطية نقيض الأمن والاستقرار أو يستحيل تحقيقهما معاً، مع ذلك فهذا السؤال يجب طرحه على الشعوب الغربية التي تعيش الديمقراطية وعرفت الأمن والاستقرار. أما الشعوب العربية فهي غير معنية بالأمر لا من قريب ولا من بعيد، فأغلبها ما زال يحلم بالديمقراطية، ويتمنى الأمن والاستقرار.

صعود الدول الغنية على حساب الفقيرة

لا شك أن هذا العصر من أجمل العصور للشعوب المقتدرة ومن أكثرها رفاهية، فخلاله يشهد العالم تقدماً وتطوراً منقطع النظير في شتى المجالات العلمية والتكنولوجية، كما في المجالات الصحية والاقتصادية وغيرها، لكن ماذا عن الشعوب الضعيفة والمحتاجة، فهل أسهم هذا التطور والتقدم بشكل أو بآخر في رفع المعاناة عنها.

ففي المجال الصحي مثلاً يسعى العلماء من خلال الأبحاث والتجارب العلمية المتواصلة إلى القضاء على بعض الأمراض المزمنة، أو على الأقل الوقاية منها قبل حدوثها منعاً لتعرض حياة الإنسان للخطر، ولم يقصر العلماء والباحثون في الاهتمام بكل علاج يخص صحة الإنسان فإذا كانوا لم يستطيعوا إلى الآن الحصول على علاج لتفادي خطر التعرض لبعض الأوبئة المزمنة إلا أنهم لم يتركوا شيئاً للصدفة في مجال الوقاية للحد من الخسارة البشرية.

وما ازدياد عدد المستشفيات في كل أنحاء العالم بأطبائها الأكفاء وأجهزتها المتطورة وتوافر أفضل وأحدث العلاجات والأدوية لبعض الأمراض المستعصية، إلا دليل على اجتهادهم المتواصل.

أما فيما يخص المجال الثقافي والتعليمي، فلقد أصبح العلم والمعرفة في متناول الجميع، وبأحدث الوسائل التكنولوجية التي أصبحت شيئاً أساسياً في الحياة اليومية لكل فرد منا بما فيها الاتصالات والمواصلات العابرة للقارات بأسرع وقت وبأحدث وأكثر الوسائل راحة ورفاهية.

وبكل تأكيد فإن هذا التطور والاكتشافات تما بفضل طموح وجهود أفراد وهبهم الله القدرة على الإبداع والابتكار، يعيشون في تحدٍ مستمر مع العلم والزمن من أجل تفادي وقوع كوارث إنسانية، ولن تقف بحوثهم وتجاربهم عند هذا الحد. لكن هل هذا التقدم الصحي والتكنولوجي يخدم الجميع، أم المقتدرين فقط؟ كذلك أصبح العالم أفضل بفضل استعمال الوسائل الحديثة والمتطورة لاستخراج الطاقة والمعادن من باطن الأرض واستخدامها وتوظيفها بأسلوب أمثل.

لكن مع كل هذا وفي ظل التقدم والتطور السريع مازالت هناك شعوب تعيش تحت خط الفقر والتخلف في آسيا وإفريقيا وأميركا الجنوبية، وقد يكونون من أصحاب هذه الأراضي الغنية بالطاقة والمعادن، وليست دول أميركا الشمالية وأوروبا أحسن حالاً، فهناك الآلاف يعيشون نفس الظروف، في الوقت الذي تصرف فيه حكومات الدول القوية المتغطرسة المليارات للاعتداء على الشعوب الضعيفة والسيطرة على ثرواتها، بدلاً من مساعدتها ودعمها لتختار مصيرها بنفسها، وتسخير التقدم والإمكانيات العلمية والاقتصادية التي وصلت إليها للقضاء على الأقل على الفقر والجوع والأمراض في العالم.

فحسب إحصائيات وأرقام نشرتها بعض المنظمات الإنسانية، يعيش ملايين من البشر في ظروف صعبة، وتشير الأرقام إلى ان هناك حوالي 850 مليون شخص حول العالم يعانون من الجوع المزمن، وحوالي 400 مليون طفل يعانون من سوء التغذية، هذا بالإضافة إلى الملايين الذين يموتون بسبب الأمراض المستعصية، كالايدز وغيره، فلماذا إلى الآن لم يتم القضاء على هذه الظواهر التي تحصد حياة الملايين؟ وأين تذهب

ثروات الدول النامية ومن المستفيد منها؟

انها السياسة وحب السيطرة على العالم، واستيلاء الوحوش البشرية على ثروات الشعوب الضعيفة بالقوة والقهر والتواطؤ والظلم وقتل الأبرياء، وكأننا في القرن الواحد والعشرين، قرن التقدم العلمي والتكنولوجي رجعنا إلى العصر الحجري، وأصبحنا نعيش في غابة القوي المتعطش للسيطرة والامتلاك ليأكل الضعيف الذي لا يطمح إلا للعيش بسلام على أرضه، وتحسين أوضاعه، وبكل جبروت يدهسه القوي ويعيش على حسابه ومن ثرواته، مع ان النغمة السائدة من مواقع القوة هي السلم والسلام لشعوب العالم، وتحري

ر الشعوب المستضعفة من سيطرة بعض الحكام الدكتاتوريين لتختار مصيرها بحرية وتحكم نفسها بنفسها، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يتم دعم الشعب الفلسطيني ليحرر أرضه التي اغتصبت منه بالقوة؟ هل يوجد شعب على الأرض يستحق السلم والسلام أكثر منه؟ ألا يستحق على الأقل ان نتركه يقرر مصيره الذي اختاره في انتخابات حرة ونزيهة بشهادة الجميع؟ فإذا حصل ذلك حتماً سوف يتحقق الأمن والسلام والاستقرار الحقيقي للجميع، وللحديث بقية.

العرب وعادات الحيوانات المفترسة

تلقيت رسالة عبر البريد الإلكتروني رداً على موضوع كتبته في »البيان« تحت عنوان: »الأميركيون العرب مكاسب وهموم«.

يقول صاحبها: »إن هموم العرب المسلمين عامة أكبر من هموم العرب الأميركيين، ولو كان المسلمون حالياً يعيشون في ظل الديمقراطية الحقيقية ويتمتعون بحرية التفكير والإبداع، لطغت إنجازاتهم وعمت وأثرت بشكل قوي لأن هذا ما يدعو إليه الإسلام، وما نحتاج له في يومنا هذا.

أعتقد أن هذا ليس رأي المرسل فحسب، بل رأي أغلبية الشعوب العربية والإسلامية، خاصة وأننا نعيش في عصر يشهد ازدياداً مستمراً في عدد المسلمين، فهم يشكلون ثاني أكبر الديانات في العالم.

حيث تمتد الدول الإسلامية من آسيا إلى إفريقيا وأوروبا، فضلاً عن أن المسلمين منتشرون في كل بقاع العالم، مع ذلك فإن رأيهم وقوتهم لا يساويان رأي وقوة دول صغيرة، على الرغم من أنهم ظاهرياً موحدون تحت لواء منظمة الدول الإسلامية.

فمثلاً عدد المسلمين في روسيا والهند أكثر من عددهم في بعض الدول العربية، ففي الهند يصل عدد المسلمين إلى حوالي 300 مليون نسمة، أما في روسيا فيصل إلى حوالي 30 مليون نسمة من أصل 145 مليون نسمة عدد سكان روسيا.

أي أنهم يمثلون 15 من سكان هذه الدولة التي تعتبر الثانية في العالم

من حيث القوة العسكرية، مع ذلك فعندما طلبت الانضمام إلى منظمة الدول الإسلامية رفض طلبها.

عندما يجتمع أكثر من شخصين عربيين في أي موقع في أي حوار، لا بد وأن يتكرر الحديث حول تخلّف العرب المسلمين عن الركب الحضاري العالمي، كما تتكرر الحسرة على تاريخنا الإسلامي خاصة في القرون الوسطى، عندما كان الغرب يعيش في ظلمات الجهل والتخلف، وكان العرب والمسلمون في أوج عزتهم وتقدمهم الفكري والعلمي.

أما في مجال التجارة والصناعة والاكتشافات الطبية، فإن كثيراً من الدول الأوروبية استفادت من هذا التقدم وهذا ما تؤكده كتب التاريخ، بما فيها التي كتبت في الغرب.

وكتاب «عصر أوفا» ملك انجلترا »للدكتور مصطفى حسن محمد الكناني« خير تأكيد على قوة وعظمة التواجد الإسلامي التجاري في أوروبا الغربية في العصور الوسطى، حيث يقول الدكتور في كتابه القيم:

إن الملك أوفا ملك انجلترا الأنجلوسكسونية (757 ـ 796م) أمر في أواخر عصره بضرب دينار على طراز الدينار العباسي يحمل عبارات التوحيد الإسلامية، إلى جانب نقش اسمه »وتوجد حالياً قطعة نادرة منه في المتحف البريطاني«.

ويرجح الكاتب أن يكون هذا الملك العظيم الذي وحّد الأمة الانجليزية وأرعب بقوته الكنيسة البابوية وشارلمان، قد اعتنق الإسلام، وإلا ما سبب قبوله صك دينار يحمل اسمه مع عبارات التوحيد عكس ما كان يعمل به في انجلترا آنذاك حيث كان النقش على العملة لا يتعدى اسم وصورة الملك.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة المسلمين ونفوذهم

وإخلاصهم في نشر الدعوة الإسلامية في ذلك العصر، إلى جانب شطارتهم كتجار لم تلههم تجارتهم عن العلم بأصول دينهم والدعوة إليه، كما يدل على قوة اقتصاد المسلمين، فالدينار الإسلامي كان يتصدر المعاملات التجارية في القرون الوسطى حسب رأي الكاتب.

لكن ماذا حصل؟ لماذا تراجعوا وتقدمت الدول الأوروبية بعد ذلك وتحكمت في العالم بقيادة انجلترا؟ هل بسبب قوة إرادتهم ووحدتهم؟ أم بسبب قدراتهم العقلية؟ أم لأنهم من سلالة لا تعرف التراجع؟

كنا في جلسة مع مجموعة من الأصدقاء نتابع أحد البرامج العلمية على قناة «ديسكفري» وخلاله كان الباحث يعيش وسط حيوانات مفترسة ليكتشف طباعها وعاداتها، كيف تأكل وتشرب.

وكيف تقضي يومها ويراقبها حتى أثناء نومها، علق أحد الحضور قائلاً: إن هذا الرجل مجنون »ما عنده سالفة!« يعرض نفسه للخطر من أجل معرفة عادات حيوانات مفترسة!

وفي رأيي أن كثيرين من العرب يفكرون بهذه العقلية لأنهم تعودوا على ثقافة الكسل والاعتماد على الغير لاكتشاف ما يدور حولهم، وحتى لحل مشاكلهم!

هل رأيتم في عصرنا الحالي عربياً اكتشف سراً من أسرار الكون في الوقت الذي مازال ابن بطوطة يعتبر فيه الرحالة العربي المسلم الأول في العالم الذي غامر واجتهد ليكتشف أسرار المدن وعادات وطبائع الناس، وكان له السبق في فتح هذا الباب أمام الرحالة الغربيين.

أليس هذا جزءاً مما وصل إليه العرب والمسلمون الأوائل في مجال العلم والمعرفة، ثم التقط الغرب انجازاتهم وتوسع فيها وكان لها دور في

نهضته، فيما اكتفى العرب والمسلمون بالعيش على أمجاد أسلافهم والحسرة على ذلك الزمن الجميل!

والحقيقة أن التقدم الذي عرفه الغرب كان سببه إطلاق الحريات للشعوب، وفتح المجال أمام المفكرين والمبدعين للاجتهاد والبحث واعتبار الوطن ملكاً للجميع، والكل له حق المشاركة بإبداء رأيه دون قيد أو خوف.

وممارسة حقوقه كاملة عكس ما أصبحت عليه الشعوب العربية والإسلامية التي وصلت إلى درجة من الضعف لا تستطيع فيها حتى الاحتجاج أو إصدار بيانات كانت كثرتها أهم ما يميزهم عن غيرهم خلال السنوات الماضية!

العرب.. حالة واحدة وأسباب متعددة

سألني أحد الإخوة: لماذا لا تعود إلى كتاباتك السابقة كما كنت تفعل في استراحة البيان عندما كنت تكتب في مواضيع تريح أعصابنا، وتخفف عنا الضغط الذي يشد أعصابنا أكثر مما هي مشدودة؟ ويكفينا ما نشاهده يومياً عبر الفضائيات، ويكفينا متابعة الوضع العربي الذي يتدهور من سيئ إلى أسوأ، فالشعوب العربية ملت هذه الأوضاع التي لا يد لها فيها ولا تستطيع تغييرها ولم تعد تأمل في أنها سوف تتغير.

قلت له: إني مثلك ومثل أي مواطن عربي سلبت مشاعره وأحاسيسه الحالة التي وصل إليها العرب، ولا أستطيع أن أتحول من موضوع إلى آخر، والوضع الذي فرض علينا غصباً مستمر، ان لم نكن نعيشه مباشرة فنحن نتعايش معه عبر الفضائيات مع أن ما تنقله لنا من أخبار هو جزء يسير مما نسمعه مباشرة من بعض المسؤولين أو نقرؤه في وسائل الإعلام الأجنبية.

إن ما يجري في وطننا العربي حالياً لم يشهد مثله التاريخ في أي مكان أو أي زمان مضى، فالقتل والدمار والفقر والجوع والجهل والبطالة كلها اجتمعت في هذا الوطن مع أنه من أغنى الأوطان، حتى وصل بنا الحال إلى الاقتتال فيما بيننا، فإذا فرضنا أن ما يحصل في العراق من صناعة الاحتلال، فماذا عن فلسطين وما يجري من مؤامرات وقتال بين أهم كتلتين من مسؤوليتهما تحرير وطنهما والعمل على توفير حياة كريمة لأبنائه.

وكأن هذا غير كافٍ، فها هو لبنان بات على حافة حرب أهلية قد لا يعود

من آثارها كما كان، والدور قادم على دول عربية أخرى، وبوادر الخلاف والانشقاق بدأ الإعداد لها ويعدون لذلك اليوم القريب.

لكن من السبب في كل هذا؟

هل هي الثروات العربية وأطماع الآخرين فيها؟

هل السبب الحكام وبعض المسؤولين المتواطئين خوفاً على كراسيهم؟

أم السبب الشعوب العربية واستسلامها؟؟.

لا شك أن هذه الأسباب مجتمعة تشترك بشكل أو بآخر فيما وصلنا إليه، ولعل الدافع الأكبر والسبب الأبرز هو الثروات العربية والتي تعتبرها الدول الكبرى حقاً مشروعاً لها وتتناوب المنافسة عليها فيما بينها. وها هي فرنسا بعد أن عارضت الحرب على العراق، وتوهمنا كعادتنا أنها خائفة على مصالحنا أدركت مؤخراً أنها ارتكبت غلطة كبرى فهرول رئيسها الجديد لمد يد الشراكة إلى أميركا. وقد يكون لبنان بداية لهذه الشراكة التي تتقاسم فيها الدول العظمى المصالح وتستمر من خلالها معاناة أبناء البلد الواحد.

وهذا يجوز لهم ما دامت الأراضي العربية لا مالك لها، ولا مدافع عنها، وما دامت الشعوب العربية لا حيلة لها ولا أمر بيدها، فبالاستسلام أو بالمؤامرات فُتحت لهم جميع الأبواب لكي يتحكموا كيفما شاؤوا.

إن آخر موقف جمع الدول العربية بعد تاريخ طويل في الانقسامات والاختلاف، كان الإعلان عن المبادرة العربية للسلام لحل أبرز واهم قضاياهم، ألا وهي القضية الفلسطينية، مع أن هذه المبادرة أُجهضت قبل أن ترى النور، ورغم ذلك تم في القمة العربية في الرياض التأكيد عليها حيث كان قد أطلقها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل

سعود في قمة بيروت.

وكان الرد الفوري الأميركي بعد قمة الرياض سلبياً، أما إسرائيل فبتسلطها المعهود رفضت المبادرة وردت عليها بالاستمرار في عدوانها، لم لا، فقوّتُها ونفوذها لا حدود لهما، فهي محمية ومؤيدة من أكبر قوة في العالم، وعلاقاتها قائمة ومعترف بها من أكبر دولة عربية وهي مصر والتي تتعامل معها كأمر واقع، بل أحيانا كدولة صديقة، هكذا بكل بساطة!!.

فماذا كان يجب أن نتوقع رد إسرائيل على المبادرة وهي تعلن بين فترة وأخرى سعي بعض الدول العربية لإقامة علاقات معها، لذا هي متأكدة أنها سوف تحصل على كل شيء دون أن تتنازل أو تدفع أي شيء.

ثم هل كان عند العرب البديل في حال رفض إسرائيل المبادرة؟ هل يعتبرون هذه المبادرة إنجازاً اجتهدوا وتعبوا على تحقيقه طوال سنين المعاناة من الصراع العربي الإسرائيلي؟.

هل كانوا يعتقدون أن أميركا سوف تقف إلى جانبهم وتدعم مبادرتهم؟؟ مع الأسف أميركا أجابت عنها دون تردد وقالت وجهة نظرها في الماضي والحاضر والمستقبل: إنكم يا عرب ضعفاء ولا تملكون أي شيء تقدمونه لإسرائيل لتقبل به، وأكدت رأيها على الواقع وهو ما نشاهده في محاولة لتقسيم فلسطين بفصل الضفة عن غزة، والآتي وما يتم التخطيط له أسوأ.

فإذا كنا انتظرنا طول هذه السنين، ولم تطلع لنا الدول العربية إلا بهذه المبادرة اليتيمة لحل النزاع العربي الإسرائيلي، فلربما تشهد الأجيال القادمة مبادرة جديدة قد تقتنع إسرائيل بها. أو يفرضونها عليها!!.

واختتم الموضوع برسالة وردتني عبر البريد الالكتروني وهي من فرنسي من أصل جزائري يقول: بعد الانتخابات الأخيرة في فرنسا تمنيت لو كانت الجزائر جزءاً من فرنسا فلربما أصبح الآن مسلم من أصل جزائري رئيس دولة لها رأي وإرادة وكلمة مسموعة ألا وهي جمهورية فرنسا.

ولربما أعاد إلينا الإحساس بالعزة والكرامة اللذين افتقدناهما منذ الفتوحات الإسلامية، لم لا؟ وسيدة من أصول مغاربية وصلت إلى كرسي الوزارة وليست أية وزارة إنما وزارة العدل في حكومة ساركوزي. واختتم رسالته قائلاً: لكن حتى لو حكمنا رئيس فرنسي مسيحي بالعدل والديمقراطية، لكنا أحسن حالاً مما نحن عليه!.

خطوة من أجل تحطيم قيود التخلف

تلقيت رسائل عبر البريد الإلكتروني تعلق وتعقب على ما كتبته حول مبادرة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وهذه المبادرة التي وصفها أخ عربي يعيش في أوروبا بأنها مبادرة خلاقة بحق، فإن نجحت قد تخلق جيلاً يمتلك الإرادة والقدرة، جيلاً يبدع في العلم والمعرفة، وتقول رسالة أخرى تعقيباً على تحرير العقول العربية، كيف نطلب من الحكومات العربية التي لا تمتلك حرية قراراتها أن تطلق حرية تفكير شعوبها؟ فهي المتسببة والمسؤولة عن عرقلة الحريات وإبداعاتها. ويقول أميركي من أصل عربي: كلما حاولنا نحن العرب الأميركان تغيير صورة العرب هنا، وتغيير شأنهم الحالي بإبداعات فردية وأفكار مبتكرة، وبإظهار حضارة العرب والمسلمين والتقدم والسبق الذي حققوه في مختلف المجالات فيما مضى، خاصة المجال العلمي، وتقدمنا خطوة في الأمام، أخرتنا الحكومات العربية بمواقفها الضعيفة وسلبيتها عشرات الخطوات.

يقول أحد الخبراء العرب المتخصصين: إن عدد براءات الاختراع المسجلة باسم العرب لا تزيد على 600 براءة في دول يزيد عدد سكانها على 300 مليون نسمة ومساحتها تفوق مساحة أميركا الشمالية والجنوبية، أما إسرائيل العدو الدائم للعرب، بمساحتها الصغيرة وعدد سكانها القليل وصل عدد براءات الاختراع المسجلة باسمها حوالي، فما سر تفوقها على العرب؟

إنها بكل تأكيد الحرية والديمقراطية، واحترام الرأي الآخر ولا يوجد

من هو فوق المحاسبة، والتصرف في حالة الاختلاف داخل اسرائيل، بالعقل والحكمة واحترام رأي الأغلبية وليس بالقهر والسجن كما تفعل بعض الحكومات العربية، ويالليتها وفرت قوتها التي لا تستخدمها إلا لقهر شعوبها لمواجهة عدوها اللدود، أو على الأقل التصدي له، لكان لنا شأن آخر، ولما تطاولت إسرائيل وتمادت في طغيانها وجبروتها.

يقول أحد الكتاب اللبنانيين: إن الحكومة اللبنانية شعارها «أنتم أحرار اكتبوا ما بدكم، وسوف نفعل ما بدنا» ورغم ذلك تظل مساحة الحرية والديمقراطية في لبنان أكبر من أية دولة عربية، أو إسلامية أخرى، وإلا ما الذي يمكن أن نفهمه من قول أحد المسؤولين في دولة إسلامية حين قال: إن الديمقراطية لا تصلح في المناخ والجو الحار؟!! فهي ناجحة في أوروبا لأنها تحتاج إلى جو بارد، أي منطق هذا؟ وأية تجارب علمية أو نظرية أثبتت ذلك؟ وإذا كان الأمر كذلك، فالهند وماليزيا يقعان في القطب المتجمد الشمالي.

هذا هو الشعار المزيف الذي يختبئ وراءه بعض الحكام والمسؤولين. أما شعارهم الحقيقي فهو الخضوع والخنوع للغرب وقوة الغرب، ولو سلمنا بذلك فلن نستطيع صنع إبرة خياطة. إن ما يجري من تهويل وتحذير حول سعي إيران لامتلاك أسلحة نووية، وقدرتها على تخصيب اليورانيوم لدليل قاطع على الخضوع والاستسلام الذي وصل إليه العرب، فأميركا ليست خائفة على دول المنطقة كما تدعي، بل هي خائفة على مصالح وقوة إسرائيل واستمرارية وجودها.

إسرائيل التي لا تريد إلا دولاً عربية وإسلامية ضعيفة تتحكم فيها كما تشاء، وكما هو الحال في أيامنا هذه، ولو حدث وقامت دولة عربية

بالتفكير في تخصيب اليورانيوم ولو لأغراض سلمية، لأقامت إسرائيل الدنيا ولم تقعدها، ووقفت معها وساندتها أميركا والدول الغربية، لأنهم يعتبرون العرب والمسلمين إرهابيين، والدول العربية إرهابية لا يسمح لها بالتطور والتقدم في أي مجال لأنهم سيسيئون استخدامه، فهم اخترعوا نظام العولمة للتقارب والتواصل والشراكة بين كل دول العالم باستثناء العرب، اخترعوها ليسيطروا عليهم لأنهم في نظرهم ليسوا أهلاً ليكونوا نداً لهم. فلماذا لا نرد عليهم بإطلاق الحريات وإعطاء الفرصة للإبداعات والابتكارات العربية؟ فالعرب والمسلمون هم الذين أناروا دروب العلم والمعرفة للشعوب التي أتت بعدهم، لكن مع الأسف انقلبت الموازين وأصبحت الشعوب العربية الآن لا تشعر باليأس والإحباط فقط، إنما بالإهانة والاحتقار أمام باقي شعوب العالم حتى الاقل منها إمكانيات.

وأختتم موضوعي برسالة يقول صاحبها: استمروا يا أبناء الإمارات في نشر المبادرة، ومادام صاحبها تشهد له عزيمته وتصميمه، فإنها لن تموت بسبب ضعف العرب، ويقترح إنشاء مجلس قومي لها على مستوى الوطن العربي، مجلس له كل الصلاحيات بموجب قانون واضح لايدع مجالا للتلاعب وتدخل الحكومات العربية. وتتم من خلاله الاستعانة بعلماء وخبراء ومتخصصين من عرب وأجانب لدعمه، وإنشاء مركز رئيسي للبحث العلمي في إحدى الدول العربية ودولة الإمارات أولى، مع إنشاء فرعين له أحدهما في المغرب العربي والآخر في المشرق العربي، ويختتم رسالته بالدعوة إلى العمل والاجتهاد لتحقيق أهدافها النبيلة ومطالبة الدول العربية كل حسب إمكانياته وقدراته بالمساهمة والدعم لتنطلق هذه المبادرة بقوة وتكون بداية الصحوة العربية.

صفقة الموانئ الأميركية

في زمنٍ أصبح فيه العرب يعيشون على هامش المجتمع الدولي، مع انهم اقتصادياً يعتبرون من الدول الغنية بما يمتلكون من ثروات طبيعية كالنفط والغاز اللذين تتهافت عليهما الدول الكبرى، ومصادر زراعية وسياحية.

وهذه أهم معايير الغنى في الدول والمجتمعات. مع ذلك فإن الدول العربية فشلت في استثمار واستغلال مصادرها هذه، وتنمية أموالها المتكدسة في الخارج في مشاريع اقتصادية تستقوي بها سياسياً وتعزز مكانتها ومكانة شعوبها داخلياً وخارجياً.

لكن مع الأسف مازالت المؤسسات العربية في الخارج تدار بواسطة شركات وبنوك أجنبية، فالعرب لم يشكلوا ولو مرة واحدة قوة اقتصادية وسياسة موحدة، اللهم الاّ بعض الافراد الذين حاولوا ونجحوا باجتهادات شخصية. فهل السبب هو ان الإدارة العربية إلى الآن غير مؤهلة للمنافسة ولا تستطيع مسايرة العالم المتحضر؟!

ألم يحن الوقت ليستفيد العرب من نظام العولمة والانطلاق حسب متطلباتها؟! ان لم يكن في استطاعة الدول العربية مجتمعة انشاء شركة ضخمة للانخراط في مشاريع وصفقات عالمية، ألم يكن في استطاعة الدول المقتدرة منها القيام بذلك بدلا من إيداع اموالها في بنوك أجنبية مقابل أرباح لا تسمن ولا تغني وتستفيد منها الدول الغربية وتتصرف بها كيفما تشاء!

كان لابد من هذه المقدمة للدخول في الموضوع الذي شغل الرأي العام الأميركي والعربي مؤخراً، وهو إدارة شركة موانئ دبي العالمية لستة موانئ في الولايات المتحدة الأميركية.

وتعتبر هذه الصفقة تاريخية، وأكبر مما يتصوره البعض، فلأول مرة ستدير مؤسسة عربية إماراتية موانئ أكبر دولة في العالم، ويكفينا نحن أبناء الإمارات ان نعتز ونفتخر بهذا الإنجاز الذي يعد الأول من نوعه، مهما كانت الاعتراضات والبلبلة التي أثيرت حوله وحالت دون المضي به قدماً.

اما بالنسبة للعرب فلقد حان الوقت للاقتداء بمثل هذه الخطوة وتوحيد الجهود في مجال الاقتصاد والاستثمار على الأقل، وإنشاء شركة عالمية قوية لتكون بداية لإنجازات مستقبلية وحافزاً للمنافسة. لم لا؟ فالعرب يمتلكون خبراء وعقولاً وكفاءات علمية واقتصادية وتجارية لم تحصل على فرصة في أوطانها، فاصبح نجاحها ينسب لدول أخرى بحكم امتلاكها جنسيات أجنبية.

اما بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية فالمتابع لهذه الصفقة منذ بدايتها يرى ويقرأ العجب عبر وسائل الإعلام، حيث انقسمت الآراء إلى مؤيد ومعارض، وكان من بين المعارضين أعضاء في الكونغرس الأميركي لاسباب غير منطقية وغير مبررة إلا أنها زادت من شهرة دبي والإمارات.

وجاء الرد على هؤلاء سريعاً ومن أكبر مسؤول في الولايات المتحدة الرئيس جورج بوش الذي أكد على دعمه لهذه الصفقة، وهدد باستخدام حق الفيتو لإلغاء أي تشريع يمنعها.

وهذا يحدث لأول مرة من قبل الرئيس بوش خلال سنوات حكمه، لأنه

على يقين بان شركة موانئ دبي العالمية لها القدرة والكفاءة لتنفيذ الصفقة بكل حذافيرها.

إن إدارة موانئ أميركية بواسطة مؤسسات أجنبية ليس بجديد على أميركا، فالكل يعلم ان عدداً منها يدار بواسطة شركات أجنبية منذ مدة، لكن الضجة واعتراض البعض هذه المرة، سببهما الحساسية المفرطة من العرب المنتشرة في أميركا منذ 11-9-2001.

اذ كيف يمكن لمؤسسة عربية إدارة موانئ أميركية، بالرغم من ان شركة موانئ دبي العالمية تمتلك شركة بي اند او البريطانية المعروفة في أوروبا وأميركا.

إلا ان اعتراض هؤلاء غير واقعي فمنهم من اثار مسألة الأمن وكيف يمكن الوثوق بالعرب وتسليمهم إدارة موانئ أميركية، ومنهم من شكك في القدرات العربية، لكن منهم أيضاً من دافع عن الصفقة وأكد كفاءة شركة موانئ دبي العالمية والتزامها بكافة معايير الإدارة الناجحة لأن امن الموانئ من اختصاص السلطات الأميركية.

ان ما جرى تداوله في أميركا حول هذه الصفقة أمر طبيعي ويدخل ضمن حريات الرأي والمنافسة بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي، وان كانت بعض الآراء جعلت منها قضية لا وجود لها أصلاً. مع ذلك مهما كانت النتائج فان هذا يعتبر نجاحاً وإنجازاً للإمارات والعرب.

غزة أزمة الإنسانية كلها

إن عواقب الصمت أكثر خطورة من أسبابه، وهذا ما ينطبق على واقعنا العربي، والصمت الذي أقصده لا تكسره بيانات التنديد والاستنكار، لأنها لم ولن تحقق شيئاً، فعام يذهب وعام يأتي وأعوام العرب كلها نكبات منذ 48 وحتى 2009، والفلسطينيون يعيشون نكبة تلو النكبة، والعرب صامتون ويشاهدون ما يحصل لهم وكأنهم يتابعون أفلاماً سينمائية، دون أي تحرك أو ضغط إيجابي، اللهم إلا مظاهرات استنكار هنا واحتجاجات هناك، ومن ثم الكل يذهب إلى منزله ليرتاح، والفلسطينيون يُذبحون كالأغنام والمأساة مستمرة.

أقول لأهلنا في غزة إن الله معكم، وللشعب الفلسطيني لا تعتمدوا كثيراً على العرب لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فلم تعد لنا عزة ولا كرامة حتى للتحرك من أجلكم، أما الشهامة العربية، فلم نعد نعرف لها معنى إلا ما ندر، بل أصبحنا نقرأها في بطون الكتب التاريخية فقط، هذا إن كنا نقرأ!

فبسبب سكوتنا وصمتنا ينظر إلينا العالم ليس كشعوب متخلفة فحسب، بل كشعوب تعيش على هامش الحياة. فكيف نمد لكم يد العون والمساعدة؟ لقد اعتمدتم على العرب سنوات وسنوات فماذا جنيتم؟ احتلت أراضيكم أكثر وأكثر، وتركوكم تواجهون مصيركم لوحدكم دون مأوى أو سند. تركككم العرب للإسرائيليين، لأنهم مشغولون بأمور أخرى يبدو أنها أهم من قضيتكم.

أما الشعوب العربية فمتى كان لها دور إيجابي أو حتى سلبي في

أوطانها حتى تقدم لكم الدعم والمساندة؟ ومتى كان لها رأي في تشكيل حكومة حتى تحاسبها أو تضغط عليها أو حتى تطالبها بدعمكم؟

بالعكس الإسرائيليون هم الذين يتلاعبون بأرواح ودم الأبرياء في غزة من أجل كسب رضا الناخب الإسرائيلي، فكل حزب يريد الوصول إلى الحكم على حساب الشعب الفلسطيني، وهم يعلنون ذلك بكل وقاحة.

فيا أهل غزة لا تنتظروا من العرب خيراً كثيراً فما عليكم إلا متابعة المقاومة حتى النصر بإذن الله.فها هي شعوب العالم العربي والإسلامي والغربي تحركت من أستراليا إلى أميركا لمناصرتكم والتنديد بالعدوان الإسرائيلي الغاشم، وهذا يحدث لأول مرة بهذه القوة.تحركت شعوب القارات الخمس من أجلكم، ولم يكن ليتم ذلك لولا تضحياتكم ودماء شهدائكم.

ولأول مرة تحتل أخبار غزة جميع الفضائيات العالمية والعربية، واجتهدت بعضها في تقديم تغطية شاملة على مدار الساعة لما يحصل من عدوان على غزة، وبذل مراسلوها جهداً لإيصال صورة الكارثة اللاإنسانية بكل المقاييس، وهناك فضائيات تعطي الفرصة لمحللين ينطقون باللغة العربية وهم بعيدون كل البعد عن العروبة، لكنها تسكت كل من يتهم بعض الحكومات بالمسؤولية، فاذا لم تكن بعض الحكومات مسؤولة عمّا يجري في غزة، فمن المسؤول؟ هل هو الشعب المغلوب على أمره؟ وإذا لم تنتقد تلك، الحكومات فننتقد من؟

وهل عندما تنتقد حكومة جورج بوش يقلل ذلك من دور الشعب الأميركي؟ فالذنب ذنب الحكومات فهي التي من المفروض أنها تتكلم باسم الشعب، وتتخذ القرارات لصالحه، وتضغط أو تحارب من أجل مصالحها،

أما إسكات الأصوات فلا وجود له إلا في الدول العربية.

لذا فالحكومات تتحمل مسؤولية ما يجري في غزة، وهي تعرف أن احتلال إسرائيل للضفة والقطاع هم السبب فيه. وبدلاً من إلقاء اللوم على أهل القطاع لمقاومتهم الاحتلال الذي حاصرهم ومستمر في تدميرهم، عليهم على الأقل إن لم يكونوا قادرين على الحرب ضد إسرائيل، أن يقولوا لها بصوت واحد اخرجي من الأراضي المحتلة، وهذا أضعف الإيمان.

أهذا واجبهم أم واجب بعض الحكومات الأوروبية التي يتحرك مسؤولوها في كل جانب لمحاولة وقف العدوان.

لكن رغم كل ذلك فالنصر قادم يا فلسطين، وعليكم ألا تيأسوا أو تستسلموا يا أهل غزة. فبعزيمتكم وصمودكم، وإصراركم وتضحياتكم ستنتصرون.

وبوقوف رجال يؤمنون بقضيتكم، ويدافعون عن حقوقكم ويتحركون من أجل نصرتكم في كل مكان أمثال «جورج غالاوي» ستنتصرون.. وبوجود دولة إسلامية كتركيا بموقف رئيس وزرائها ستنتصرون.. وبموقف شجاع ونبيل كموقف رئيس فنزويلا ستنتصرون.. وباستمرار صحوة الشارع العربي ستنتصرون.. فالنصر قادم بإذن الله.

في مثل هذا اليوم .. كان العرب

في مثل هذا اليوم من عام...؟ بدأ العالم باستخدام اللغة العربية كلغة رسمية للتعاطي والتخاطب، حيث تعززت مكانة العرب أقوى مما كانت في قرون مضت عندما كانوا في عز مجدهم وقوتهم العلمية والفكرية والثقافية والعسكرية!!

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ رفع العلم العربي الموحد في جميع المدن العربية احتفالاً بعيد الدولة الموحدة!!

● في مثل هذا اليوم في عام...؟ احتفل العرب بالذكرى الخامسة لتوحيد قواهم السياسية والاقتصادية والعلمية التي أبهرت العالم واعترف بقوتهم وقدراتهم بعد أن نشروا نظام العوربة الجديدة!

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ تم إطلاق 3 أحزاب جديدة في الدولة العربية الموحدة «اتحاد الدول العربية» تحت شعار لا تنازل عن حقوق الشعب العربي الشرعية ويطالبون بطرد كل مغتصب أو مهجر مازال يعيش على الأراضي العربية.

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ اضطرت إسرائيل للاعتراف بالهزيمة أمام القوات العربية الموحدة وأقرت بالاستسلام غير المشروط!!

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ اعترف العالم بقوة العرب وتعهد بالتعاون معهم!!

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ اللوبي العربي في الولايات المتحدة الأميركية يتفوق على اللوبي الصهيوني ويكسب معركة سياسية لصالح

العرب واعترف نائب صهيوني بأن اللوبي العربي أثبت مكانته وانتشر بقوة في الولايات المتحدة الأميركية.

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ قدمت الولايات المتحدة الأميركية اعتذاراً رسمياً للدولة العربية الموحدة وأبدت أسفها عن كل الضحايا العرب الذين سقطوا خلال الحروب!!

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ اضطر العالم لتطبيق نظام حقوق الإنسان وحرية التعبير المعمول به في اتحاد الدول العربية منذ خمس سنوات.

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ حصل العالم العربي ابن العوربة على جائزة نوبل عن اكتشافه لأحدث علاج لفيروس العولمة!!

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ تابع العالم انطلاق مركبة فضائية عربية في وكالة الفضاء بمدينة المنكوبة العربية على متنها طاقم عربي بقيادة العالم مقهور ابن مظلوم إلى كوكب جديد لم يكتشف من قبل!!

● في مثل هذا اليوم من عام...؟ اختار الشعب الأميركي مسلماً من أصول إفريقية رئيساً للولايات المتحدة الأميركية وكما يقال لم ينكر إسلامه ويفتخر بأصوله!

● في مثل هذا اليوم من عام..؟ قررت بعض الدول الغربية بدء العلاج بالصدمة لعدم قدرتها على مجاراة التقدم العربي في جميع المجالات.

● في مثل هذا اليوم اخترع الغرب فكرة «كذبة أبريل» للتسلية ولم يكن يدور في خاطرهم أنه في القرن الواحد والعشرين سوف يتفشى الكذب بهذا الشكل ويمارس يومياً على الشعوب، تارة بكذبة الديمقراطية والإصلاح وتارة بكذبة الإرهاب والقضاء عليه، وهكذا أصبح العالم يدار

بالكذب والخداع، فها هي أميركا غزت العراق منذ خمس سنين، بكذبة مكشوفة وهي امتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وبكذبة مستترة كان ذلك لحماية إسرائيل، الدولة الضعيفة والمغتصبة والمظلومة!! المستبدة، التي تمتلك واحدة من أكبر الترسانات النووية في العالم، فمن أجل عيونها اخترعت كل أنواع الكذب في هذا القرن!!

ولو توقع مخترعو كذبة أبريل ذلك لاخترعوا يوماً للصدق يستمتع به الإنسان ولو مرة في السنة!!

أخيراً في مثل هذا اليوم من عام 2004 كتبت أمنيات يحلم بها كل مواطن عربي لكنه لن يراها أبداً على أرض الواقع، واستوقفني صديق بقوله: من يدري قد يتحقق ذلك عام 3004!! مع إني اليوم وبوضعنا الحالي أجزم بأن ذلك لن يتحقق، وعلى الأجيال القادمة خاصة، أن لا تتعلق بأمل كاذب قد تكون عواقبه أشد من الأكاذيب التي نعيشها حالياً.

إلا أننا وسط الأزمات والانكسارات التي نشهدها في هذا العصر، نبحث عن بريق أمل حتى لو كان كذبة أول ابريل، لنصدق أننا نعيش واقعاً مريراً.

عطاء بلا حدود لآل مكتوم في إفريقيا والعالم

تشرفت ومجموعة من الشخصيات بمرافقة سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم نائب حاكم دبي وزير المالية في رحلة إلى أديس أبابا عاصمة أثيوبيا، حيث كرم رؤساء الدول الإفريقية سموه أثناء انعقاد مؤتمر القمة الإفريقية هناك عرفاناً منهم بما قدمه سموه لهذه الدول من أعمال جليلة عن طريق هيئة آل مكتوم الخيرية التي أسسها سموه عام 1996.

منذ إنشائها والهيئة تقدم أعمالاً خيرية في جميع أنحاء العالم ومنها القارة الإفريقية وعلى رأس أولوياتها دعم التعليم لمساعدة الفقراء ورفع مستوى معيشتهم. وكأي عمل خيري جليل لابد أن يسجل التاريخ لصاحبه إسهاماته في هذا المجال. كما أن دولاً ومؤسسات رسمية وشعبية تقدر وتثمن هذه الجهود، لذلك لم يجد رؤساء دول إفريقيا أحسن من هذه المناسبة لتكريم شخص سموه.

منذ أن بدأت الهيئة العمل في إفريقيا عام 1998، وهي قائمة بدورها الايجابي تجاه أبناء هذه القارة دون تمييز بين دولة وأخرى، أو ديانة أو عرق، فقد قامت إلى الآن ببناء 37 مدرسة في 22 دولة إفريقية.

ومازال عدد من المدارس قيد الإنشاء، حيث قدمت هذه المدارس فرصة وحقاً من حقوق الحياة للفقراء وبالذات الأيتام منهم، منها 14 مدرسة ثانوية خصصت 8 للبنات و6 للبنين و23 مدرسة مختلطة.

وبعض هذه المدارس يشمل سكناً داخلياً للطلاب.

وكما تقول الإحصائيات فإن المدارس تضم حوالي 13000 طالب وطالبة، كما تقدم برامج لتعليم الكمبيوتر ومحو الأمية للكبار، بالإضافة إلى فصول لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية، وتوفر للأيتام، ونسبتهم كبيرة بين الطلاب، السكن والغذاء والعلاج المجاني. كما تقوم هذه المدارس بتوفير فرص عمل للعنصر النسائي. ويقول بعض الطلبة من المتفوقين إنهم يودون الالتحاق بالجامعات لدراسة الهندسة والقانون لخدمة أوطانهم.

وفي رأيي أن هذا هو أحد أهداف الهيئة كي يشكل التعليم لهؤلاء الطلبة حافزاً للارتقاء والتقدم، لأن التعليم هو أساس التقدم البشري وبه نخلق مجتمعاً يتمتع فيه الفرد بالحياة الكريمة. بالإضافة إلى هذا تقدم الهيئة خدمات الإغاثة أثناء الكوارث الطبيعية في هذه الدول، وهذا جزء يسير من خدماتها لشعوب العالم.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك أناساً لا يعملون من أجل أنفسهم فقط، بل من أجل من حولهم دون استثناء.

فالهيئة لها دور في كل أنحاء العالم، ومن أعمالها على سبيل المثال لا الحصر، معهد آل مكتوم في مدينة دندي باسكتلندا الذي بدئ العمل فيه عام 2001، ويستقبل طلبة من مختلف الجنسيات دون النظر إلى أصولهم، وتخرج منه حتى الآن حوالي 74 طالباً من 21 دولة ويقدم منحاً للدراسات العليا من الماجستير إلى الدكتوراه، وفي دبلن تم بناء مركز ثقافي ومسجد ومدرستين.

وفي استراليا فقد تم بالتعاون مع جامعة استراليا الوطنية إنجاز كلية آل مكتوم للدراسات العربية والإسلامية، كما تم إنشاء مسجد في

نيوزلندا.

وفي أميركا الشمالية والجنوبية فان الهيئة قدمت وتقدم دعماً للمركز والمتحف الإسلامي في «ديترويت»، كما تم إنشاء مدرسة في المكسيك.

وفي آسيا تم بناء 30 مسكناً في الصين في منطقة تقع شمال بكين و45 منزلاً ومسجداً ومدرسة تحت الإنشاء، والهيئة مستمرة في جهودها لدعم المحتاجين في كل أنحاء العالم.

وتقديراً لهذه الجهود استحق سموه هذا التكريم، جزاك الله خيراً، وبوركت أعمالك يا أبو راشد.

هكذا هي دولة الإمارات تتحمل المسؤولية، ولا تتوانى عن مساعدة الجميع، وتتسارع وتتنافس عدد من الهيئات داخلها لتقديم خدماتها للعالم والمشاركة في تخفيف مآسي ومعاناة الشعوب.

وأخيراً، لأن الزيارة كانت ليوم واحد إلى أديس أبابا لم أتمكن من التعرف على المدينة، مع ذلك فقد عرفت أن عدد سكان إثيوبيا يبلغ حوالي 80 مليون نسمة، نسبة المسلمين منهم حوالي 55٪ وكنت أتوقع أن تكون نسبة المسيحيين أكثر، وأعتقد أن الكثيرين غيري يعتقدون ذلك.

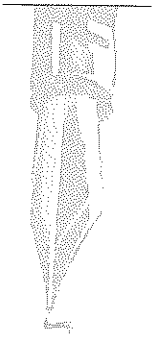

أوراق سياسية

عفواً سيد غيتس

عفواً سيد غيتس، لماذا هذه الترسانات النووية التي لا تملكها إلا دول محدودة جداً من بينها إسرائيل؟ هل لتهديد العرب أم للدفاع عنهم ضد مخلوقات قد تأتي من كوكب آخر؟؟!!! أم قد تكونوا صنعتموها من أجل الديكور والوجاهة لتخويف من تريدون استغلالهم؟؟!!

أما عن دفاعنا عن إسرائيل بأنها لا تدرب الإرهابيين، نعم، هذا صحيح لأنها دولة تمارس الإرهاب بشتى أنواعه، ضد شعب أعزل، ضد نساء وأطفال وشيوخ في الضفة وقطاع غزة، الذي تقول عنه حكومتك بأنه معاد لأميركا، لأن إسرائيل تقول ذلك وصنفت القطاع بالمعادي لها، وبذلك جعلتم من قطاع غزة القوة التي تنازع إمكانياتكم وقدراتكم، وعلى أهالي غزة الاعتزاز لهذا الاعتراف لأن لديهم هذه الإمكانيات الخارقة بمواجهتكم!!!! ولهذا السبب رفضتم التوافق الفلسطيني الفلسطيني ومنعتموهم من التواصل والحوار معاً، فأنتم لا تعرفون الإرهاب ولا ترونه إلا إذا تعرضت إسرائيل لأي حادث عابر ولو بالكلام، أما ما يتعرض له العرب وما يعانيه الفلسطينيون بشكل يومي فلا يهمكم، لأننا نحن الضعفاء وأنتم الأقوياء.

فإلى متى تكيلون الأمور بمكيالين ودائماً وعبر عقود من الزمن لصالح إسرائيل؟؟ مع أن إسرائيل تتحدى كل قرارات الأمم المتحدة ولم تطبق أياً منها، بل على العكس ازدادت تشدداً بدعم كامل منكم، مما أثار مشاعر المسلمين في جميع أنحاء العالم وفي مقدمتهم العالم العربي

شعوباً وحكاماً.

عفواً سيد غيتس، قد نكون ضعفاء لكننا لسنا أغبياء، ولن ننسى أنكم أنتم الذين فتحتم خزائنكم العسكرية عندما تفاجأتم بهزيمة إسرائيل في حرب 73 وزودتموها بأسلحة متطورة، وشننتم حملة الضغط على العرب من أجل مصلحة إسرائيل التي لم ولن تنتهي، فذاكرتنا قوية وسوف تظل كذلك، لأننا لا ننتقي ما نريد تذكره وما نريد نسيانه مثلكم، وهذا ما سوف نتركه للأجيال القادمة لكي تعرف أنكم خدعتمونا مراراً وتكراراً، وهذا ما أثبتته إخفاقاتكم المتتالية فيما يخص القضايا العربية، ودعمكم اللامحدود لإسرائيل من أجل مصلحتكم السياسية.

إن دفاعك يا سيد غيتس عن إسرائيل بأنها لا تشكل خطراً، ليس بجديد أو غريب عن تصريحات من سبقوك، لكنك هذه المرة لا تستطيع تسويقه بهذه السهولة كما تريد تسويق بيع أنظمة شبكة الدفاع الصاروخي، لماذا؟

لأنكم تتعاملون معنا في الشرق الأوسط بنظام وأسلوب الترهيب والترغيب، بالقوة مع البعض، والخداع مع البعض الآخر، لأن غايتكم الأساسية هي السيطرة على ثروات المنطقة، والتي كما هو مشاع عند البعض منكم، لا نستحق أن نكون أصحابها، فأنتم تعاملتم مع العراق بالقوة، ومع إيران بالتهديد بالقوة، ومع دول تعتقدون أنها أقل قوة وإصراراً على التصدي لكم، بالخداع والترغيب، فقولك إن إنشاء مظلة أنظمة الصواريخ الدفاعية ضد صواريخ محتملة من إيران، أهو للضحك على القعول، أم من أجل ممارسة أوراق ضغط جديدة على العرب وإيران؟

وبكل تأكيد لا تقدمون لنا كل هذا دون مقابل أو من أجل سواد عيوننا، بل تريدون بيعها لنا بمليارات الدولارات حتى ولو لم نكن في حاجة لها،

لتذهب هذه المبالغ لخزينة إسرائيل لكي تتغطرس أكثر فأكثر.

وإلا لماذا لم تقترحوا علينا نظاماً مماثلاً للتصدي لأسلحة إسرائيل المتطورة الجاهزة؟

عفواً يا سيد غيتس، أنت لا تتغابى بل تعتقد أننا أغبياء!! إن كلامك عن أن إسرائيل ليست خطراً على العرب لا ينطلي على أحد، وأسرع رد جاءك على لسان ولي عهد البحرين الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة.

قد نكون ضعفاء لكننا لسنا أغبياء

للمرة الثانية يأتي روبرت غيتس وزير الدفاع الأميركي إلى المنطقة ليكرر نفس الجمل والعبارات وكنا نعتقد أنه تعلم من زيارته الأولى، وتوقعنا منه كلاماً مفيداً، لكن الظاهر أنه هو الذي يعتقد بأننا مغفلون وجهلة ونصدق كل ما قاله سابقاً ويقوله حالياً، لكن عليه أن يعرف مرة أخرى بأننا قد نكون ضعفاء، لكننا لسنا أغبياء.

وإن كانت لديه نصيحة فليقدمها إلى حكومته لسوء إدارتها للأزمات وعلى رأسها الأزمة الاقتصادية التي أوصلت أميركا إلى حالة الإفلاس ودمرت اقتصاد العالم، نتيجة تصرفات خرقاء وأخطاء قاتلة تجاه شعوب العالم وبالذات الشعوب العربية، أما ما ردده عن ضرورة ضم العراق إلى منظومة الأمن الخليجي.

فهذه كلمة حق يُراد بها باطل، كيف وهم لا نية لهم الآن في الانسحاب منه كما يدّعون، ويحاولون إيجاد شتى الذرائع للبقاء على أراضيه تارة بحجة ضمان الأمن والاستقرار وتارة بحجة تدريب ومساندة القوات العراقية، وكأنه ولاية من الولايات الأميركية وليس دولة مستقلة ذات سيادة تستطيع أن تعبّر عن نواياها وتصوراتها في كل ما يتعلق بالتعاون مع أشقائها العرب وأشقائها من دول مجلس التعاون.

لكنهم مخطئون إن اعتقدوا أنهم باقون في العراق، فعاجلاً أم آجلاً سوف يخرجون منه بعد أن دمروه، وخرّبوا اقتصاده وأفقروا شعبه، ونهبوا ثرواته، وليس برغبتهم إنما بإرادة الشعب العراقي، هذا الشعب

الذي انتقم لمعاناته وقهره حذاء «منتظر الزيدي» وأرّخ إذلال مناضليه سجن أبو غريب فمهما صرح روبرت غيتس فإنه لا يمكنه إصلاح ما فسد، ولا يمكنه حتى حفظ ماء وجه رئيسه الذي صحا ضميره مؤخراً قبل أيام من تركه منصبه بلا رجعة، واكتشف أنه أخطأ في حربه على العراق بسبب أسلحة الدمار الشامل، واستند إلى معلومات خاطئة، ألم يكن باستطاعة أكبر قوة في العالم التأكد من المعلومات قبل شن الحرب؟

أقول لم يكن هذا هو السبب، قد نكون ضعفاء لكننا لسنا أغبياء... أنتم احتليتم العراق طمعاً في ثرواته ونفطه وإرضاءً (لربيبتكم إسرائيل، فمن أجل بقائها وغطرستها يموت الآخرون لأن لا قيمة لنا عندكم).

ها هو أحدث تقرير صادر من جهاز مسؤول في أميركا يقول بأنكم فشلتم في إعمار العراق لكنكم لم تتعظوا، فما زال روبرت غيتس يكرر اتهاماته لبعض الدول بأنها داعمة للإرهاب وهم يدعمون إسرائيل بكل أسلحة الدمار لقتل شعب فلسطين، وهل هذه الدول التي يتهمها ارتكبت جريمة إذا دعمت من يدافع عن أرضه وحقوق شعبه؟.

ولم يقف غيتس عند هذا الحد بل وصف بعض الأحزاب والمنظمات بالإرهابيين وتناسى أن هؤلاء لهم قاعدة شعبية واسعة، أليست هذه هي الديمقراطية التي تنادون بها؟ أم يجب أن تكون على هواكم ولخدمة مصالحكم؟

فالشعوب العربية والإسلامية وأغلب حكوماتها تؤيد موقف هؤلاء الأحرار تجاه حقوقهم في الدفاع عن أنفسهم ورافضة لتصرفات وتهديدات إسرائيل، حتى وإن كان هناك البعض إسرائيليين أكثر من إسرائيل فلأنهم لا تهمهم إلا مصلحتهم الشخصية.

إن روبرت غيتس القادم من بلد الحريات والديمقراطية لم يتكلم ولو لمرة واحدة عن حق الشعب الفلسطيني المظلوم والمحتلة أراضيه، ونسي أن رئيسه وعد بإنشاء دولة فلسطينية مع نهاية عام 2008، وها هو يذهب دون أن ينفذ وعده، وكأنه حاول أو كان يريد تنفيذه مع أن الشعب الفلسطيني والعربي يدرك تماماً ويعرف أن كلامه كان هراء وبلا معنى.

أقول لروبرت غيتس إذا كنتم فعلاً تريدون السلام الحقيقي، فما عليكم إلا أن تقولوا لربيبتكم إسرائيل أن تعترف بحقوق الشعب الفلسطيني كاملة، وتكف عن ممارسة الإرهاب الفعلي عليه. إما بتجويعه أو إذلاله أو إبادته بقوتها العسكرية وهو أعزل وأنتم تتفرجون ولا تحركون ساكناً لأنها لا تتحرك إلا بإذن منكم أو ربما لا تحتاج إلى ذلك، بل تبلغكم من باب العلم بالشيء لأنكم لا يسعكم إلا الامتثال لرغباتها الإرهابية.

لكن على غيتس وحكام أميركا أن يدركوا أنهم لا يستطيعون أن يتلاعبوا بعقول الشعوب العربية، فقد يستطيعون السيطرة والتحكم في مصيرها لبعض الوقت لكن لا يمكنهم ذلك لكل الوقت، فعليهم الرجوع إلى ما كان ينادي به أسلافهم من احترام كل شعوب العالم واحترام حقوقهم وحقوق الإنسان، فماذا فعلوا ليحترموا حقوق العرب؟

وأين حقوق الشعب الفلسطيني التي أقرتها القرارات الدولية وتنصلتم منها؟ فاحترموا عقولنا فإن كنا ضعفاء اليوم قد نكون أقوياء غداً.

قدر الجيران

مازالت مآسي وهموم الشعوب العربية والإسلامية مستمرة من فلسطين إلى العراق مروراً بأفغانستان ومازال مسلسل اتهام العرب والمسلمين بالإرهاب مستمراً ويتكرر يومياً عبر أجهزة الإعلام المختلفة، وحتى العربية منها وأحياناً مع المبالغة.

جمعتني الصدفة في الآونة الأخيرة ببعض الشخصيات الأوروبية، وكنا نتابع معاً نشرة الأخبار في إحدى المحطات الفضائية الغربية، التي كانت تبث حينها صوراً ومشاهد حية عن انفجار المركز التجاري بناتنيا في إسرائيل، حينها علق أحدهم قائلاً: مازلت لا أجد تفسيراً لماذا هؤلاء الفلسطينيون يفجرون مراكز تجارية أغلب زوارها من المدنيين العاديين لا حول ولا قوة لهم، ولا ذنب لهم سوى أنهم اسرائيليون، قدرهم أنهم جيران لهؤلاء الفلسطينيين!!

قاطعته قائلاً: العكس هو الصحيح فقدر الفلسطينيين ان تحتل أرضهم ويضطرون إلى أن يتعايشوا مع جيران سلبوا أمنهم وأرضهم، أنا معك أن هذا ليس هو الحل، لكن فكر معي لماذا أقدم هذا الشاب الفلسطيني وهو في مقتبل العمر ولعله جامعي ومن المفروض ان لديه أحلاماً وطموحات على مثل هذا العمل؟ ما الذي دفعه لمثل هذه التضحية؟ أليس هو يريء كالآخرين وله الحق في الحياة الكريمة والعيش بأمان وسلام داخل وطنه؟

إن هذا الشاب الفلسطيني لم يقم بهذا العمل إلا كارهاً للحياة وناقماً

عليها وعلى العالم نتيجة الظلم الذي يتعرض له هو وأهله وجيرانه وأصدقاؤه يومياً في مهانة وإذلال بهدم بيوتهم أو بفقدان أحد من أقاربهم أو بعدم السماح لهم بممارسة أية حقوق إن كانت لهم حقوق.

فلو تابع أحدكم الأخبار صباح اليوم وشاهد كيف تتعامل إسرائيل مع الفلسطينيين حين منعت مجموعة من الأطفال لم يتجاوز عمرهم الثامنة من الدخول إلى المدرسة إلا اذا مروا عبر جهاز للتفتيش، ماذا يتوقع هؤلاء الجنود الأسرائيليون من الفلسطينيين وهم يتصرفون بهذا الشكل مع أطفال أبرياء من المفروض زرع روح التسامح والإحترام داخل عقولهم لكي يتمكنوا من التعايش بسلام جنبا إلى جنب.

مع ذلك فالإعلام الغربي كعادته لم يعر الموضوع أهمية لأنه لا يهتم الا بالطرف الآخر الذي يستقوي به، فهؤلاء الأطفال رغم صغر سنهم إلا أنهم يدركون أن لا أحد يقف إلى جانبهم، واعتراضاً على هذا القرار قرروا الدراسة خارج المدرسة إيماناً منهم بأن العلم والمعرفة حق للجميع، ولا أحد يمكن أن يمنعهم من اكتسابه حتى لو كان أقوى منهم.

ألست معي ان مثل هذا القرار سوف يولد مثل ذلك التصرف؟ لو قبل هؤلاء الأطفال بهذا الأمر فإلى متى يستطيعون التحمل ومتابعة دراستهم في أجواء غير طبيعية؟ وهذا في أبسط حقوقهم.

لذا فان الشباب الفلسطينيين ليس لديهم إلا أرواحهم يقدمونها فداء لوطنهم وأرضهم وعرضهم، فلو حدث مثل هذا في أية دولة في العالم فسوف يستفز آباء وأقارب هؤلاء الأطفال ولو بالاعتراض والمطالبة بحقوق أبنائهم، وقد تقوم الدنيا ولا تقعد لشجب وإدانة هذا القرار، لكن الفلسطينيين لا يمتلكون ثروات طبيعية أو دبابات وطائرات، أو حكومات

إرهابية لا تبالي بالرأي العام العالمي ولا تعمل حساباً لأحد.

فعندما يحدث شيء في إسرائيل تستنكر الحكومات الغربية وتتظاهر المنظمات الأهلية داخلها، أما عندما يحدث شيء للشعب الفلسطيني الأعزل فلا أحد يحرك ساكناً، فلو فكرنا في دوافعهم وفي قضيتهم المعلقة منذ سنين لألتمسنا لهم العذر فهم لا يمتلكون حتى رأياً مسموعاً للدفاع عنهم وعن قضيتهم.

أليست إسرائيل محتلة لأرض فلسطينية وجيشها المدعم بأسلحة أميركية وحكومتها المستقوية من قبل أميركا وحكوماتكم تبطش في كل ركن من فلسطين وتمارس الإرهاب على كل فرد فيها. وان كانوا أطفالا؟؟ أم أنكم ترون غير ذلك؟

لماذا لا تقاطع الحكومات الغربية إسرائيل وتفرض عليها عقوبات لتضطرها للخروج من أرض فلسطين، كما فعلت وتفعل مع دول أخرى؟ أليس هذا هو العدل والمنطق، أم عندكم هو التأييد العلني الذي يشجع إسرائيل على الاعتداء على شعب لا يمتلك غير روحه وكرامته.

حينها قاطعني أحدهم: لكن أنت تتحامل كثيراً على الحكومات الغربية فهذه الأعمال مدانة حتى من الحكومة الفلسطينية والحكومات العربية.

أجبته نعم: الحكومة الفلسطينية تدين هذه الأعمال لأنها مغلوبة على أمرها فهي لا يمكنها لا إيقافها ولا دعمها، أما الحكومات العربية فلا تسأل عنها فأغلبها تقوم بما تمليه عليها الولايات المتحدة الأميركية!

متى يبزغ فجر العرب؟

لماذا هذا الضغط على الفلسطينيين وعلى الحكومة الفلسطينية من قبل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية وهم أصحاب حق؟ والدول العربية بعضها يتفرج وبعضها يشارك في الضغط، لماذا يفرض عليهم الاعتراف بإسرائيل، في حين أنها هي الرافضة للاعتراف بحقوقهم التي تغتصبها يومياً؟

من المعروف دولياً أن اعتراف دولة بأخرى غير ملزم، فبعض الدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة ظلت سنين طويلة لا تريد الاعتراف بالصين مثلاً، مع أن وجود الصين تاريخياً أقدم من ميلاد أميركا بقرون طويلة، وهي أكبر دولة من حيث عدد السكان، وكان البديل المعترف به الصين الوطنية، وهذا الموقف الأميركي لم يكن مع الصين وحدها، بل إلى الآن الولايات المتحدة ليست لها علاقات مع كوبا، ولا تريد الاعتراف بحكومتها، وكوبا دولة مستقلة، وعمرها تقريباً من عمر الولايات المتحدة.

لماذا لا يمارس الضغط على إسرائيل التي شنت حرباً استعمارية على شعب يعيش على أرضه، وما زالت تحاصره وتحتجز موارده المالية، وقسمت ما تبقى من أجزائه بحائط عازل وتعتدي على نسائه وأطفاله وشيوخه وتقتل وتسجن الآلاف من أبنائه، وفي كل مناسبة يخرج إلينا الغرب بنفس النغمة حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها.

وأين هي الولايات المتحدة من حقوق الفلسطينيين؟ وماذا فعلت

سوى أنها تدعم إسرائيل بمليارات الدولارات، وتضع قوتها وإمكانياتها وحتى قيادتها في خدمة مصالحها، ولولا هذا الدعم اللا محدود لما كان لها وجود أصلاً، فاستقوت وتجبرت حتى أصبح التنافس على دعمها بين المسؤولين في الحزبين الجمهوري والديمقراطي.

فهيلاري كلينتون المرشحة المتوقعة للرئاسة الأميركية عن الحزب الديمقراطي تقول إن بلادها تعتبر إيران خطراً على مصالحها، وتهديداً كبيراً لأمن إسرائيل، أي إن مصير دولتها العظمى ومصير إسرائيل واحد، وكذلك جاء في حديث ديك تشيني نائب الرئيس الأميركي في آخر اجتماع لإيباك حين قال «إن جورج بوش أخلص رئيس جمهورية أميركية لإسرائيل، ..هكذا تكون الصراحة والوضوح».

كيف لا وهي تحتل وتحارب وتخترق القوانين الدولية وتهدد خوفاً على أمن إسرائيل إلى جانب دعمها مادياً وسياسياً لتبسط سيطرتها على أرض مغتصبة، هذا ليس لشيء سوى أنهم واقعون تحت تأثير الفكر الصهيوني ومنظمة «إيباك» التي تسيطر على عقول كبار المسؤولين في أميركا وتحرك السياسة الخارجية الأميركية كيفما تشاء.

هذا هو رأي كبار المحللين السياسيين حتى في أميركا، مع أن نتائج آخر استطلاع للرأي في أوروبا عام 2003 تقول إن إسرائيل أكبر خطر على السلام العالمي.

فإذا كانت أميركا واقعة تحت تأثير إسرائيل ولا ترى غير

مصلحتها، فماذا عن الدول الأوروبية، ألم يحركها القتل والدمار اليومي الذي يقوم به الجيش الإسرائيلي تجاه شعب أعزل في كل مقومات الحياة وليس في السلاح فقط، وهي السباقة دائماً إلى الملياردیرات الإنسانية؟ ألم تحرك هذه المآسي المستمرة ضميرها؟ أم انهم لا يريدون التدخل بعد أن عجز بعضهم عن تحدي تحالف جورج بوش وتوني بلير في غزو العراق؟

أم ربما يرون أن واجبهم خدمة أوطانهم، وليس خدمة أوطان يحكمها قادة لا يأبهون إلا بمصالحهم الشخصية، لذا ففي نظرهم أن العرب لا يستحقون غير ما يحصل لهم والذي هو نتيجة طبيعية للوضع العربي المتردي، وهذا ما توضحه تصريحات بعض القادة والمسؤولين العرب بين حين وآخر عندما يجمعون على أنه علينا الاعتراف بأن الواقع الحالي يفرض علينا القبول بالأمر الواقع.

والسؤال: هو أي منطق هذا الذي يفرض علينا ذلك؟

ألم يتذكر واحد منهم قادة سابقين سجل لهم التاريخ مواقف ووقفات مصيرية، وآخرهم الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات الذي قال وهو محاصر «لن أرضى بالاستسلام حتى لو لم أستطع تحقيق النصر»، أو ربما عليهم في عصرنا الحالي الاقتداء وأخذ الدروس من زعماء أميركا الجنوبية الجدد الذين أتوا إلى الحكم بانتخابات حرة مباشرة ليدافعوا عن إرادة وكرامة شعوبهم، وهم الآن يقفون في وجه الولايات المتحدة ويتحدون حكومة جورج بوش، مع أنه يحاول كسب ودهم ليس خوفاً منهم بل احتراماً لهم لأن قوة الإرادة أقوى من قوة السلاح.

لماذا لم يتطوع أحدهم ويقلد الرئيس الفنزويلي شافيز، ويتحدى إسرائيل ورئيس وزرائها الذي لا يترك مناسبة إلا ويحتقر فيها العرب ويتحدى زعماءهم؟ فماذا ينقصنا نحن العرب للرد عليهم؟ خاصة وكما يعرف الكل فالإسرائيليون جبناء وهم خائفون من النووي الإيراني، وحسب ما أوردته جريدة «تايمز» البريطانية فإسرائيل جهزت وتجهز آلاف المنازل بمضادات للمواد النووية.

التاريخ يذكرنا بأنه لا قوة دائمة ولا ضعف دائماً، لكن في رأيي هذا بالنسبة للأمم الأخرى التي تتبادل منذ زمن مراكز القوة فيما بينها، أما بالنسبة لنا فما زلنا نعيش على أمجاد قوة أسلافنا، لذا استحلينا طعم الضعف، وكعادتنا لا نقدر على مفارقته، فهل لنا أن نحلم بمن يرجع لنا أمجاد القوة، أم علينا أن لا نتوهم، فالواقع كما نسمع باستمرار يفرض علينا غير ذلك؟، كما قال أحدهم: نعم الإسرائيليون جبناء ولكن هناك من هم أجبن منهم.

نوايا أميركا وتراجع مصداقيتها

كتب الرئيس السابق للبنك المركزي الأميركي «آلن غرينسبان» في مذكراته التي صدرت مؤخراً، أن النفط هو أحد الأسباب الرئيسية في الحرب على العراق، وشهادة من مثل هذه الشخصية الاقتصادية المقربة من جورج بوش ليست بغريبة ولا جديدة، لكنها أكدت على ما تم تداوله من قبل شخصيات أميركية وأوروبية، وهو أن موضوع الحرب على العراق مرتبط بنفط العراق والمنطقة..

مع ذلك فالمسؤولون الأميركان وعلى رأسهم «الرئيس جورج بوش» ينكرون هذه الحقيقة، ويخلقون ذرائع جديدة بين فترة وأخرى لإخفاء نواياهم الحقيقية التي باتت مكشوفة للجميع حول أسباب غزو العراق، أولها كان امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل، وعندما لم يجدوا ما يدعمون به ادعاءاتهم، خرجوا لنا بأن الحرب على العراق كانت للقضاء على الإرهاب وصدام كان داعماً له.

ومع استمرار تورطهم في العراق، قد يخرجون بأكاذيب جديدة قبل أن تنتهي فترة ولايتهم ويذهبون بلا رجعة، كما حصل حين نفدت حججهم وادعوا أن هدفهم جلب الحرية للشعب العراقي، وشعوب المنطقة، كيف، والإحصائيات المنشورة في وسائل الإعلام الغربية تقول إن أكثر من 3 ملايين عراقي لاجئ في الخارج، وأكثر من 4 ملايين فقدوا منازلهم أو هجروها خوفاً، ويعيشون بلا مأوى، هذا ما وصل إليه حال العراق بعد هذا الهدف النبيل، فما أغلاها تلك الحرية التي تشرد أهلها، وأية قيمة لها

ولم تجلب لهم سوى الفقر والدمار؟

مع ذلك فحكومة جورج بوش لا تبالي، ومستمرة في نشر ادعاءاتها في المنطقة، حيث أعلنت أن دور محور الشر الثاني وهي إيران قادم، وكعادتها لم تجهد نفسها في ايجاد ذرائع جديدة لفرض عقوبات عليها في البداية، ثم يتطور الأمر بشن حرب عليها.

وأطلقت نفس التهم وهي دعم الإرهاب وامتلاك القدرة على تخصيب اليورانيوم، وحتى لو كان ذلك صحيحاً فإن ما يجري من تضخيم إعلامي حول قدرة إيران على إنتاج أسلحة نووية يمكنها تهديد أمن أوروبا وأميركا فاق كل الاكذوبات السابقة، وأين الأمن أمام الحقيقة المؤكدة وهي امتلاك إسرائيل لأكبر ترسانة نووية في المنطقة كما يقول بعض الخبراء الأوروبيين والأميركيين.

وكما أكد خبير إسرائيلي، ولم تنكره إسرائيل، أم أن هذه الأسلحة تستطيع بها إسرائيل تدمير منطقة الشرق الأوسط فقط، ولا يمكنها الوصول إلى أوروبا وأميركا لذا لا خوف عليهم فهذه الدولة من صنعهم، واستقوت وتغطرست بهم، وتحسباً من أن يأتي يوم وتنقلب عليهم، فهم الآن تابعون لها، ويتلقون الأوامر منها، وليس العكس، وساكتون على ممارستها الإرهاب الرسمي الحكومي ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، فلماذا وإلى متى السكوت عنها وعن أفعالها وهل باتوا غير قادرين على كبح جماح جبروتها فاستسلموا لغاياتها اللاإنسانية واللاأخلاقية.

من الواضح أن القصد من وراء تهديد إيران هو امتداد لما حصل في العراق، وهو إرضاء إسرائيل والسيطرة على مصادر البترول في المنطقة، وبالتالي إضعاف الدول القوية منها القادرة على مواجهة إسرائيل من أجل

مصلحتها ومصلحة الدول الرأسمالية الغربية، وإذا استرجعنا بموضوعية سير الأحداث من حولنا لابد وأن ندرك أن هذه هي عين الحقيقة، وما يقال غير ذلك لا معنى ولا أساس له.

إن شعار الحرية والسلام والقضاء على الإرهاب شعار جميل، وشعوب العالم كله تنادي به وتتمناه وتسعى إليه وفي مقدمتها الشعوب العربية خاصة في الشرق الأوسط، أكثر من شعوب أوروبا وأميركا، لكن كيف؟ وبأية وسيلة؟ وبأي ثمن؟

إذا أرادت أميركا وحلفاؤها الأوروبيون الذين لم يبق في حكوماتهم المؤيدة لها إلا القليل، وتساقطت الواحدة تلو الأخرى، كما تغير موقف بعض الحكومات الأوروبية الجديدة من المارد الأميركي حسب ما تقتضيه المصالح، فإذا أرادوا فعلاً الحرية للشعوب، والسلام الحقيقي والدائم ليس في المنطقة فحسب بل في العالم بأسره عليهم الاعتراف بحقيقة واحدة.

وهي أن أكبر خطأ ارتكبوه هو زرع إسرائيل في المنطقة ضد إرادة شعوبها، فهذا الخطأ غير مقبول ولا يغتفر لأن إسرائيل هي مصدر الإرهاب والاستبداد والظلم والقهر في الشرق الأوسط وفي العالم، وعليهم الاعتراف بأن من سبقوهم من ساساتهم قد أخطأوا بذلك في حق العرب والفلسطينيين، فليحاولوا إصلاح ما أفسده من سبقوهم، وليثبتوا أنهم مع إرجاع الحقوق المغتصبة إلى أصحابها.

ولو بالقول، أو على الأقل عليهم من منطلق الحضارة والتقدم والعولمة التي ينادون بها إن هم صادقون، توقيف إسرائيل عند حدها وردعها عن فكرة الامتداد الجغرافي والاعتداء على الدول العربية

والتدخل في شؤونها.

والأهم من كل هذا إنشاء دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف، لأن هذا هو الحل الوحيد لمشكلة الشرق الأوسط، والمفتاح الأكبر لاستقرار المنطقة والعالم.

ومن أجل السلام الدائم عليهم السعي إلى إخلاء المنطقة بما فيها إسرائيل من الأسلحة النووية، والسماح لكل الدول بامتلاك وسائل الطاقة السلمية ضمن شروط وتحت إشراف الأمم المتحدة.

ولو استبشرنا خيراً وأحسنا الظن في نواياهم وقدرتهم على تحقيق كل هذا، وعلى كبت أطماعهم في ثروات المنطقة وأملنا أن يكون فعلا همهم الوحيد هو حرية الشعوب فهم بذلك لن يخدموا الشعوب العربية فقط وإنما سوف يخدمون أنفسهم، وقد لاتحتاج أميركا إلى صرف مليارات الدولار على أنشطتها الاستخباراتية للقضاء على الإرهاب وتحسين صورتها لدى الشعوب العربية والإسلامية، هذه المصروفات التي وصلت في عام 2007 إلى 31 مليار دولار.

كما ورد في وسائل الإعلام الأميركية، أما غير ذلك فمهما صرفت من أموال، ومهما هددت دول المنطقة فلن تحقق السلام حتى لو قامت كل الدول العربية بالتطبيع الإجباري مع إسرائيل لأن شعوبها لن تقبل أبداً والدليل أن بعضا منها قامت فعلا بذلك لكن شعوبها مازالت صامدة ورافضة حتى الآن، أم يعتقدون أنهم هم البشر الوحيدون الذين ولدوا أحراراً والشعوب العربية ولدت لكي يستعمروها ويسيطروا على ثرواتها، أو ربما هي بالنسبة لهم غير جديرة بالحرية لأنها تعودت على الظلم والاستبداد والخضوع؟.

روسيا تعلمت الدرس وأميركا غرقت في الوحل

شاهدت كما شاهد الكثيرون غيري أحدث فيلم أنتجته هوليوود، وهو «حرب شارلي ويلسون» الفيلم كما كتب في مقدمته مقتبس عن قصة حقيقية، وقد تم تصويره في ولاية مراكش بالمغرب، لصعوبة تصويره في أماكنه الطبيعية، وهو يحكي عن أكبر وأشهر حرب خفية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، والتي دارت رحاها في أفغانستان بإدارة عضو فاسد في الكونغرس وهو «شارلي ويلسون»، وبتشجيع من سيدة أعمال في تكساس ومساعدة عميل مخابرات سابق، والكل كان له هدف من وراء هذه الحرب.

المجاهدون الافغان كان همهم طرد وإخراج الجيش السوفييتي من أفغانستان، وحاربوا وهم مؤمنون إيماناً راسخاً بأنهم يحاربون الكفر وأعداء الإسلام، لكنهم لم يتوقعوا أنهم قد يصبحون غير مرغوب في وجودهم بعد ذلك.

أما أميركا فوجدت فرصتها من خلال هذه الحرب، لضرب الاتحاد السوفييتي، والقضاء على النظام الشيوعي المنافس القوي والأوحد للنظام الرأسمالي.

كما ساعد «شارلي ويلسون» في الفيلم، أو بالأحرى أميركا في التخطيط لهذه الحرب حلفاءها في الدول الإسلامية التي حكوماتها تعمل بإمرتهم وتحت تصرفهم، ويتم تسليط الضوء على الدور

الذي لعبه «محمد ضياء الحق» رئيس جمهورية باكستان السابق، كما يظهر الفيلم نفوذ رؤوس الأموال والرأسمالية الأميركية وكذلك طول يد المخابرات الأميركية في المنطقة.

ويؤكد الفيلم عبر حوارات في مجرى الأحداث على جهل السياسيين الأميركيين بحقيقة أوضاع المنطقة وتوجهات وميول شعوبها.

والفيلم في رأيي، عدا عن براعة الممثلين، وحبكة المخرج في توظيف عناصر تقنية وفنية متكاملة، فإنه نجح في تناول جوانب في تلك الفترة الحساسة بموضوعية، تلك الفترة التي سعت فيها الولايات المتحدة من أجل مصلحتها إلى التحالف مع بعض الحركات الجهادية، لأنها كانت في حاجة إليها، لكنها أصبحت بعد ذلك أكبر عدو لها وأصبح أي عمل إرهابي ينسب إليها. وطبعاً جاءت نهاية الفيلم كما هو معروف بانتصار سياسي أميركي، وخروج السوفييت بهزيمة عسكرية. فبعد ذلك تفكك الاتحاد السوفييتي إلى دول لم يتبق منها إلا الاتحاد الروسي بنظام جديد بعد انهزام النظام الشيوعي.

أما النظام الرأسمالي رغم انتصاره، فلقد أصبحت الورطة الأميركية في افغانستان مستمرة، إلى ما لا نهاية.

أما روسيا فلقد تعلمت درساً في هذه الحرب، وما حصل أفاد القادة الجدد في بناء دولتهم على أسس ونظرية جديدة وغيروا أسلوب وإدارة حكمهم، وأصبح توجههم «احترس من عدوك إن لم تستطع محاربته»، فسياستهم الآن مع الحكومة الأفغانية مختلفة،

فهم لا يعادونها إنما لا يسعون إلى صداقتها، بقدر مالا يعادون أميركا وحلفاءها الغربيين، لكنهم يعملون من جديد على بناء دولتهم وعلاقاتهم الاقتصادية والعسكرية.

وهذا ما نلاحظه من خلال تحركات رئيسهم بوتين وأفراد حكومته في الآونة الأخيرة، بعد أن استقر وضعهم وأعادوا ترتيب أوراقهم وأدركوا حجم إمكانياتهم، فأصبحوا يتعاملون مع الجميع خاصة مع أصدقائهم في الشرق الأوسط، بإعطاء الأولوية لمصالحهم ثم تأتي بعد ذلك مصالح الأصدقاء. وتركوا لأميركا السيطرة بنظام العولمة وصرف الملايين في اقتصادها القومي على الحروب التي إلى الآن لم تعرف عواقبها، بدءاً بالتورط في أفغانستان مروراً إلى السعي لكسب انتصارات في العراق، لكنهم لم يقدروا تماماً خطورة الوضع واختلافه هناك.

فتورطوا أكثر فأكثر، والله أعلم إلى أي مدى سوف تصل حروبهم وبأية ورطة ستنتهي؟!

خلال أحداث الفيلم يدور حوار بين البطل وأحد الممثلين، يقول أحدهم للآخر: ما رأيك هل حققنا انتصاراً؟ فيرد عليه زميله بمثل صيني يقول بعد كل جزء من القصة: «لننتظر وسوف نرى». وهكذا.

فهل يا ترى دخول أفغانستان كان غلطة سوفييتية وأصبح ورطة أميركية؟ أميركا التي لم تتعلم من درس فيتنام، مع أنها نجحت في تحقيق أهدافها بتدمير الاتحاد السوفييتي ووقف أي تأثير شيوعي في المنطقة، لكن ورطتها الآن في أفغانستان لا

انتصار فيها إلاّ بالخروج منها عاجلاً أو آجلاً، طوعاً أو كرهاً، ولو حصل ذلك سوف يكون ضربة قوية للمحافظين الجدد بقدر ما كان ضربة للاتحاد السوفييتي.

لكن الأهم والأعظم ما يحدث في العراق، لأن الغلطة والورطة صناعة أميركية 100٪، وعلى كل فليس أمامنا إلا الأخذ بالمثل الصيني كما حصل في الفيلم «فلننتظر وسوف نرى»، فربما الأيام المقبلة تظهر الحقيقة للجميع. وهل ستحصد الولايات المتحدة الأميركية في العراق ما حصده الاتحاد السوفييتي في حرب أفغانستان؟!

إدارة بوش والإرث السيئ

مع نهاية عام 2008 وبداية عام 2009، تغيرت الأوضاع العالمية بسبب الكارثة الاقتصادية التي هزت النظام الرأسمالي في أميركا وأوروبا وانعكست نتائجها على العالم كله، ومع مرور الوقت سيعاني الكل من تبعاتها، وقد لا نفرق بين الدول الغنية والفقيرة، فالكل سوف يتأثر بعواقبها، وبكل تأكيد الكل سوف يتذكر المتسبب فيها.

وهي حكومة جورج بوش وأداؤها السيئ خلال ثماني سنوات، باعتمادها نشر الأكاذيب وثقافة الخوف لدى الشعب الأميركي والتسويق بمبررات مصطنعة، من أجل شن الحرب على شعوب مسالمة بغية السيطرة على ثرواتها، وفرض رأيها على العالم دون أسباب ملموسة أو حقائق مؤكدة.

هذه كانت رؤيتها لفرض هيمنتها الاقتصادية والسياسية على دول العالم التي انصاع البعض لها، بما فيها بعض الدول العربية التي تصورت أنها لن تستطيع العيش إلا في ظل هذه الهيمنة، لكن دوام الحال من المحال، فمن اعتمد على ذلك النظام لدعمه ودعم اقتصاده فها هو قد ولى، دون رجعة بانتهاء صلاحيته، وبانهيار نظامه الاقتصادي.

ترك جورج بوش الرئاسة وشعبيته في أدنى مستوى حسب آخر استطلاع للرأي العام الأميركي، هذا المستوى الذي لم يصل إليه أحد قبله منذ بدأ الاستطلاع في أميركا في عهد الرئيس روزفلت، حيث دل على أن رضا المواطنين عن حكم جورج بوش لم يتجاوز 21٪، أي أن 79٪ من

الشعب الأميركي غير راضٍ عنه.

ترك الرئاسة والولايات المتحدة مديونة بحوالي أحد عشر تريليون دولار، بعد أن كلفتها الحرب على العراق وأفغانستان حوالي تريليون دولار، كما ورد في بعض وسائل الإعلام، ودون أن تحقق هذه الحرب أهدافها. هذا في الداخل، أما في الخارج فلا أعتقد أنه ترك أية بصمة يذكرها التاريخ له، خاصة بالنسبة للعرب.

حيث اعترف في مقابلة تلفزيونية بأنه شن الحرب على العراق استناداً إلى معلومات كاذبة بشأن امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل، اكتشف ذلك بعد مضي 8 سنوات على حكمه وكأنه حصل بالأمس القريب، بعد أن دمر بلداً وشرد شعباً بكامله، وكان الأكرم له أن يعترف بأنه اختلق معلومات ليكذب بها على الرأي العام ويشن حربه.

أما في خطابه الوداعي، فقال الكثير، وبرر مواقفه المتعددة والمتضاربة، لكن مبرراته هذه المرة لم تمر مرور الكرام، حيث علق المتحدث الصحفي السابق للبيت الأبيض ومؤلف كتاب «ماذا حدث؟ وثقافة الخداع في واشنطن» سكوت ماكليلان» على خطاب الرئيس الوداعي قائلاً: إن حسن نية الرئيس عذر «غير مقبول لسياسته الخاطئة، كيف وهو شوه سمعة الحكومة الأميركية في العالم؟» .

ويضيف: إن هذا الخطاب خدعة أخرى للشعب وعدم قول الحقيقة، ولابد له من الاعتراف بأخطائه عاجلاً أم آجلاً. أما «رمزي كلارك» وزير العدل السابق فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث قال: إنه جمع حوالي مليون ونصف المليون توقيع لاتخاذ الإجراءات القانونية لتقديم جورج بوش للمحاكمة كمجرم حرب.

لكن رغم كل هذا لم تتوقف أفعاله الشنيعة بحق العرب، حتى قبل أيام من انتهاء فترة حكمه فأعطى الضوء الأخضر لإسرائيل للقضاء على الجزء الصغير المتبقي من الإرادة العربية في غزة، فبدأت بتنفيذ خطتها بمحاصرة غزة، وتصورت أنه باستطاعتها القضاء عليها وعلى قادتها، ثم شنت الحرب عليها ودمرت كل شيء بأسلحتها الأميركية المتطورة والمحظورة دولياً، ظناً منها أن الشعب الفلسطيني سوف يستسلم .

ومن ثم تبدأ بالخطوات التالية، لكن صمود هذا الشعب العظيم كان أقوى من تصوراتها وجبروتها وقوتها العسكرية وغطرسة مموليها حكومة جورج بوش. فانتصرت الإرادة الفلسطينية في غزة، انتصرت رغم الحصار بشتى أنواعه وأشكاله، انتصرت بعدد وعدة قليلة رغم أنف الجميع وانهزم العدو الإسرائيلي ومن معه.

إن من يدعي أو يتصور أن انسحاب الجيش الإسرائيلي من مدينة الشهداء والأبطال مدينة غزة جاء بسبب مبادرة من هنا أو هناك، كمن يتصور أن انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان كان لنفس السبب.

فرض الانسحاب على العدو الإسرائيلي بفضل دماء الشهداء وصمود الشعب الفلسطيني، وقوة وإرادة المقاومة ووقوف شعوب العالم وعلى رأسها الشعوب العربية بجانبه وضغوطها على الحكومات، ولو استمرت إسرائيل في عنادها لحدث ما لم يكن في الحسبان. فشكراً لأهل غزة عنوان الصمود الفلسطيني والعربي، وشكراً لأبطالها عنوان التضحية والمقاومة.. ورحمة الله على الشهداء.

نتمنى أن يكون عام 2009 عام المقاومة وبداية الانتصار العربي، وعام

هزيمة العدو بإذن الله، فإرادة المقاومة وقدراتها ودماء الشهداء وحدت صفوف العرب رغم خلافاتهم.

واستطاعت قمة غزة في الدوحة وقمة العرب في الكويت أن تصلح ما يمكن إصلاحه، آملين أن يستمر ذلك ويوحد العرب صفوفهم للرد على العدو الصهيوني، على الأقل بقطع العلاقات مع هذه الدولة المغتصبة التي لا تريد خيراً للعرب ولا معهم، بل تريد كل شيء دون أن تتنازل، لأنها قامت بالاغتصاب والغطرسة.

كذلك على العرب المطالبة بمحاكمة قادتها العسكريين والسياسيين كمجرمي حرب، لنغير بذلك نظرة الآخرين لنا، ونخلق واقعاً وموقعاً جديداً للعرب في هذا القرن، فنحن نملك تاريخاً مجيداً ورسالة إنسانية فريدة وشعباً لديه كل إمكانيات العصر.

وقدرات لخلق اقتصاد قوي، نستطيع بكل هذا أن نكون مع بعض القيادات الجديدة في منطقتنا وفي العالم، حضارة وعولمة جديدة، نكون أحد أعمدتها. علينا فقط الاعتماد على النفس والثقة في بعضنا البعض، والاستفادة من إمكانيات وقدرات الشعوب العربية حتى لا نعطي الفرصة لأحد مثل كوندوليزا رايس وزيرة خارجية أميركا السابقة أن تستهزئ بنا وتقول بدم بارد إن قتل المدنيين الفلسطينيين شيء طبيعي لأن إسرائيل تدافع عن نفسها، وكأنها تقول: إن هؤلاء ليسوا بشراً.

فمن المعتدي ومن المعتدى عليه؟ أم بسبب ضعفنا انقلبت الموازين؟

رغم كل ذلك إن الله لا يخذل قوماً على الحق، قوماً آمنوا بقدراتهم على تحقيق النصر، فلقد انتصرتم يا أهل غزة رغم معاناتكم وتضحياتكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

العرب.. بين الضعف والاستضعاف

في لقاء جمعني مع صديق أميركي من أصول عربية، علق على ما ورد في بعض وسائل الإعلام العربية حول خطب ولقاءات باراك أوباما المرشح الديمقراطي للرئاسة الأميركية قائلاً، انه يستغرب من التضخيم الذي تتعامل به وسائل الإعلام العربية مع تصريحات أوباما، وكأنها تعتقد أن عليه أن يكون عربياً أو مدافعاً عن العرب والمسلمين أكثر من الشعوب العربية وقادتها.

وأضاف ان أوباما مهما اختلف عن نظرائه الجمهوريين، فسيظل أميركياً وسوف يدافع عن المصالح الأميركية، شأنه شأن كل أميركي عربي أو مسلم، ويعمل وفق ما تقتضيه السياسة الأميركية ومن ثم سياسة حزبه. وإذا كان أحياناً يغير تصريحاته تجاه بعض القضايا.

فلأن ذلك ما تقتضيه مصلحته، فهو رشح نفسه لرئاسة أميركا وليس للدفاع عن العرب، وإذا أراد الفوز فعليه أن يدافع عن قضايا ومصالح الشعب الأميركي ليكسب تعاطفه وأصواته، فلماذا الاستغراب والاستهجان في حضور باراك أوباما لاجتماع اللوبي الصهيوني؟

بل علينا أن نستغرب إن فعل غير ذلك. فهناك حوالي 8 ملايين عربي ومسلم في الولايات المتحدة وهم نشطاء ومبدعون في الحياة السياسية والاجتماعية في أميركا، فلماذا لم تبادر جامعة الدول العربية أو منظمة الدول الإسلامية بإنشاء لوبي إسلامي أو عربي على غرار اللوبي الصهيوني لشرح أفكار ومبادئ الإسلام، والدفاع عن مصالحهم

وقضاياهم وعلى رأسها القضية الفلسطينية؟ فما دام هذا لم يحصل منذ زمن، فإنه لن يحصل الآن، والضعف العربي وصل إلى حد الخذلان وهو الذي يستحق الاستهجان.

إن كل من زار الولايات المتحدة أو درس فيها، ويعرف أن الشعب الأميركي هو من أكثر الشعوب انفتاحاً وحباً للآخرين، فهو يحسن استقبال الغرباء في بلاده، لأنه شعب متعدد الأعراق والألوان والثقافات، فيه الأوروبي والإفريقي والآسيوي والعربي، ومنهم المسيحي واليهودي والمسلم، استطاعوا أن يعيشوا معاً في هذه القارة بمختلف توجهاتهم وعاداتهم فكسبوا حب واحترام الجميع. وهذا ما جعل من الأميركي إنساناً ميالاً للتسامح، محباً للسلام إلى جانب أنه يمتلك إمكانيات وقدرات إبداعية هائلة تفوق بها على جميع الشعوب، فهو من السباقين إلى اكتشاف الفضاء والكواكب الأخرى، وما زال مستمراً إلى الآن.

وهو من أكثر الشعوب خدمة للبشرية والإنسانية بتفوقه العلمي والتكنولوجي وابتكاراته في شتى المجالات التي أبهرت العالم وساعدته على الارتقاء والتميز، ولم تتوقف اكتشافاته وإبداعاته التي تطرح لنا كل يوم جديداً خاصة لشعوب الدول النامية بما فيها العربية التي لا تحسن إلا الاستهلاك، فقدم لها مبادرات واكتشافات علمية وتكنولوجية وطبية، أنقذت حياة الملايين.

وفتحت المجال للجميع دون استثناء، للمعرفة والتقدم وجعلت من العالم قرية صغيرة، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والدراسة في الجامعات والمراكز العلمية الأميركية، دون قيد أو شرط.

وهذه الخدمات لا يمكن لأي عاقل أن ينساها أو ينكرها، وما قدمه

الشعب الأميركي للعالم عبر العصور لابد من الإشادة به.

أما سياسياً فلقد توالى على أميركا رؤساء تركوا بصمة مشرقة في تاريخها، منهم جورج واشنطن الذي حارب الاستعمار البريطاني حتى حقق الاستقلال، ثم إبراهام لينكولن محرر العبيد الذي كان أول مرشح للحزب الجمهوري، فجون كندي المنفتح على العالم وشهيد الحرية، ثم نيكسون بحنكته وجرأته في أصعب الأوقات، وكارتر الرجل الإنسان.

أما البصمة السوداء في تاريخ أميركا فكانت على يد الرئيس الحالي جورج بوش الذي تعتبر فترة حكمه الأكثر عنفاً في تاريخ الولايات المتحدة، والسبب أن الانتخابات في أميركا تختلف اختلافاً كلياً عنها في دول العالم، لأنه في أميركا لا يوجد إلا حزبان وهما اللذان يرشحان من يمثلهما للرئاسة وعلى الشعب أن يختار من يقنعه أكثر لتحقيق طموحاته.

وليس بالضرورة أن يكون المرشح قائداً سياسياً محنكاً، أو مرّ بمناصب وتجارب حزبية كما يحصل في أوروبا، إنما يترشح كل من يجد في نفسه القدرة ويطمح إلى رئاسة أميركا، والدليل انتخاب شخصية مثل ريجان وهو ممثل سينمائي مغمور، مع ذلك ترشح عن الحزب الجمهوري وفاز في الانتخابات أمام كارتر.

بعد أشهر من الآن ستدخل الولايات المتحدة دورة انتخابية جديدة لاختيار رئيس، والمرشحان هما باراك أوباما عن الحزب الديمقراطي، وجون ماكين عن الحزب الجمهوري، وكل منهما يعمل جاهداً ويعد ويخطط للوصول إلى البيت الأبيض.

باراك أوباما يتحدث عن سياسة مختلفة داخلياً وخارجياً، ويطالب بالتغيير الشامل، والداخل بالنسبة له أهم من الخارج، خاصة الوضع

الاقتصادي والاجتماعي، فأميركا رغم أنها أكبر وأقوى وأغنى دولة في العالم، إلا أنها تشكو من حالة فقر وحرمان، حيث يعيش على أرضها حوالي 36 مليون فقير و47 مليون محروم، كما ورد في بعض وسائل الإعلام، وهذا هو التحدي الأكبر الذي سيواجه باراك أوباما داخلياً، أما خارجياً فهو يتحدث عن سياسة مختلفة.

لذا فشعوب الدول النامية وعلى رأسها الشعوب العربية تأمل أن يأتي بإدارة جديدة تتعامل مع العالم بأسلوب أخلاقي وإنساني، وليس بالقوة والجبروت كما فعل الرئيس الحالي جورج بوش وإدارته، رغم أنها تعلم أن أي رئيس أميركي حتى لو كانت بيده السلطة العليا، إلا أن تصرفاته وأفعاله يجب أن تتماشى مع سياسة الدولة للحفاظ على مكانتها في السيطرة على العالم وتسييره حسب مصالحها، وليس حسب متطلباتهم.

لكن هذه الشعوب تحلم بالاستقرار والأمن بعد أن ذاقت الذل والمرارة في عهد جورج بوش الذي لم يعرف العالم خلاله إلا الدمار والحرب، تارة تحت مسمى الإصلاح والديمقراطية وتارة تحت مسمى مكافحة الإرهاب، مع أن الإرهاب الذي ظهر وازداد في عهده لم يعرف له العالم مثيلاً، خاصة إرهاب الدولة الذي نشعر به نحن العرب من خلال ممارسات إسرائيل في الأراضي المحتلة في فلسطين، ومن خلال ممارسات أميركا في العراق وأفغانستان.

كما شهد العالم في ظل حكمه أشهر سجن، وهو سجن «غوانتانامو» وأبشع وأقذر سجن وهو سجن «أبوغريب» الذي عذب وأذل واحتقر فيه شعباً فتح أبوابه لأميركا من أجل الحرية فسجنته فيه. فبفضله أصبح سجن الحريات نقطة سوداء في تاريخ أميركا الداعية إلى الحريات.

ومع انه لم يبق من فترة حكمه إلا شهور قليلة، لن يسيء فيها إلى العالم أكثر مما فعل، ولن تكرهه الشعوب التي عاشت في جبروته أكثر، إلا أنه مستمر في تعاليه ودعمه للظلم، ويقول علناً إن إسرائيل عندما تواجه الإرهابيين والشياطين، ويقصد بهم الشعب الفلسطيني الأعزل، فإنها لا تواجههم بسبعة ملايين نسمة، بل إنهم 307 ملايين نسمة، لأن الشعب الأميركي كله معهم، ضد الشعب الفلسطيني الذي يحاول تحرير أرضه من الاحتلال الصهيوني ويستشهد شبابه ونساؤه وأطفاله في سبيل ذلك، مع ان هذا من أبسط حقوقه التي تكفلها له القوانين الدولية التي لا تمشي إلا على من تحبه أميركا.

لماذا؟ لأنه يعرف أن العرب ضعفاء وعرف ضعفهم أكثر خلال فترة حكمه، لأنهم يجيدون إطاعة أميركا، ولا يجيدون الدفاع عن كرامة شعوبهم، ويرضخون لأوامر أميركا ولا يرضخون لمتطلبات شعوبهم، هكذا عرفنا العالم وهكذا يتعامل معنا، يقتلون أطفالنا ويهينوننا، ونتملق لهم ونأخذهم بالأحضان والقبلات.

هكذا يفعل بعض قادة العرب مع ألدّ أعدائهم، مع من يسيء لهم ويعتدي على شعبهم، فماذا نتوقع إذاً من الآخرين، سواء كان جورج بوش أو باراك أوباما؟!

الأزمة المالية والمسؤولية الأميركية

خلال الأسابيع الماضية انشغل العالم بأسوأ كارثة اقتصادية لم يذكر التاريخ مثيلاً لها، خاصة في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا والدول المرتبطة بهما.

فهل هذه الكارثة كانت فعلاً مفاجئة ولم يكن بالإمكان تفاديها؟

وأين كان خبراء وعباقرة الاقتصاد وفلاسفة الرأسمالية! وهل كانت متوقعة أم حدثت بين ليلة وضحاها؟

فمهما كان الجواب نفياً أو إيجاباً، فينطبق عليه قول الشاعر:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم.

لا شك أن التسيب الحاصل في عهد الحكومة الأميركية الحالية هو السبب في هذه الكارثة، فالمسؤولية الأولى تقع على حكومة جورج بوش التي روجت لاستراتيجية اقتصادية تخدم مصلحتها أولاً، دون أن تدرس المخاطر والعواقب المترتبة عنها:

إن كل متابع لما كتب في الغرب عن تصرفات جورج بوش وحكومته خلال الثماني سنوات الماضية، يتأكد من أن بعض العقلاء من سياسيين ومفكرين من أميركا وأوروبا كتبوا وتحدثوا في وسائل الإعلام المختلفة، وحذروا بشكل أو بآخر من حدوث كارثة ما في أميركا، بل البعض منهم توقع ذلك حيث قال أحدهم: إن الدور القادم على الولايات المتحدة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، لكنها لم تعر انتباهاً لمثل هذه التحذيرات

كالعادة، واعتبرت نفسها سيدة العالم الوحيدة.

وتصرفت دون رقابة أو قيود، وتمادت في نفوذها خاصة في عهد الحكومة الحالية «حكومة جورج بوش» الذي ادعى أنه ملهم من الرب وأنه جاء لإنقاذ العالم من الإرهاب والأشرار. وصنف كل من يخالفه الرأي بالإرهابي ويجب القضاء عليه، مهما كلف ذلك الشعب الأميركي وشعوب العالم.

لكن لم يقدر له أن يفلت بجرائمه قبل انتهاء فترة حكمه بأسابيع، ليعرفه شعبه على حقيقته ويتحول الحلم الأميركي الذي روج له ووعد به شعبه في بداية حكمه، إلى كابوس لن يفيقوا منه قريباً، وقد لا يغفرون له أنه قادهم إلى الهاوية، كما لن تغفر له شعوب أخرى تسبب في دمارها وتشريدها عندما اتخذ مجموعة من القرارات المدمرة، بحجة حماية أميركا والعالم الحر من الإرهاب، فأمر بإرسال شباب في مقتبل العمر من أميركا وحلفائها إلى أفغانستان ليدمر بلداً ويقتل شعباً لم يكن قد لملم جراحه من حرب سابقة.

ولم يتوقف عند هذا الحد، بل اختلقت حكومته ذرائع لشن حرب أخرى على العراق، دون مبالاة بالرأي العام العالمي، فدمر بلداً وقضى على اقتصاده وشرد شعبه وأبقى البقية الباقية في حالة تشتت وفقر، وبعد أن كانوا يعيشون في دولة غنية بثرواتها الطبيعية أصبحوا يصنفون ضمن شعوب العالم الفقيرة. ولن يمحو الزمن مهما طال آثار الدمار على هاتين الدولتين، وآثار تصرفاته على اقتصاد بلاده والعالم.

إن الصحف الأميركية والانجليزية لا يشغلها في الفترة الأخيرة، سوى الأزمة الاقتصادية وآثارها على أميركا وأوروبا، حيث كتبت جريدة

«ديلي ميرور» تعليقاً على سقوط بنك إيرلندي أدى إلى خسارة حوالي 300 ألف مستثمر بريطاني، تقول فيه: إن البنوك الانجليزية مازالت أحسن حالاً ما دامت قائمة ولم تسقط بعد، ونشر إلى جانب المقال رسم كاريكاتوري لمواطن يحاول سحب نقود من صندوق السحب، فيفاجأ بضربة من قبضة يد قوية تخرج من الصندوق وتقول له: أما زلت تفكر في السحب النقدي بعد اليوم؟!

أما «فايننشال تايمز» فكتبت عن حكومة ايسلندا، وهي دولة غربية، لكنها طلبت قرضاً بمبلغ أربعة مليارات جنيه من روسيا بعد أن رفضت الحكومات الغربية مساعدتها. وفي موضوع آخر كتبت: جاء الوقت لإنقاذ شامل للنظام المالي العالمي. أما مجلة التايمز الأميركية فعبرت عن الكارثة في صفحتها الأولى بصورة قديمة لمجموعة من الأشخاص البائسين أثناء أزمة (1929)، وعلقت على الصورة بجملة تقول: «الأوقات الصعبة مجدداً»، ودلت عناوين تحليلات كتابها داخل العدد عن حجم الكارثة، حيث كان بعض منها كالتالي:

- نهاية الحقبة الأميركية.
- الأزمة المالية لم تقوض فقط اقتصاد الولايات المتحدة بل سلطتها أيضاً.
- تلك الأيام التي كانت فيها الولايات المتحدة توجه الأمم الأخرى إلى الطريق الصحيح لإدارة شؤونها قد ولت.

أما صحيفة «USA today» فأجرت استطلاعاً للرأي طرحت فيه أسئلة على عدد من المواطنين أهمها:

- هل توافق أو لا توافق على أداء جورج بوش لوظيفته كرئيس

لأميركا، فكان الجواب: 71٪ لا أوافق.

● هل أنت راض أو غير راض عن سير الأمور في أميركا؟ فكان الجواب 91٪ غير راض.

● هل الحالة الاقتصادية العامة في أميركا تسير إلى الأحسن أم إلى الأسوأ؟ فكان 84٪ إلى الأسوأ.

هذه بعض الأسئلة التي توضح رأي الشعب الأميركي في الحالة التي وصل إليها بسبب حكومة جورج بوش، ولربما أدرك متأخراً أن هذه الحكومة صرفت مليارات الدولارات في أماكن لا صلة له بها ولا فائدة عليه من ورائها.

يقول أحد الأصدقاء المتابعين للوضع الاقتصادي العالمي: إن الصين قبل فترة أرادت دخول السوق الأميركية وشراء شركة بترول هناك فلم يسمحوا لها بذلك، وفي الفترة الأخيرة ذهب أصحاب شركة أميركية إلى الصين لبيع مصنع مقابل مبلغ لم يوافق عليه الصينيون الذين عرضوا مبلغاً زهيداً ثمناً له، لم يعجب الأميركان، فكان رد الصينيين أن مصنعكم اليوم لا يساوي شيئاً لأننا لسنا بحاجة إليه، أما أنتم فبحاجة إلى نقودنا!!

فهل هذا يعني أن عصراً جديداً قد بدأ، وقد تقود فيه العالم دول مثل الصين والهند من آسيا وروسيا من أوروبا؟ وهل بعد هذه الأزمة سوف يظهر نظام مالي عالمي جديد؟

أغلب الخبراء يطرحون هذه الرؤية ويتوقعون أن تتبرأ الحكومة الأميركية القادمة من نظام جورج بوش وتصرفاته، وتفكر في بدائل جديدة أكثر استقراراً وأماناً لاسترجاع مكانتها الاقتصادية التي قد تنسحب منها.

لكن أين العرب المسلمون من كل هذا؟ ولماذا لا يكونون طرفاً في إعداد نظام مالي عالمي جديد؟.. أم قدرهم أن يتحملوا الأزمات وتبعاتها فقط حتى لو لم يكونوا طرفاً فيها؟

لقد حان الوقت لإعادة النظر في أوراقنا بعد أن وضعنا كل أمورنا في سلة أميركا وجورج بوش بصفة خاصة الذي أضرنا وأساء إلينا، وعلينا أن نعيد النظر في سياستنا وعلاقتنا معها والتي يجب أن تتركز على مصالحنا قبل كل شيء. وهذا لن يتحقق إلا بتوحيد الصفوف والتعاون المشترك، ولتبدأ دول مجلس التعاون بالخطوة الأولى لأنها الأغنى والأقوى اقتصادياً.

فهذه فرصة العرب ليحتلوا مكانة بين الدول القوية القادمة.. فهل هذا ممكن؟!

نعم.. ممكن شريطة ترك الخوف يخرج من عقولنا والابتعاد عنه، وبكل تأكيد لو أجرينا استفتاء لمعرفة آراء الشعوب العربية فسوف تكون النتيجة بالإيجاب بنسبة 99٪ وحقيقية!

الإصلاح والديمقراطية
من أجل استغلال الشعوب

تحدثت سابقاً عن دور الحكومات التي تفكر بعقل السيطرة على العالم وعلى ثروات الشعوب لإشباع مصالحها السياسية والاقتصادية ومن أجل استغلال هذه الثروات لصالح فئة محددة، وكأنها لا تناسب أحداً غيرهم، أو ربما لا تصلح حتى للقضاء على الفقر والجوع المنتشر في عصرنا الحالي أكثر من أي عصر مضى، وكان بالأحرى أن تستغل هذه الثروات الطبيعية مع التقدم العلمي والتكنولوجي للحد من هذه الآفة إن لم يكن من الواجب إنسانيا القضاء عليها من قبل الفئة اللا انسانية المسيطرة على زمام الأمور.

لكن إذا كان حكام القارات الأكثر فقراً وهي إفريقيا وآسيا وأميركا الجنوبية لا يعبأون بأوضاع بلادهم المتردية لان ذلك يخدم مصالحهم، فأين دور الشعوب الأكثر معاناة من الفقر، وفي نفس الوقت الأكثر ثراء بما تزخر به أراضيها من ثروات ومصادر طبيعية؟

هل عن جهل أو استسلام رضيت هذه الشعوب بحكومات غير شرعية هي صاحبة الأمر والنهي والاختصاص، والمسؤولية، والنفوذ والجاه والنهب والسلب، أما الشعوب فعليها أن لا تطمح بأكثر مما لديها وهو حق المواطنة في ذلك البلد في افريقيا أو آخر في آسيا لأنها الواجهة التي تستخدمها حكوماتها لكسب التعاطف في الغرب عند الحاجة.

فإذا كانت بعض الشعوب في هذه القارات مغلوبة على أمرها فأين هي

الدول العظمى من أوضاعها، وأين هم دعاة الاصلاح والديمقراطية في هذه الدول؟ أم أنهم رأوا أن القضاء على الفقر والجوع والجهل والتخلف والبطالة والفساد في هذه القارات لا يناسب مكانتهم أو برستيجهم؟ وان الحرية والرفاهية مقتصرة عليهم وحيكت على مقاسهم، ولا تناسب غيرهم؟

أم أن سيطرة الفئة الحاكمة في تلك الدول على الأموال العامة وحتى على المساعدات الخارجية في أغلب الأوقات تخدم سياستهم، حيث إن اغلب الحكومات الافريقية وبعض الحكومات في آسيا وأميركا الجنوبية يضرب بها المثل في نهب ثروات الشعوب وإيداعها في البنوك الأوروبية والأميركية، وليس هذا التصرف بغريب عن بعض دول آسيا والشرق والأوسط.

لكن لكي لا نحمل اخفاقاتنا ومآسينا وتردي أوضاعنا إلى الغير كعادتنا نقول ما الذي تم فعله في الصومال والسودان؟ فمنذ عشرات السنين ونحن نسمع أن الأراضي الزراعية في السودان يمكنها أن تسد حاجة كل الدول العربية إذا أحسن استغلالها، والغريب أنها لا تسد حاجة السودان نفسه.

حيث إن بعض المناطق تشكو من الجوع وسوء التغذية، حتى وان ذلك نتيجة أسباب سياسية كما هو الحال في الصومال، فإذا كانت الدول العربية والإسلامية لم تعد قادرة على مساعدة المحتاجين من المسلمين أو أن ازدياد آفة الفقر والجوع يفوق قدراتها، فما عليها إلا أن تفرض الزكاة على أغنياء المسلمين التي لو دفعت لأشبعت فقراء العالم وليس فقراء المسلمين فحسب، أم أن الطلب يحتاج إلى أمر أو تدخل خارجي؟

إن الأوضاع المتردية في هذه القارات سببها تغييب الحريات وعدم محاسبة ومراقبة الحكومات التي من المفروض أنها ممثلة للشعوب وانتخبت من قبلهم لترعى مصالحهم، وتحسن من أوضاعهم، مما أعطى سبباً للغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة للتدخل من أجل فرض الاصلاح والديمقراطية فقط في الدول التي تريد الاستفادة من ثرواتها لأنها في نظرها أكبر وأخطر من أن تبقى في أيادي فئة محددة وإن كانت هذه الفئة خاضعة لهم ولا تتحرك إلا بأوامرهم، وعندما يقررون ويشعرون بتهديد مصالحهم، يكشفون عن فسادها ونهبها للمال العام لكي يحولوا الغضب العام تجاه سياستهم إلى غضب الشعوب تجاه حكامهم.

التطاول غربي.. والتقصير عربي

ما زالت الإهانات للإسلام والمسلمين مستمرة، وما زال النظر إليهم بالشك والريبة من قِبل بعض المتطرفين في الغرب في تصاعد، خاصة مع عدم رد فعل المسؤولين في تلك الدول لمعاقبتهم أو حتى ردعهم، ربما لأن الأفعال اللاأخلاقية في نظرهم تدخل ضمن إطار حرية الفكر والتعبير، وهم بلاد الحريات والديمقراطية!

في ما مضى تعرّض المسلمون من المشرق إلى المغرب إلى الإهانات المتتالية خاصة من قِبل الاستعمار، واعتقدوا أنه رحل أو أجبروه على الرحيل بكل مآسيه من دون رجعة، إلى أن استجد في العراق بطرق معولمة ولا إنسانية أكثر بشاعة وقهراً طورتها دول غربية تنادي بحريات الشعوب، وفي الوقت نفسه تجلس على أنفاسهم. وهذا التناقض الذي يخدم المصالح هو مبدؤهم في القرن الحادي والعشرين.

ولأن المسلمين تحمّلوا بضعفهم كل أنواع القهر والتنكيل وجد الغرب في ذلك ذريعة للاستمرار في الإساءة إليهم، بدءاً بتقسيمهم إلى معتدلين ومتطرفين، مع أن الحال ينطبق على كل الديانات لأن هذه هي الطبيعة البشرية منذ بدء الخليقة.

لكن تركيز الغرب كان دائماً على المسلمين لأنهم لا يريدون للإسلام الانتشار ولا للمسلمين التقدم والازدهار، واستمرت الإساءة واتهموهم بالإرهاب وأن الدين الإسلامي السبب في تصادم الحضارات.

ومؤخراً وصلت بهم الوقاحة والتسلط إلى أبعد من ذلك، وجاءت

الإساءة الأخيرة في جريدة دنماركية لشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لتفجّر مشاعر الملايين من المسلمين، ليس باعتبارها تجاوزاً للمحرّمات فحسب، بل تطاولا على أشرف خلق الله، وتبعتها بعض الصحف الأوروبية في المستوى نفسه تجد ضالتها دائماً في نشر الباطل.

فقام المسلمون في كل أنحاء العالم بتظاهرات غاضبة ضد هذا التطاول المشين الذي يرفضه أي إنسان مهما كانت ديانته، مع ذلك لم تتحرك أكثر الحكومات الإسلامية ولم تقم حتى باستدعاء سفرائها من تلك الدول المتعجرفة التي لم تتنازل وتقدم ولو اعتذاراً للشعوب الإسلامية، وكأن أمراً كهذا يحتاج إلى دراسة وتفكير للقيام به!

فماذا لو حدث العكس ووجهت الإساءة للغرب؟

كانوا سيقيمون الدنيا ولن يقعدوها، وتشجب منظماتهم وتستنكر جمعياتهم الأهلية، وسيهددون ويتوعدون كل الدول الإسلامية دون استثناء.

ألا تستحق الإساءة إلى خير خلق الله وخاتم الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم القيام باستدعاء السفراء من تلك الدول، وهذا أضعف الإيمان.

لقد تابعت رئيس تحرير تلك الجريدة الدنماركية في إحدى القنوات الأجنبية وهو يتكلم عن المسلمين بكل وقاحة وعنجهية وعندما واجهه مقدم البرنامج بأخطائه وصف الدول الإسلامية بالمتخلفة من وجهة نظره لأنها لا تسمح للمرأة بقيادة السيارات .

وهذا يدل على جهله بالإسلامي والمسلمين، هكذا يفكر بعض المثقفين في الغرب بسطحية وعجرفة ويبررون باطل أفعالهم بحرية الرأي والفكر،

لذا فإن الموضوع في الأصل له علاقة بالكراهية للإسلام.

وهذا ما حصل عندما فازت حماس في انتخابات حرة، وبإشراف دولي في فلسطين، حيث قامت الدول الغربية بالاعتراض على فوزها، وتهديدها بالمقاطعة وعدم تقديم المساعدة، ووصفتها بأنها حركة إرهابية لا لشيء إلا لكون حماس عقيدتها إسلامية ومبادئها ثابتة.

ولا تخاف في ذلك لومة لائم، والغريب أنهم يحاربونها علناً وفي شتى الجبهات وفي الوقت نفسه يدعون الدول العربية والإسلامية إلى الإصلاح والديمقراطية وإعطاء الحق للشعوب لتقرير مصيرها وحماس وصلت إلى الحكم باختيار شعبي، فأي ديمقراطية يريدون إذن؟

ربما يريدون في دولهم ديمقراطية فعلية خوفاً من شعوبهم التي لن تسكت، ويريدون من الدول الإسلامية ديمقراطية من صنعهم وعلى مقاسهم خوفاً على شعوبها من الكلام، وقد تعودت على الاسكات.

وصلتني رسالة عبر البريد الالكتروني من أحد الإخوة الشباب تقول: عجبت لرجل يُسَبُّ فيعظم حبه، ويتم التطاول عليه فتنتشر دعوته، ويُحارب فتهب القلوب لنصرته والدفاع عن مكانته.. وهذا لا يحدث إلا من أجله صلى الله عليه وسلم، فهو خير خلق الله وأعظمهم وأعزهم مكانة في الأرض وفي السماء.

أفلا يعقلون؟

الخبز أم الديمقراطية ؟

رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد لم ولن يكون أحسن ممن سبقوه، وما محاولات بعض الزعماءالعرب التقرب منه للدخول في مفاوضات مع الفلسطينيين، ظناً منهم أن الفرج سوف يأتي على يديه، ويحقق المعجزة وينهي الصراع الأبدي،إلا محاولات يائسة سوف تزيد من تعنت وغطرسة إسرائيل.

وفي أول ظهور رسمي له بعد توليه منصبه أكد على موقف من سبقوه، من الفلسطينيين، ولهذا التصريح الأكثر تشدداً هو لم يفرق بين حماس أو فتح، أو بين رئيس السلطة ورئيس الحكومة، وحينها استدعى الأمر التدخل، لكن مع الأسف لم يحاول ولا زعيم عربي الرد عليه أو حتى الاستفسار منه، وكذلك الدول الغربية التي لم تجرؤ على معاتبته كما تفعل دائماً مع الفلسطينيين بسبب وبدون سبب.

وهذا يعني أن إسرائيل ماضية في سياسة التسلط وقهر الأبرياء حتى وإن تغيرت حكوماتها لأنها متأكدة من دعم أميركا وحمايتها لها.

مع ذلك فالدعم الأميركي ومن ورائه بعض الدول الغربية ليس هو السبب الوحيد، فقبل كل شيء السبب هو الضعف العربي الذي لم تحركه مجازر فلسطين.

ولا الموت الجماعي في العراق، سببه التخاذل المستمر الذي لم تقدر الدول العربية على فراقه، حتى انها لم تحاول الوقوف في وجه مقاطعي الحكومة الفلسطينية الجديدة ودعمها باعتبارها الحكومة الأولى في

تاريخ السلطة الفلسطينية .

وفي تاريخ الدول العربية التي جاءت إلى الحكم بانتخابات شعبية حرة، بالرغم من انهم محاصرون ويعيشون تحت ظل أبشع احتلال في التاريخ، لكنهم حملوا أرواحهم فوق اكتافهم.

وذهبوا إلى صناديق الاقتراع واختاروا ممثليهم بحرية ونزاهة بشهادة الجميع، وعلى رأسهم الدول التي تدعي أنها تناصر الديمقراطية، وتحاربها عندما لا تأتي على هواها أو لا تخدم مصالحها.

إذاً القضية ليست فوز حركة حماس في الانتخابات إنما في الفكر السياسي الصهيوني الذي لا يؤمن إلاّ بمحاربة أية حكومة فلسطينية بكل الوسائل مهما كان من يحكمها، أو من يمثلها، وقد رددت إسرائيل وكررت مراراً في عهد الراحل ياسر عرفات انه لا يوجد شريك فلسطيني.

وادعت انها مستعدة للتفاوض مع أي شخص آخر يأتي إلى السلطة، فجاء الرئيس محمود عباس وبقي الوضع على ما هو عليه واستمرت في المماطلة والكذب، كيف لا؟ وقد سبق وقال أحدهم عن الفلسطينيين والعرب بانهم حشرات، وهل يمكن في هذه الحالة التعامل مع حشرات؟

إذاً الموضوع كما قلت ليس في وصول حماس إلى الحكم انما في إسرائيل التي لا تريد ان تعترف بدولة اسمها فلسطين لأنها سوف تذكرها دائماً بالتاريخ وتجاوزاتها عليه، وهي تحاول طمسه، وان استطاعت تغييره، ومع الأسف فالدول العربية تعي هذا الشيء وبدلاً من دعم الحكومة الفلسطينية المنتخبة مادياً ومعنوياً يقوم بعضها بالضغط عليها، أليس هذا غريباً؟!

هل القصد من وراء ذلك إفشال أول تجربة فلسطينية وعربية في

ممارسة الديمقراطية؟

أيستحق هذا الشعب المناضل كل هذه الضغوطات من العدو ومن القريب؟ هذا الشعب الذي لا يمتلك حتى أبسط حقوقه ومجبر على العيش في ظل سيطرة قوانين سجانه.

اذاً فليترك هذا الشعب الذي لن يخسر أكثر مما خسر منذ أكثر من نصف قرن، يقرر مصيره بنفسه وبقيادة الحكومة التي اختارها، واذا كانت معظم الدول العربية عاجزة عن تقديم الدعم اللازم لها فعلى الأقل فلتكف عن الضغط عليها.

فالإسرائيليون لا يريدون ان يكون الفلسطيني نداً لهم بل يريدون محاصرته في جزر مفككة لا رابط بينها ولا حتى شكل دولة، وهم يراهنون في ذلك على دعم الدول التي تدعي الحرية!

واذا كانت إسرائيل تجامل بعض المسؤولين الفلسطينيين فإنها تريد بذلك كسب الوقت وكسبهم مؤقتاً، لإذلالهم في الأيام المقبلة، ولاأعتقد ان هناك فلسطينيا سوف يقبل بذلك لأن التجارب أثبتت لهم نوايا وأهداف إسرائيل الخفيةوالمعلنة. .

ذكر في رسائل إخوان الصفا، في القرن الثالث الهجري: «هذا زمن السكوت، وملازمة البيوت» فماذا يمكن ان نقول عن هذا الزمن؟

المعركة بين الخير والشر

أعجبني رأي أحد المفكرين الغربيين حين قال: العالم مليء بالأشرار لكن ليس كما يدعي جورج بوش حين صنف من معه بالخير، ومن يخالفه الرأي بالشرير فهو برأيه هذا يعمم الشر على العالم كله، ويقضي على كل ما حققته البشرية من تقدم ونماء.

فإذا كان الأمر كما يراه، فما هو تصنيفه إذاً لما نتابعه يومياً من خراب ودمار حول العالم؟ وبالذات في إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط؟ وما تصنيفه للمتسبب فيه؟ وأين الخير منه؟!

لا شك أن المعركة الدائرة فعلاً هي بين الخير والشر لكن الشر لا يمثله إلا هؤلاء المتغطرسون الذين يضحون بأرواح أبنائهم، ويقتلون شعوباً ويدمرون دولاً في سبيل تحقيق مصالح سياسية، وأطماع اقتصادية ولن تتوقف معركة هؤلاء الأشرار ضد الإنسانية، بدءاً من فيتنام إلى فلسطين والعراق وأفغانستان ولبنان، ولا أحد يدري إلى أين سوف تصل؟

ألم يكن بإمكانهم استثمار التقدم والتطور لخدمة كل الشعوب الفقيرة والغنية معاً لتعم الاستفادة؟!

أما الأخيار من شعوب العالم فهم الذين يضحون في سبيل حريتهم ويتصدون لهؤلاء الأشرار ولو بموقف أو كلمة، ومؤخراً أدرك بعض المثقفين والمفكرين وحتى الفنانين في أميركا ذلك واستغلوا كل الوسائل الإعلامية والتكنولوجية لإيصال آرائهم وكلمتهم للشعب الأميركي للتصدي لهذه المجموعة، إذ بعد مضي أكثر من خمس سنوات على كارثة

11 سبتمبر أصبح هؤلاء على يقين بأن المجموعة التي كانت تحكمهم قد تكون وراء هذه الكارثة. والأيام القادمة سوف تكشف أسراراً وخفايا عنها، كما تم الكشف مؤخراً عن نفقات الحرب التي تشنها الحكومة الأميركية بقيادة المحافظين الجدد على الإرهاب كما تدعي، وهل هي من مقدرات الشعوب المقتدرة أم من ثروات الشعوب الفقيرة؟

في رأيي أن ما تم ويتم صرفه على الحرب على أفغانستان والعراق، إن لم يكن خيالياً بالنسبة للبعض فهو يصيب البعض الآخر بالذعر، ووكالات الأنباء لم تقصر في نشر الأرقام المعلنة على الأقل.

حيث ذكرت أن الكونغرس الأميركي قبل الانتخابات الأخيرة وافق على تخصيص 70 مليار دولار إضافية للحرب على العراق وأفغانستان، أو ما يسمونه بالحرب على الإرهاب ووضع أسس الديمقراطية في هاتين الدولتين لتكونا نموذجاً يحتذى به في باقي الدول، لكن إلى الآن لا ندري أي نموذج سوف تسفر عنه الحرب الدائرة هناك؟

وقد نشر أيضاً أن إجمالي النفقات على هذه الحرب حتى الآن وصل إلى حوالي 500 مليار دولار وقد تصل التكلفة إلى تريليون دولار مع ذلك فتحقيق الهدف المعلن الذي قامت من أجله وإلى أين سوف تصل أطماعهم ما زالا في علم الغيب. ومعلومة أخرى ذكرت أن ما صرف منذ 30 عاماً على دولة إسرائيل وصل إلى مليارات من الدولارات مما يعني أن إسرائيل لولا الدعم الأميركي العسكري والاقتصادي اللامحدود لها لما استباحت وتغطرست على شعب لا يستطيع التصرف حتى في الدعم البسيط الذي يحصل عليه بعد جهد ومشقة.

ولا زلنا لا نعرف من أين تأتي الحكومات الأميركية بهذه المبالغ

الضخمة؟ أهي من ثرواتها الخاصة، أم من عائدات البترول العربي؟! ألم يكن في استطاعتهم صرف هذه الأموال إن كانت من خزائنهم والتي تساوي ميزانية عدد من الدول النامية في آسيا وإفريقيا على الشعوب الفقيرة ودعمها اقتصادياً وسياسياً لتواكب التطور السريع الذي يشهده هذا العصر؟ أما إذا كانت من البترول العربي فالشعوب العربية لا تستنزف دماؤها فحسب بل ثرواتها كذلك، أليست أحق بهذه الأموال لتنميتها اجتماعياً واقتصادياً؟.

وأخيراً في الوقت الذي نقرأ فيه أن الحكومة الأميركية صرفت مبالغ كبيرة لإنشاء مراكز إعلامية في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا لنشر الحوار بين الثقافات وتقليص الفجوة بين الشعوب، تنشر تقارير للأجهزة الاستخباراتية الأميركية يقال إنها سرية تؤكد أن التطرف والإرهاب في ازدياد وانتشار في العالم.

أليس الشعب الأميركي بحاجة أكثر للتثقيف والتعريف بما يدور في الدول خاصة العربية والتي ربما لا تعرف الأغلبية منه حتى مواقعها على الخريطة أم أن تجاهله يناسب سياسة حكوماتها وأطماعها اللامحدودة؟.

لو حصل وأن صرفت الحكومات الأميركية المتعاقبة هذه المبالغ لنصرة الحق والمستضعفين، وتنمية الشعوب الفقيرة وبناء علاقات معها بدل خلق ثغرات قد تستمر تداعياتها إلى ما لا نهاية، لهللت لها كل الشعوب وتجاوبت مع أفكارها العصرية التي تريد نشرها بالقوة!

النووي الإيراني والإسرائيلي والعرب

مع بداية العام الجديد أصبح الملف الإيراني النووي حديث الساعة، ربما لأن الذين سمحوا لأنفسهم بالتدخل في شؤون العالم، وتقرير مصير شعوبه سواء بزرع الفتنة أو بالقوة، قرروا أن تكون سنة 2006 سنة إيران مبدئياً، وقد تشمل بعد ذلك دولاً أخرى، بعد أن تورطوا في العراق وأفغانستان ونفضوا أيديهم من فلسطين وزرعوا العداوة والتوتر في غيرهم من الدول.

والمتابع للقنوات الفضائية والوسائل الإعلامية العربية والأجنبية يلاحظ وجود مؤيد ومعارض لبرنامج إيران النووي، وهذا شيء طبيعي.

وبكل تأكيد فإن إسرائيل كانت على رأس قائمة المعارضين التي تضم بعض الدول الغربية التي لا تتعدى الخمس دول حتى الآن، بما فيها الولايات المتحدة الأميركية، التي لن يعجزها أن تستدرج إلى صفها دولاً أخرى كعادتها، وقد تمت تسمية هذه الدول بالمجموعة الدولية من منطلق أنهم يشكلون مركز القوة في العالم، بامتلاكهم الأسلحة النووية والذرية.

وفي حوار في إحدى الفضائيات العربية ناقش بعض المثقفين العرب، ملف إيران النووي، وحقها في امتلاك الطاقة النووية للاستخدام السلمي، مع أني لم أفهم المغزى الحقيقي من مناقشة الموضوع، وقد انتهت باجماع المتحاورين على تأييد قرار المجموعة الدولية، وللأسف ليس من منطلق الخوف على المنطقة واستقرارها .

ولكن من منطلق عدم رضا هذه الأخيرة عن الملف الإيراني النووي،

ونسوا أو تناسوا أن يتطرقوا إلى أكبر عدو للعرب والمسلمين، إسرائيل التي تمتلك ترسانة نووية قادرة على تدمير كل الدول العربية من الخليج إلى المحيط!!

وبما اننا معنيون بالأمر أكثر من غيرنا، كان الواجب على هؤلاء المثقفين ربط الموضوعين ببعض، فإذا رأت المجموعة الدولية وقف نشاط إيران النووي.

فعلى الأقل علينا مطالبتها باتخاذ الموقف نفسه تجاه إسرائيل وجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل كما تفعل مصر كلما أثير ملف إيران النووي، وهذا أضعف الإيمان.

وإذا لم يكن باستطاعة الدول العربية الحديث في هذا الموضوع خوفاً على مصالحها، فعلى الشعوب العربية ممثلة في مثقفيها إثارة الموضوعين معاً والربط بينهما، فإيران دولة إسلامية حتى لو اختلفنا معها حول بعض القضايا والمواقف، لكن إذا حصلت على تسوية ترضيها فهذا قد يكون لمصلحة السلام في الشرق الأوسط، لكن أين هو هذا السلام أمام ترسانة إسرائيل النووية المرعبة؟

فالمتتبع لملف إيران النووي يلاحظ أن من بدأ بإثارة الأزمة هي إسرائيل، لأنها لا تريد دولة قوية في المنطقة تمتلك أسلحة نووية غيرها فما بالك لو كانت هذه الدولة لا تخاف إظهار عداوتها لإسرائيل علناً؟؟ فهكذا فعلت إسرائيل مع باكستان لمجرد أنها دولة إسلامية قد يأتي يوم وتتحالف مع أشقائها لردعها، فاستعملت كل وسائلها اللامشروعة دائماً لوضعها تحت ذراع سيدتها إلى حين!

ولأنها تعرف أن هذه الوسائل لن تنفع مع إيران التي لن تقبل بالتهديد

لأن مواقفها وسياستها ثابتة وسوف تكون دائماً ضد إسرائيل، تقوم حالياً بحشد تأييد دولي بقيادة مناصرتها في الباطل قبل الحق الولايات المتحدة الأميركية لإحالة ملف إيران إلى مجلس الأمن للتحكم فيه والضغط لتقرير ما يناسب مصالحهما.

لقد كنت أتمنى أن يكون التركيز من مثقفينا في القنوات الفضائية على امتلاك إسرائيل لأسلحة الدمار الشامل لأن هذه هي فرصتنا فهم من بدأ بإثارة الموضوع، ولنقلها صراحة:

نعم نريد منطقة خالية من الأسلحة النووية ودون استثناء أحد، وإلا لماذا يحق لإسرائيل ما لا يحق لغيرها من دول المنطقة مثل مصر وسوريا؟

ألم ندرك بعد أن الغرب لا يريد للعرب والمسلمين التقدم في أي مجال كان لأن ضعفنا يخدم مصالحه؟ فما دمنا عاجزين عن إنتاج أي نوع من الأسلحة حتى وإن كانت لعباً للأطفال!

فعلينا على الأقل توحيد مواقفنا والمطالبة بإخلاء المنطقة من كل سلاح نووي يهدد أمنها واستقرارها، ثم أين هي منظمة المؤتمر الإسلامي، أليس دورها مهماً وضرورياً في هذا الوقت؟ وإذا لم تتحرك الآن فمتى تتحرك؟

أم أن المنظمة التي تضم تحت لوائها الدول الإسلامية شكلية فقط، وأن المليار و300 مليون مسلم مجرد حبر على ورق، وعليهم أن يحلموا بجورج غالاوي آخر ليدافع عن قضاياهم؟ ربما!

أميركا والعرب.. علاقات شدّ وجذب

في لقاء من اللقاءات المتواصلة مع مجموعة من الأصدقاء الأميركيين من ذوي الأصول العربية، دار النقاش حول العلاقات العربية ـ الأميركية والتدهور الذي وصلت إليه في السنوات الأخيرة، وفي رأيي أن هذا الموضوع يطغى على جميع اللقاءات بين الأصدقاء في جميع الدول العربية! كان الحديث عن الموقف العام بين أوساط الشعوب العربية من الحكومات الأميركية تجاه القضايا العربية في العقدين الماضيين وتصاعدها من سيئ لأسوأ.

قال أحدهم: لا شك أن هناك نسبة كبيرة من الشعوب العربية تُكنّ تقديراً واحتراماً للشعب الأميركي، خاصة وأن كثيراً من أبنائها درسوا وتخرّجوا في الجامعات الأميركية وكوّنوا علاقات قوية مع عائلات أميركية، هذا إلى جانب أن أميركا لم تكن من الدول الاستعمارية، بل كانت هي في الأساس مُستعمَرة. وفي ظل أول دستور لها بعد الاستقلال نادت بالحرية للشعوب المستعمَرة في كل بقاع العالم.

وما دخولها في الحرب العالمية الثانية مع دول التحالف ضد حكومة هتلر النازية، إلاّ رغبة منها في أن ترى شعوب العالم حرة، أما فيما يتعلق بحرية الشعوب العربية فإن موقف الرئيس ايزنهاور من العدوان الثلاثي على مصر كان واضحاً، بالرغم من أنه كان حليفاً لبريطانيا وفرنسا، لكنه تدخل لإيقاف العدوان على مصر.

وتدخلت قائلاً: لكن في منتصف الستينات بدأت سياستها تتغيّر

وبدأت الحكومات المتعاقبة في تغيير مسارها وأصبحت الشعوب العربية تنظر إليها كدولة عدوّة، خاصة عندما ساندت إسرائيل أثناء حربها ضد الدول العربية عام 67، ومدّتها بالدعم اللوجستي بواسطة الباخرة «ليبرتي»، وتعاملت معها وكأنها ولاية من الولايات المتحدة الأميركية،

ومن ثم انقلبت من دولة تنادي بحريات الشعوب إلى دولة تفكر بعقلية الاستعمار والسيطرة على ثروات الشعوب، وبالذات العربية، هكذا أصبحت على مر السنين دولة متسلطة تريد فرض رأيها بالقوة، وباتت سياستها في نظر أكثر شعوب العالم السياسة النازية في ظل نظام هتلر، وكأنها ليست تلك الدولة التي كانت تنادي بحرية الشعوب!!

لا شك أن أميركا اليوم هي التي تقود العالم، وقد تكون القطب الأوحد في هذا العصر، لكن هل تعمل فعلاً لمصلحة الشعوب كما تدّعي؟ هل تريد لهذه الشعوب أن تعيش في حرية وأمان بعد أن عانت من القهر والظلم، سواء من الاستعمار أو من غيره؟ أليس الشعب الفلسطيني واحداً من أكثر الشعوب تضرراً؟ ألا يستحق أن يعيش مستقلاً في أمان؟

أليست قضيته تاريخية ومعروفة، خاصة فيما يتعلق بإنشاء وطن لليهود ووعد بلفور، هذا الوعد المشؤوم الذي قطعته الحكومة البريطانية لإنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين، وما تحاول الولايات المتحدة الأميركية حالياً هو تمليك الجزء الباقي منها، وهذا هو أساس مسلسل المشاكل الأميركية مع الشعوب العربية الذي إلى الآن لم تظهر بوادر حلقاته الأخيرة، مع أن الدول العربية هي أكبر مُصدّر للطاقة إلى الولايات المتحدة الأميركية،

وهذا دليل على أن الحكومات العربية تسعى جاهدة للبقاء على هذه

العلاقات في ظل أي ظروف، وتحت أي تأثير، كما أن الشعوب العربية، لم تسع يوماً إلى خلق عداوة مع الولايات المتحدة، لكن المشكلة في استمرار لا مبالاة هذه الأخيرة تجاه المطالب العربية الدائمة بالعدل والإنصاف، خاصة بالنسبة للقضية الفلسطينية، وكأن حق الشعب الفلسطيني المشروع في الاستقلال وتكوين دولة على أرضه كثير عليه، أو فوق قوة وقدرات الولايات المتحدة؟

في اعتقادي إن جلّ ما تتمناه الشعوب العربية من الشعب والحكومة الأميركية هو ألا يتركوا أمرهم لمجموعة من المغامرين الذين يدافعون عن الباطل من أجل مصالحهم الشخصية، ولا يأبهون لأصحاب الحق، متجاهلين أن مصالح دولتهم الدائمة هي مع الدول العربية.

بإرادتنا يفرِّقون بيننا

حاولت الابتعاد عن هموم وطننا العربي لأترك ذلك لمن هم أقدر مني، وأبتعد مع القراء إلى موضوع آخر. لكن واقعنا والمخططات التي تُرسم لوطننا والتي لا يصلنا إلا القليل منها عبر وسائل الإعلام الأميركية ونتائج ذلك على مستقبل الأجيال القادمة، لم تترك لي مجالاً للابتعاد، لأن هذه الهموم فرضت نفسها علينا ودخلت واحتلت كل البيوت وشغلت أفكار الصغار قبل الكبار. أما ما هو مخطط لنا فينطبق عليه قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم «لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع».

إن قتل إخوة لنا في فلسطين والعراق ولبنان لا ذنب لهم سوى أنهم يدافعون عن أرضهم التي أثارت طمع محتل يريد اغتصابها بالقوة والسيطرة عليها، ليس إلا جزءاً من مخططات استعمارية تتغير أو تتوسع حسب أهواء المستعمر وحلفائه، وهذا ما يُنشر يومياً في وسائل الإعلام الأميركية من خلال تصورات جديدة أو تقارير تتعلق بالوطن العربي وبالشرق الأوسط بصفة خاصة.

وآخر هذه المخططات ما بعثه لي أحد الأصدقاء حول ما نشرته مجلة «Army Forces Journal» الأميركية والذي يضع تصوراً جديداً لخريطة الشرق الأوسط على أسس مذهبية وعرقية، ويضم عدداً من الدول الإسلامية والعربية والخليجية بالذات.

وهذا ما تأكد لنا منذ احتلال العراق ومستنقع الخلاف المقصود الذي خلّفته أميركا لتسقط فيه جميع أطياف الشعب العراقي سنة وشيعة لنشر

العداء بينها وتقسيمها إلى فئات مذهبية وعرقية تتقاتل فيما بينها، وتتلهى عن الديمقراطية التي إلى الآن لم تقدر أميركا على نشرها، والتي تم على أساسها احتلال العراق.

والواضح أن هدفها توسيع دائرة الاختلاف والتقسيم بين طوائف الدين الواحد لتشمل دول الخليج ولبنان، مع ان السنة والشيعة في هذه الدول موجودان منذ قرون ويعيشان معاً إخوة وأقارب، ولم يحصل أن اهتم أحد منهم بخلفية الآخر المذهبية، وفي عدد من الدول العربية والإسلامية يشكلان عائلة واحدة.

لكن بعد احتلال العراق ظهر هذا الموضوع على السطح، والغريب في الأمر أن نقوم نحن أبناء المسلمين سنة وشيعة بمساعدتهم على نشر أفكارهم الهدامة لخلق الفرقة فيما بيننا، وكذلك رقص قادة وسياسيون على نغمتهم نفسها وكأنهم موافقون على مخططهم.

أما الأغرب أن يخرج عالم ديني واجبه ودوره توجيه المسلمين ومساعدتهم على فهم أمور دينهم وليس أداة لخدمة المصالح السياسية، ويفتي بتحريم مساعدة أو مساندة حزب الله في محنة لبنان وكأنه يستبيح قتل الأبرياء واحتلال أرضهم ويبارك للعدو أفعاله الشنيعة فإذا كان الساسة حجتهم الضغوط السياسية، فما حجة مثل هذا العالم؟

ألم يكن الأجدر في هذه الفترة أن يجتمع علماء المسلمين سنة وشيعة ويطالبوا بتوحيد الأمة ويناصروا كل الذين ارتفعوا فوق الخلافات المذهبية ودافعوا ببسالة ليس عن أوطانهم فحسب بل عن الشرف والكرامة العربيين اللذين أهدرتهما المصالح السياسية، أم نحن مازلنا كما يقال عنا ظاهرة صوتية؟

إن الإسلام عندما ظهر كما نعلم ظهر بدون مذاهب أو انتماءات عرقية أو طائفية إنما نادى بالتوحيد، ولم تظهر المذاهب إلا بعد عشرات السنين من الرسالة المحمدية، باجتهاد مجموعة من العلماء الأجلاء الذين نكن لهم كل الاحترام بغية تسهيل أمور دين المسلمين كل حسب رؤيته في ذلك العصر، ولم يتوقعوا أبداً أن يصل جهدهم في يوم من الأيام إلى هذا الحد من الخلاف والاقتتال بين المسلمين.

والواقع الذي نعيشه يومياً يقول إن المسلمين وفي مقدمتهم العرب وصلوا إلى حالة من الضعف والانكسار لم يذكر التاريخ مثيلاً لهما، وقد مر العرب في بداية القرن الماضي بنفس المرحلة عندما طالبوا باستقلالهم من الاستعمار، وحاول المستعمر جرهم إلى نفس المأزق وإلى بث الخلاف والتفرقة بينهم ليقضوا على أنفسهم بأيديهم.

فمثلاً حاول الاستعمار البريطاني في مصر خلق خلاف بين المسلمين والأقباط، ولكن الشعب المصري في ذلك الوقت كان أكثر ذكاءً وحكمة وإرادة فخرج المسلمون والأقباط وعلى رأسهم علماء الدين تحت شعار واحد «الدين لله والوطن للجميع».

لكن يتضح أننا في الوقت الحالي لم نفقد إرادتنا فحسب إنما فقدنا حتى.....!!

كتب أحد ملوك الفرنجة إلى هارون الرشيد: أنت على سعة رقعة أرضك، لا تشوبها قلاقل، وأنا على ضيق رقعة أرضي مملوءة بالمشاكل، فما السبب؟ رد عليه هارون الرشيد بسطر واحد: لأني أعرف كيف أنتقي الرجال.

حلم مع إيقاف التنفيذ

قال أحدهم: مهما تفهمنا موقفك ومهما تحاول شرح مواقف الفلسطينيين ودوافعهم، لكن الظاهر أن أغلبية الشعوب العربية غير مطلعة أو لم تدرك بعد ربما عن جهل أو عن تجاهل، أن ما يحصل الآن قد خطط له منذ مدة. أيها العربي المتحمّس إن مخطط الشرق الأوسط ماضٍ في التنفيذ كما خطط له، خاصة مع القوة الضاربة للقطب الواحد في العالم.

وهي أميركا في ظل هذه الحكومة التي لها مصالح استراتيجية في المنطقة. وما دام حليفها الدائم والوحيد المعتمد عليه في الشرق الأوسط هو إسرائيل بعبع العالم العربي والإسلامي ومدللة أميركا فإنها سوف تستمر في دعمها بالقوة العسكرية لأنها الوسيلة الوحيدة لها للسيطرة على العالم العربي.

إن آخر المخططات الاستراتيجية وحتى إشعار آخر الذي أعده ريتشارد بيرل أحد مؤسسي مشروع القرن الأميركي الجديد في عام 1996 وهو مشروع أمن جديد لإسرائيل يقضي في الأساس بعدم إعادة الأراضي الفلسطينية تحت أي ظرف.

قاطعته: عفواً حتى وإن لم تتحرك أية دولة عربية فإنهم حينها سيواجهون بعض الدول الإسلامية التي ما زالت تتحلى بالشجاعة للوقوف لهم، وسوف يستمر الفلسطينيون في المقاومة إلى حين إجبارهم على ترك أراضيهم.

قال: بالنسبة لهم هذا الموضوع غير قابل للمناقشة. فالمشروع يتضمن استمرار الوجود العسكري للقوات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة كما يتضمن اقتراحاً بتوجيه ضربة لسوريا لكي لا تقف ضدهم لمكافحة الإرهاب في لبنان.

والقصد بذلك «حزب الله»، كما يتضمن خارطة جديدة تشمل ضم الجولان إلى إسرائيل وتمديد الحدود الإسرائيلية إلى أبعد موقع ممكن بمحاذاة بعض الدول العربية.

وأهم ما جاء في المشروع آنذاك الإطاحة بصدام حسين ونظامه بصفته العدو الرئيسي لإسرائيل ومهدد استقرارها الوحيد حينها، فهذه الخطة منشورة وواضحة وبعلم جميع القياديين الحاليين في البيت الأبيض، وكذلك في بعض وسائل الإعلام الأميركية.

وكان عليكم يا عرب قراءتها والعمل على تفاديها، ولقد تم وضع هذا المشروع قيد التنفيذ منذ عام 2000 مع تولي مجموعة المحافظين الجدد مقاليد الحكم في البيت الأبيض، وتم بالفعل إسقاط نظام صدام حسين، لكنهم لم يتوقعوا التورط هناك وهذه كانت مفاجأة لهم، ولو نجحوا في ذلك لكان قد طبق المشروع بأكمله وهم يراهنون على ذلك وما زالوا.

وأرجو ألا تتحمسوا كثيراً للدول الغربية ومعارضتها العلنية، لأن مصلحتها من مصلحة أميركا وما حصل في العراق خير دليل على ذلك، فعندما عارضت فرنسا وألمانيا كسبت بريطانيا ودّ أميركا وتحالفت معها، وهما حالياً تتقاسمان ثروات العراق سراً وعلانية.

لكن دعني أؤكد لك أني لست ضد العرب ولا كارهاً لهم وللمسلمين،

ولست مؤيداً لأية سياسة استعمارية تهدف إلى السيطرة على حقوق الشعوب.

وما يحدث حالياً هو حقيقة واقعة، فأميركا والغرب يعتمدان كلياً على ثروات الدول العربية الطبيعية، مثل البترول والغاز، وما زالت المماطلة في حل قضية فلسطين مستمرة بالشكل المرسوم في الباطن، أما ظاهرياً فلقد أصبح الكلام عن السلام مستهلكاً لدى الجميع، وكأن حصوله معجزة، وهذا يعني أن على الفلسطينيين تقبل الوضع على ما هو عليه، أما العرب فما داموا متفككين فلا خوف منهم.

وشخصياً أتمنى ألا يفوت الوقت على العرب، فهم يمتلكون مصادر القوة التي تجتذب أميركا وأوروبا، لكن اختلافهم هو الذي يمهد الطريق للسيطرة على ثرواتهم، ومهما علت بعض الأصوات العربية والإسلامية هنا وهناك واحتجت على تصرفات أميركا والغرب إلا أن صوتها يظل منفرداً وسط الدعم المستمر لإسرائيل وتجهيزها وتهيئتها بالشكل المرسوم لها.

ومعذرة أنا لا أنتقص من قدرتكم لكني أعتقد أن حلمكم وحلم الفلسطينيين بدولة لها كيان سيظل قائماً مع إيقاف التنفيذ، وفي رأيي لا يمكن تحقيقه إلا بوجود استراتيجية ما بين الدول العربية والمليار مسلم، استراتيجية موحدة لا لبس فيها، عند ذلك سوف يدرك الغرب أن تحالفهم مع العرب سوف يلبي مطالبهم وقد يضطرون إلى إعادة النظر في شراكتهم مع الآخر، لأن القضية بمجملها مصالح اقتصادية وليست شعارات دينية وعقائدية.

أما الولايات المتحدة فسوف تسعى وراء الأقوى في الميدان، هل هي

إسرائيل أم العرب والمسلمون؟ حينها قد تعيد النظر في سياستها وتضعف كما حصل لقوات كبرى من قبل، أمام طرف آخر أقوى لديه إرادة قوية، فالدول العربية والإسلامية تمتلك طاقات بشرية وثروات طبيعية كفيلة بإعادة توازنها إضافة إلى دعم الملايين من المسلمين في أوروبا وأميركا.

أنا والكثيرون غيري نتمنى السلام الدائم في الشرق الأوسط وإن كدنا نفقد الأمل في حصوله، لأن وضع العرب الحالي لا يبشر بالخير!!

خطط الفتنة لإشعال المنطقة

تعودت مع بداية كل عام ان أتذكر معكم العام الذي مضى وما حمله لنا نحن العرب من خير وشر، والعام الجديد وما نتمنى ان يحمله لنا، مع اني أشك في ان يكون خيراً في ظل الظروف السياسية الكاتمة على أنفاسنا منذ فترة، وفي ظل الضغوط المستمرة على الشعوب العربية، رغم ذلك تفاءلوا.. فلا قيمة للحياة لولا فسحة الأمل.

بالنسبة للعرب لقد كان العام الماضي كالأعوام السابقة ان لم يكن أسوأ بما حمله من قتل، ودمار، وتراجع، وكأن ذلك لم يكن كافياً في العراق. وفلسطين، فأضيف إليه ما جرى ويجري في لبنان والذي قد يحتاج إلى أكثر من عام 2007 لتمحى آثاره.

فمنذ بداية القرن الحالي والعالم العربي يتعرض لضغوط واستفزازات من قبل الدول الغربية وبالذات من الولايات المتحدة الأميركية، مع ان الاستعمار خرج من أراضينا منتصف القرن الماضي، إلا ان بعض المفكرين لم يطمئنوا لذلك فكانوا يحذرون ويرددون بأن الاستعمار خرج من الباب ليدخل من النافذة، وفعلاً حاول الغرب بعد ذلك بشتى الطرق، لكن وعي الشعوب العربية آنذاك كان له بالمرصاد كما تصدى له بعض الزعماء العرب ولم يمكنوه من تنفيذ مخططاته، فانتظر إلى ان رحل ذلك الجيل من العظماء.

وجاء بعض القادة المهيئين لعدم ممانعتهم وللسماح لهم بتنفيذ أطماعهم شريطة البقاء على كرسي الحكم مدى الحياة، لكن هذا التنازل

والتواطؤ الذي حصلوا عليه لتنفيذ أهدافهم لم يكن كافياً ولم يطمئنهم، خوفاً من ان تستفيق الشعوب العربية وتحبط مخططاتهم فلجأوا إلى القوة للاستيلاء على ثروات الشعوب وإخضاعها.

وعملوا على عدم تمكين الوطن العربي من العيش في استقرار وديمقراطية، تلك النغمة التي برروا بها كل أفعالهم الشنيعة وازدادت فظاعتها عندما حاولوا إشعال نار لن تنطفئ ولو بعد حين، نار خطط لها بخبث ودهاء، الا وهي نار الفتنة والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد، ومن ثم بين الشعوب العربية.

ولقد بدأ هذا العام بتصاعد الاختراقات الأميركية ونشرها لهذه النغمة الجديدة وهي الخلاف الطائفي المتجذر في التاريخ خاصة الخلاف السني الشيعي الذي حاولت الشعوب العربية تجاوزه منذ زمن، لكنهم أعادوا استغلاله بقوة ليصبح الهدف منه تقسيم البلد الواحد إلى مذاهب وطوائف.

وبالأحرى تقسيم المسلمين وخلق العداء والاقتتال فيما بينهم وإشعال نار فتنة لا تحمد عقباها، وقد يتطور الأمر ليصبح بين المسلمين والمسيحيين، ثم بين القبائل والعشائر، وقد بدأت بوادر ذلك في العراق، وظهرت إلى العلن في لبنان ولأول مرة في فلسطين، وقد تتسع أكثر فأكثر.

فبعد سنوات من الحرب والدمار والجفاء العربي، كنا نتطلع ونحلم مع بداية كل عام جديد بالمصالحة وتوحيد الصفوف، وتقريب وجهات النظر إلا أن هذه الأحلام أصبح تحقيقها مستحيلاً في ظل فكرة التفرقة الطائفية والمذهبية السائدة اليوم.

إن الدلائل والمؤشرات تشير إلى أن نار الاختلاف ستشتعل أكثر

وأكثر لا محالة.

وحتى السياسة لم تعد قادرة على لعب دور مؤثر وفعال للتقريب بين المذاهب أو الملل، كما حصل في بداية القرن الماضي عندما تكاتف أبناء الشعب المصري مسلمين ومسيحيين وخرجوا تحت شعار واحد: (الدين لله والوطن للجميع) فطردوا المستعمر وخرج جنوده يجرون أذيال الخيبة والهزيمة.

لكن الذي يحصل الآن هو عكس ذلك، والتصريحات التي تطلق بسبب وبغير سبب، لن تضع حداً للعداء والانقسام الذي يهدف إليه الغرب، بعد أن فشلت كل محاولاته الأخرى، وإلا ما الذي نفهمه في تصريح أحد القادة عندما قال ان الشيعة تابعون ويتلقون أوامرهم من إيران، هل هذا جهل البعض بشعوبهم أم تشكيك في وطنيتهم؟

وماذا نفهم من بعض المثقفين والكتاب العرب عندما يكتبون عن حزب الله بأنه لا يمثل لبنان وإنما يمثل إيران وولاؤه لطهران؟ فإذا كان دفاع حزب الله عن أرضه بدماء أبنائه يخدم مخطط إيران، فيا ترى مثل هذه التصريحات والمقالات تخدم مخططات ومصالح من؟

إن الاستمرار في إشعال النار داخل الأراضي العربية المشتعلة أصلاً سوف يأكل الأخضر واليابس، القليل المتبقي، وإن كان ما جرى ويجري في العراق ولبنان وفلسطين لم ينته، وإنما هو في بدايته فإن الخوف من أن يتسبب هذا التأجيج في امتداده لدول أخرى، هكذا وسوف تمر علينا أعوام ونحن نتطاحن فيما بيننا، ويرتاح العدو ويكتفي بالتفرج والاستمتاع بمآسينا.

وقد بدأ العام الجديد فعلاً باستمرار حرائق الفتنة التي قد تنتقل كما

قلت إلى جميع أرجاء الوطن العربي والإسلامي والدليل ما حصل مؤخراً في الصومال واحتمال انتقاله إلى السودان، وربما قد تدرك هذا الخطر الشعوب والحكومات وإن كانت بعض الحكومات لا رجاء فيها وهي السبب إلى ما وصلنا إليه ومع ذلك يظل الأمل قائماً.

قد يقول قائل: ما الذي تغير ويجعلنا نأمل ونتفاءل بالمستقبل؟

أقول إننا نعيش دائماً على الأمل والرجاء ولولا ذلك لانتهينا منذ زمن طويل.. والأمل معقود على الجيل القادم الذي قد يحقق ما عجزنا عنه.

رحلة مع الانتخابات الأميركية

سافرت أخيراً إلى الولايات المتحدة الأميركية لعدة أيام بعد خمس سنوات من آخر زيارة لها والتي كانت في مدينة ديترويت عام 2003.

هذه المرة كانت الرحلة إلى مدينة jacksonville جاكسن فيل بولاية فلوريدا هذه المدينة التي تبعد عن مدينة ميامي بحوالي 550 كيلومتراً، وفي طريقنا إليها من مدينة لندن توقفنا في مطار ميامي الدولي الذي شهدنا فيه كما يقال العجب العجاب في التعامل مع المسافرين وطول فترة انتظارهم سواءً كانوا أميركيين أو أجانب، وكأن مطارات أميركا لم تنتهِ إلى الآن وبأمر من حكومة جورج بوش من حالة الاستنفار الأمني بعد أحداث 11 سبتمبر.

استوقفني أحد موظفي أمن المطار الذي لا حول له ولا قوة إلا تطبيق القانون، وقال بأسلوب مهذب: سيدي لقد تم اختيارك وسلمني بطاقة صفراء، وقلت مازحاً: وما هي الجائزة سيارة أم كيلو من الذهب، فرد بأسلوبه المهذب لا هذا ولا ذاك، لكن تم اختيارك للتفتيش الأمني وتابع قائلاً: أي من المطارات التي تقدم جوائز؟

قلت مطار دبي في دولة الإمارات مثلاً عند شرائك بطاقة، وأنا هناك وفي بعض مطارات العالم يختارون الفائزين كما اخترتموني، لم يأخذ التفتيش الأمني أكثر من دقائق رغم دقته، وأنهى معاملتي لكني أشفقت على حالة بقية المسافرين في الطابور، وأكملنا رحلتنا إلى مدينة »جاكسن فيل« هذه المدينة الصغيرة التي تقدر مساحتها بحوالي 2,200 كيلومتر مربع.

ويبلغ عدد سكانها حوالي 800 ألف نسمة، تقع على المحيط الأطلسي وتمتلك شواطئ جميلة يستغلها الأميركان في الصيف والربيع بشكل كبير، كما أنها من أكثر المدن التي زرتها خضرة، وتحتوي على عدد من البحيرات الحلوة والبحيرات الاصطناعية التي لا يستطيع الزائر التفريق بينها وبين البحر، هذا كله إلى جانب نهر يقسم المدينة إلى شطرين، فالزائر إلى المدينة يحس أنه داخل واحة تنتشر فيها الأشجار والمياه أكثر من البنايات التجارية والسكنية، وممنوع منعاً باتاً قطع الأشجار أو القضاء على المسطحات الخضراء بالرغم من كبر مساحتها وكثرة عددها لأنها تعتبر رمزاً للحياة وتعطي روحاً للمدينة وسكانها، لذا هم يؤمنون بأن المحافظة عليها واجب.

وليس كما يحدث عندنا رغم حاجتنا إلى الرقعة الخضراء، إلا أنه يتم القضاء عليها دون شفقة على الأشجار أو رحمة بالمسطحات الخضراء، ودون مراعاة قيمتها لمدينتنا أو المبالغ التي صرفت عليها في الوقت الذي نحن بحاجة إليها وليست هي بحاجة لنا، مع ذلك لم أتعرف على المدينة .

كما يجب لارتباطي بأمور أخرى لكني ذهبت في جولة سريعة داخلها، كما التقيت مع عدد من الأميركان وناقشنا الأوضاع السياسية والاقتصادية بشكل عام، خاصة وأن شغل المواطنين الشاغل في أميركا هذه الأيام هو الانتخابات الرئاسية والكارثة الاقتصادية التي انطلقت من أميركا وانتقلت إلى أوروبا والعالم المرتبط بهما، فكل وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة ليس لها إلا هذين

الموضوعين، اللذين ستحدد مصيرهما بعد أيام قليلة.

ويتم التركيز في أغلب البرامج والتحليلات على قدرات المرشحين للرئاسة أوباما وماكين واحتمالات نجاحهما في إخراج أميركا والعالم من هذه الكارثة، مع أن الأغلبية هناك تعتقد أنه لا بإمكان جورج بوش ولا ماكين ولا أوباما إيجاد حل لهذه الكارثة الاقتصادية.

ومن خلال متابعتي للأخبار والتحليلات السياسية، والتي نظراً للوجود الإعلامي القوي والشفاف غالباً ما تنقل صورة واضحة ومفصلة عن الأوضاع الداخلية، لفت نظري أن بعض الأميركيين غير راضين عن ضخ الحكومة مبلغ 700 مليار دولار للحد من الأزمة الاقتصادية، ويقولون إن هذه الأموال من ضرائبهم وتذهب لمصلحة الرأسماليين ولجيوب أصحاب رؤوس الأموال. ومن موقع آخر، لفت نظري نقل تلفزيوني لحفلة تُقام سنوياً في مدينة نيويورك من قِبل أسرة «الفرد سميث» أحد المرشحين للرئاسة في عشرينات القرن الماضي وهو ديمقراطي، والمعروف أن مدينة نيويورك أغلب سكانها ينتمون إلى الحزب الديمقراطي «الفرد سميث» كان حاكماً لولاية نيويورك. كما كان معروفاً بروحه المرحة ومع أنه لم يفز بالرئاسة إلا أن أسرته قامت بتأسيس مؤسسة خيرية باسمه وتقيم حفلاً سنوياً تدعو إليه خلال الانتخابات المرشحين للرئاسة قبل الانتخابات النهائية على ألا تناقش الأمور السياسية خلاله، بل يكون الحديث مرحاً يتخلله الضحك والترفيه.

وهذه السنة حضره المرشحان للرئاسة أوباما وماكين، وأنقل

مقتطفات على لسان ماكين في هذه الحفلة حيث قال: إن بعضكم يريد، بل يتمنى فوزي بالرئاسة، والتفت تجاه هيلاري كلينتون وكأنه يشير إليها، وفي رأيي ربما هذا صحيح، ففي داخلها قد لا تتمنى فوز أوباما لأنها قد لا تستطيع دخول الانتخابات الرئاسية إلا بعد 8 سنوات كما لا تستطيع منافسة رئيس من الحزب الديمقراطي، أما إذا فاز ماكين فلها الحق في دخول الانتخابات بعد أربع سنوات من الآن.

أما باراك أوباما فقال ضاحكاً خلال الحفل: لو كان من سماني حسين يعرف أني سوف أرشح نفسي يوماً لرئاسة أميركا لما كان فعل.

لكن الواضح أن باراك حسين أوباما يتقدم على منافسه ماكين وإن حصل وفاز فسوف يكون أول أميركي من أصل إفريقي يحكم أميركا مع أن البعض ينكر عليه ذلك وعلى رأسهم «جيسي جاكسون» المرشح السابق للرئاسة والمدافع عن حقوق الإنسان. حيث صرح بأن باراك أوباما أسود مقلد وليس أصيلا، ربما لأنه لم يركز كثيراً خلال حملته على مشكلات السود ومعاناتهم بل ركز على المواطنين الأميركيين بشكل عام، وجيسي جاكسون وغيره من المواطنين السود كانوا يتوقعون منه غير ذلك خاصة وأن الإحصائيات تقول إن عدد السود في أميركا وصل إلى حوالي 8، 12٪. حيث اقترب من عدد ذوي الأصول الإسبانية وأميركا اللاتينية الذين وصل عددهم إلى حوالي 8، 14٪، والسود هم الذين يعانون أكثر من العنصرية المنتشرة في بعض الولايات وهم يشكلون أكبر نسبة عاطلة عن العمل وأكثرها حرماناً ومعاناة، فهل هذا يعني إن فاز أوباما وأصبح رئيساً للولايات

المتحدة سيكون للسود رأي آخر ومكانة أخرى في المستقبل؟ أم أن أوباما حالة نادرة وقد تكون الأخيرة؟ وهذا كله سوف يتضح من خلال قدرته وبراعته في إدارة دفة الحكم في أميركا ومجاراة شعوب العالم في هذا القرن المتجدد إن حصل وفاز، أم سوف تكون هناك مفاجأة تقلب كل الموازين؟

لننتظر وسوف نرى، مع أن الموازين بالنسبة لنا كشعوب عربية هي دائماً مقلوبة سواء فاز أوباما أو ماكين، وستظل كذلك!

صعود الدول الغنية على حساب الفقيرة

لا شك أن هذا العصر من أجمل العصور للشعوب المقتدرة ومن أكثرها رفاهية، فخلاله يشهد العالم تقدماً وتطوراً منقطع النظير في شتى المجالات العلمية والتكنولوجية، كما في المجالات الصحية والاقتصادية وغيرها، لكن ماذا عن الشعوب الضعيفة والمحتاجة، فهل أسهم هذا التطور والتقدم بشكل أو بآخر في رفع المعاناة عنها.

ففي المجال الصحي مثلاً يسعى العلماء من خلال الأبحاث والتجارب العلمية المتواصلة إلى القضاء على بعض الأمراض المزمنة، أو على الأقل الوقاية منها قبل حدوثها منعاً لتعرض حياة الإنسان للخطر، ولم يقصر العلماء والباحثون في الاهتمام بكل علاج يخص صحة الإنسان فإذا كانوا لم يستطيعوا إلى الآن الحصول على علاج لتفادي خطر التعرض لبعض الأوبئة المزمنة إلا أنهم لم يتركوا شيئاً للصدفة في مجال الوقاية للحد من الخسارة البشرية.

وما ازدياد عدد المستشفيات في كل أنحاء العالم بأطبائها الأكفاء وأجهزتها المتطورة وتوافر أفضل وأحدث العلاجات والأدوية لبعض الأمراض المستعصية، إلا دليل على اجتهادهم المتواصل.

أما فيما يخص المجال الثقافي والتعليمي، فلقد أصبح العلم والمعرفة في متناول الجميع، وبأحدث الوسائل التكنولوجية التي أصبحت شيئاً أساسياً في الحياة اليومية لكل فرد منا بما فيها الاتصالات والمواصلات العابرة للقارات بأسرع وقت وبأحدث وأكثر الوسائل راحة ورفاهية.

وبكل تأكيد فإن هذا التطور والاكتشافات تما بفضل طموح وجهود أفراد وهبهم الله القدرة على الإبداع والابتكار، يعيشون في تحدٍ مستمر مع العلم والزمن من أجل تفادي وقوع كوارث إنسانية، ولن تقف بحوثهم وتجاربهم عند هذا الحد. لكن هل هذا التقدم الصحي والتكنولوجي يخدم الجميع، أم المقتدرين فقط؟ كذلك أصبح العالم أفضل بفضل استعمال الوسائل الحديثة والمتطورة لاستخراج الطاقة والمعادن من باطن الأرض واستخدامها وتوظيفها بأسلوب أمثل.

لكن مع كل هذا وفي ظل التقدم والتطور السريع مازالت هناك شعوب تعيش تحت خط الفقر والتخلف في آسيا وإفريقيا وأميركا الجنوبية، وقد يكونون من أصحاب هذه الأراضي الغنية بالطاقة والمعادن، وليست دول أميركا الشمالية وأوروبا أحسن حالاً، فهناك الآلاف يعيشون نفس الظروف، في الوقت الذي تصرف فيه حكومات الدول القوية المتغطرسة المليارات للاعتداء على الشعوب الضعيفة والسيطرة على ثرواتها، بدلاً من مساعدتها ودعمها لتختار مصيرها بنفسها، وتسخير التقدم والإمكانيات العلمية والاقتصادية التي وصلت إليها للقضاء على الأقل على الفقر والجوع والأمراض في العالم.

فحسب إحصائيات وأرقام نشرتها بعض المنظمات الإنسانية، يعيش ملايين من البشر في ظروف صعبة، وتشير الأرقام إلى ان هناك حوالي 850 مليون شخص حول العالم يعانون من الجوع المزمن، وحوالي 400 مليون طفل يعانون من سوء التغذية، هذا بالإضافة إلى الملايين الذين يموتون بسبب الأمراض المستعصية، كالايدز وغيره، فلماذا إلى الآن لم يتم القضاء على هذه الظواهر التي تحصد حياة الملايين؟ وأين تذهب

ثروات الدول النامية ومن المستفيد منها؟

انها السياسة وحب السيطرة على العالم، واستيلاء الوحوش البشرية على ثروات الشعوب الضعيفة بالقوة والقهر والتواطؤ والظلم وقتل الأبرياء، وكأننا في القرن الواحد والعشرين، قرن التقدم العلمي والتكنولوجي رجعنا إلى العصر الحجري، وأصبحنا نعيش في غابة القوي المتعطش للسيطرة والامتلاك ليأكل الضعيف الذي لا يطمح إلا للعيش بسلام على أرضه، وتحسين أوضاعه، وبكل جبروت يدهسه القوي ويعيش على حسابه ومن ثرواته، مع ان النغمة السائدة من مواقع القوة هي السلم والسلام لشعوب العالم، وتحرير الشعوب المستضعفة من سيطرة بعض الحكام الدكتاتوريين لتختار مصيرها بحرية وتحكم نفسها بنفسها، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يتم دعم الشعب الفلسطيني ليحرر أرضه التي اغتصبت منه بالقوة؟ هل يوجد شعب على الأرض يستحق السلم والسلام أكثر منه؟ ألا يستحق على الأقل ان نتركه يقرر مصيره الذي اختاره في انتخابات حرة ونزيهة بشهادة الجميع؟ فإذا حصل ذلك حتماً سوف يتحقق الأمن والسلام والاستقرار الحقيقي للجميع، وللحديث بقية.

عندما يفشل الآخرون وتنجح قطر

أكدت دولة قطر كما قال رئيس وزرائها الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني في وقت سابق، أن قدرة الدول لا تقاس بحجمها أو عدد سكانها، بل بأدائها وإداراتها وتحركاتها، وثبت على مر الأيام ذلك، فسياسة دولة قطر النشطة والمحايدة أعطتها ثقلاً وقدرة على الحركة للعب دور بارز تجاه القضايا العربية والإقليمية، وتفوقت على دول أكبر حجماً وقوة، وها هي تتدخل بعقلانية في الوقت المناسب وبالشكل المطلوب لحل الصراع اللبناني.

ورغم استفحال الأزمة بين القيادات اللبنانية استطاعت جمعهم في الدوحة، ولأنها لم تنحز إلى هذا الطرف أو ذاك وكانت صادقة في رعايتها لحل النزاع بين أبناء الوطن الواحد، لم تخذلها أطراف لها صلة بالصراع الدائر على أرض لبنان، وهذا بحد ذاته دليل على ثقة الجميع في قدرتها على تقريب وجهات نظرهم، واستيعاب مطالبهم والأهم تحقيق أمنية الشعب اللبناني بالعيش بأمان وسلام.

وفعلاً تحققت هذه الأمنية برعاية وعلى أرض قطر، ووحد قادة لبنان صفوفهم، وخرجوا باتفاقية الدوحة التاريخية، فمبروك للبنانيين، ومبروك لدولة قطر أميراً، وحكومة وشعباً، على جهودهم الحثيثة التي حققت معجزة الاتفاق وأعادت اللحمة الوطنية اللبنانية التي سوف تعيد لبنان إلى وضعه الطبيعي.

لقد تصور البعض أن دولة قطر تدخل في مغامرة غير محسوبة

وتوقعوا الفشل المسبق لهذه المبادرة، لكن القطريين نجحوا بامتياز وكسبوا احترام الجميع حتى من كان يتوقع لهم الفشل، فالنجاح كما يقال له ألف أب، وهذا لا يعني إنكار دور اللجنة العربية والدور المهم للجامعة العربية وأمينها العام، التي شكلت هذه اللجنة لمساندة دولة قطر لإنجاح هذه المهمة، ومساعدة اللبنانيين، على حل خلافاتهم التي طالت وكادت تحرق الأخضر واليابس.

إذن ألا يعتبر اتفاق الدوحة نجاحاً تاريخياً لدولة قطر، وهل تأكد بهذه المبادرة أن الدول فعلاً لا تقاس بحجمها؟

الحقيقة الثابتة أن لدولة قطر مواقف مميزة في مجالات عديدة لم تستطع دول عربية أكبر منها عدداً وعدة منافستها، لماذا؟ لأنها لا تأتمر بأمر.

ولا بضغوطات خارجية وعلاقاتها مميزة مع الجميع تقريباً، واستطاعت توفير كل عناصر النجاح لتقريب وجهات النظر بين أطراف عديدة اختلفت، وسبق أن ساهمت في حل قضايا عربية، عرفها وقرأها كل متابع، إذن قطر بسياستها النشطة المتوازنة تسعى وتعمل وتبذل جهداً، انطلاقاً من مبدأ إن أصابت فلها أجران وإن لم تصب فلها أجر واحد.

وبهذا أثبتت ان الدول لا تقاس بحجمها بل بدور قيادتها ورؤاها ونشاط وحيوية سياستها، ولاشك أن نجاح دولة قطر في تحقيق الاتفاق بين اللبنانيين بعد أن استعصى لفترة طويلة يعد انجازاً يحسب لها، فهل بذلك سينتقل مركز القرار السياسي العربي في الدوحة؟ وهل سوف تلعب قطر دوراً مماثلاً لحل النزاع الفلسطيني الفلسطيني؟

وهل سوف نشهد دولة فلسطينية بحق وحقيقة على ارض الواقع

وبمبادرة عربية رغم أنف الأعداد؟

نرجو ذلك مع أن هناك دولا إلى الآن لم تستطع فعل أي شيء حتى لمد يد المساعدة وتحسين أوضاع الشعب الفلسطيني المحاصر، وحل الخلاف بين قادته، ربما لأن المصالح مرتبطة بالخارج والأذن والموافقة لابد وأن يأتيان من الخارج.

أما فيما يتعلق بلبنان فأعتقد ان الكثيرين يشاركونني الرأي، بأن الشعب اللبناني إن لم يكن من أذكى الشعوب العربية وأشطرها، فهم بلا شك من الأذكياء الطموحين، بالرغم من قلة عددهم وصغر حجم دولتهم، لكنهم استطاعوا تخطي حدودهم والنجاح بجدارة خارجها، إذ أن ثلثي الشعب اللبناني يعيشون خارج لبنان، ولهم نجاحات كثيرة وكبيرة في الخارج، فإذا نجح الساسة اللبنانيون والتزموا بالاتفاقية دون تراجع وتجاهلوا من يريد لهم الفشل والفوضى، سوف يكون لبنان بخير ويطمئن أبناؤه للرجوع إليه، وسوف يكون واحة تتسع لاستقطاب كل محبيه. لأن هناك بكل تأكيد دولا لها مصالح وتتمنى الحرب والدمار للبنان.

وعلى رأسها إسرائيل وبدعم من حكومة «جورج بوش» وهذا ما تأكد في ما نشر مؤخراً في وسائل الإعلام على لسان مسؤول إسرائيلي عن محاولة إسرائيل ضرب حزب الله بنصيحة ومساعدة شخصيات سياسية من الداخل والخارج، مع أنه لم يذكر أسماء إلا أن هناك أفرادا تعتبر المصالح الشخصية فوق مصلحة الوطن، وكما يقول المسؤول الإسرائيلي لولا خوف إسرائيل من ردة فعل حزب الله لبادرت إلى ذلك فوراً.

فكلنا أمل بأن يعمل السياسيون في لبنان على تحقيق أهداف

الاتفاقية، ويتفرغوا لخدمة وطنهم، ويعطوا الفرصة لكل اللبنانيين للمشاركة، ليواكبوا التطور الحاصل في العالم، خاصة ولبنان لديه إمكانيات هائلة، وليتجاهلوا محاولات الخراب والانشقاق التي تبثها ونتابعها على بعض وسائل الإعلام والتي يبدو أنها تبالغ في الدعاية المضادة لاتفاقية الدوحة.

المهم أن ينسى اللبنانيون ما حصل خلال الفترة الماضية وليتعاون الجميع من أجل مصلحة لبنان، ولتكن هذه هي البداية، ولنتفاءل بعهد جديد يبرز من خلاله دور عربي فعّال لجميع المشاكل والخلافات العربية وعدم السماح لأي كان التدخل في شؤوننا.

وأنهى الموضوع بما كتب على شوارع بيروت «كلنا نقول شكراً قطر»، آملين أن نقول شكراً مرة أخرى لدولة قطر أو إلى كل من يسعى بإخلاص إلى حل الصراعات العربية وخدمة شعوبها.

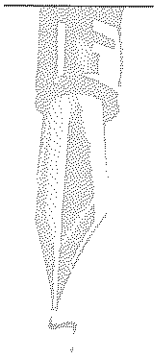

أوراق سياحية

اللي يشرب من النيل لازم يرجع له تاني

في غضون شهر واحد زرت القاهرة مرتين، آخر مرة كانت لقضاء أسبوع مع العائلة، ولأثبت المقولة المصرية القائلة: «من شرب من ماء النيل لابد وأن يرجع له» قضينا أياماً جميلة وممتعة بعيداً عن الرسميات.

وكان من بين أفراد الأسرة من يزور القاهرة لأول مرة، فأتيحت لي الفرصة لاكتشف القاهرة معهم بعيون سائح متفرغ يقضي فيها أياماً للراحة والاستجمام وهكذا كان، مع أن يوم وصولنا لم يبشر بالخير وكان متعباً خاصة بالنسبة للأطفال .

حيث واجهتنا مشاكل لم تكن في الحسبان بالنسبة لمحل إقامتنا في الفندق، تحملناها في البداية بالتوتر وبعد ذلك بروح رياضية والتسليم بالأمر الواقع أمام خفة دم المصريين وحلاوة لسانهم، «ماعليش يا أفندم» و«كلها ثواني وحترتاح ياباشا».

وأصبحت الثواني ساعات وساعات وكأن الوقت لا قيمة له، ولم يكن أمامنا إلا أن نصبر ونأمل خيراً إلى أن انتهى طول الانتظار بحصولنا على غرف محجوزة لنا مسبقاً منذ فترة، أو هكذا المفروض!!

زيارة القاهرة ممتعة لكل الجنسيات وبمختلف الأذواق، من أراد الحضارة، فإن المعالم والآثار التاريخية والمتاحف ومآذنها الألف تشهد على تاريخ هذا البلد العريق، ومن أراد الفنون بمختلف أنواعها الثقافية والترفيهية، فالقاهرة بلا شك من أكثر المدن العربية حيوية ونشاطاً لكن من معي من أفراد الأسرة فضلوا زيارة أماكن معينة منها المتحف المصري

والأهرامات.

عند زيارتك المتحف المصري الذي أنشئ عام 1902 سوف يبهرك تاريخ مصر القديم من خلال المعروضات الفرعونية التي لا مثيل لها في أكبر المتاحف في العالم، وسوف تقف عاجزاً أمام ما وصل إليه الفراعنة من تفوق علمي وقدرات هائلة لم يستطع العلم الحديث تجاوزها حتى هذا القرن، قرن ما يسمى بالتقدم العلمي والمعرفي، ألا وهي تحنيط الجسم البشري، فالفراعنة.

كما يقال كانوا يؤمنون بالعودة إلى الحياة مرة أخرى، وهذا ما تمثله مجموعة كبيرة من المومياوات في صناديق زجاجية وكأنها تذكر الزائرين بعظمة هذا الشعب وتفوق ذلك العهد وسبحان مغير الأحوال، كما تعرض فيه كنوز الملك «توت عنخ آمون» الذي تم اكتشاف مقبرته عام 1922، لكن مع الأسف هذا المتحف بقي كما هو عليه منذ إنشائه.

ولم يأخذ حقه من الرعاية والاهتمام، مع أن هذا الكلام قد لا يعجب المسؤولين عنه لأنهم يعتقدون غير ذلك، لكن شتان ما بين عرض هذه الكنوز التي لا تقدر بثمن هنا، وبين عرضها في الخارج، فعندما تنقل بعض القطع للعرض في أوروبا وأميركا فإنها تلقى عندهم من الاهتمام والرعاية ما يليق بتاريخها وتاريخ من صنعوها، كما يتم تقدير قيمتها الفنية والتاريخية.

أما المعروضة الدائمة منها في متاحفهم، فإنها تلقى من الدلال والاهتمام وكأنها ما زالت تعيش حياة ذلك العصر، بعكس موطنها الأصلي، حيث في رأيي بالإمكان تقديمها وعرضها بشكل أفضل، كما يجب تجديد وتحديث أسلوب إدارة المتحف تقديراً لقيمة هذا التاريخ المصري

الذي لن يتكرر. وفي اليوم التالي زرنا الأهرامات، فزيارة مصر بالنسبة لكل سائح تبدأ من الأهرامات هذه الآثار الشامخة التي لم تشخ أو تنكسر مع مرور الزمن، لكن الأجواء المحيطة بها اختلفت عما كانت عليه قبل 30 سنة عندما زرتها لأول مرة، وهذا ما تأكد لي عندما التقيت بأحد السائحين الأوروبيين الذي أراد أن يستفسر مني ظناً منه أنني مصري، فقلت له بأني سائح مثله لكن عربي من دولة الإمارات.

فقال إنه يزور مصر للمرة الثالثة بسبب الأهرامات والأماكن الأثرية لأنه يعشق الآثار القديمة والأهرامات من أشهر وأقدم الآثار في العالم، وتابع لكنني كنت أتمنى أن يكون هذا التاريخ العظيم في مدينة أخرى، وعند من يقدر عظمته، أما هنا فمرة بعد مرة لا ألاحظ إلا ازدياد الفوضى واللامبالاة في كل موقع محيط بالأهرامات.

فعدد الأفراد المصريين العاملين بشكل رسمي أو غيرهم أكثر من عدد السياح، فالكل هنا مسؤول ويعرف كل شيء مع ذلك لا أحد يقدم للسائح ما يفيده، الكل يريد أن يستفيد، كم كنت أتمنى أن أرى شخصاً مسؤولا أو صندوق اقتراح أو شكاوى، أو على الأقل الأفراد العاملين بملابس رسمية عليها أسماؤهم أو رقم واسم الإدارة التابعين لها بلغة معروفة، لكن لا شيء تغير، هكذا تركته لألحق بالعائلة.

إن أجمل هبة من الله للمصريين هي النيل أو كما يسميه المصريون البحر لأنه فعلاً كذلك كونه أطول نهر في العالم تتحرك فيه أكبر البواخر السياحية وتطل عليه عشرات الفنادق والمباني والمراكز السياحية ويضم عدداً من الجزر، هذه مصر بنيلها وأهراماتها ومعالمها القديمة ثم الأقدم بمساجدها وكنائسها وفنونها المعمارية وغيرها الكثير، إلى

جانب تنوع طبيعتها.

من زار القاهرة ولم يذهب إلى مكتبة مدبولي التي أصبحت من أشهر المعالم الثقافية الشعبية في القاهرة ومطعم فلفلة أشهر مطاعمها وسط المدينة والذي استقبل شخصيات وفنانين ورؤساء دول وعلى رأسهم كما يقولون «جيمي كارتر» وكذلك لم يزر «جروبي» مقهى الباشاوات وكبار الشخصيات والملوك مع أنه لم يعد كذلك، ومن لم يقطع عبور المشاة والإشارة حمراء في ميدان سليمان باشا فكأنه لم يزر القاهرة.

كنت أقول لأحد أبنائي مازحاً إن إشارة المشاة خضراء لكننا لا نستطيع العبور إلا وهي حمراء، وبالصدفة شاهدت عشرات يعبرون والإشارة حمراء، وهكذا فعلنا، «فالحشرة مع الناس عيد»!

مدينة مثل القاهرة التي فيها المعالم المتنوعة الجميلة تستحق عناية أكثر من المسؤولين عليها، وليتهم يتحركون على أرض الواقع وفي مواقع مختلفة للقضاء على كل ما يشوه جمال المدينة وعراقتها، فهي بحاجة إلى خطوات أشخاص أصحاب رؤية وإبداع.

مثل خوفو الذي فكر واتخذ قراراً وأمر بتنفيذ فكرته بإنشاء الأهرامات، أو كالخليفة المأمون الذي رد كما يقال على الذين طالبوا بهدم الهرم الأكبر، بأن أمر بفتح ثغرة فيه لاكتشاف ما بداخله، وهكذا وبفضل بعد نظرهم استطاعت البشرية التعرف على تاريخ الفراعنة وعجزت عن التقدم أمام ما حققوه، وبقيت الأهرامات شامخة إلى يومنا هذا.

أسبوعان في أم الدنيا

في الفترة ما بين 11/11 و25 /11/ 2007 استضافت جمهورية مصر العربية على مدى أسبوعين الدورة الرياضية العربية الحادية عشرة والتي تعتبر بمثابة أولمبياد العرب.

وقد نجح المصريون في إخراج الدورة بشكل جيد، بل ممتاز خاصة عرض الافتتاح الذي تم التركيز فيه على تاريخ العرب وإنجازاتهم في مختلف الحقول، منها العلمية والثقافية، ورافقت فقرات العرض الأغنية الوطنية المعروفة «وطني حبيبي الوطن الأكبر».

هذه الأغنية التي ألهبت حماس الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج في ستينات القرن الماضي، حماسها الذي قادها إلى التحرير والاستقلال، لكننا في هذا القرن نحتاج إلى أكثر بكثير من الأغاني، لأننا لا نسمع غيرها، والظاهر أنها لن تقودنا إلا إلى التفكك والانحطاط!!

مع ذلك في هذه المناسبة وخلال ساعات العرض تفاعلت الجماهير الحاضرة في استاد القاهرة مع الأغنية واللوحات الرائعة المرافقة لها التي تفنن شباب مصر بتقديمها وكانت روعة في الإبداع، وكأن شباب مصر في هذا الحفل أراد أن يقول للعالم وللعرب بصفة خاصة إنه مهما حاول البعض سيظل هو القاعدة الأساسية لهم والقمة الطامحة إلى التقدم بهم، وقوته سوف تظهر من جديد رغم محاولات كبتها.

ومصر إن كبرت واستقوت كبر العرب واستقووا، وسوف يأتي يوم يكون فيه غدنا أحسن من حاضرنا، هذه هي مصر لكل من يهمه الأمر.

تابع العرض جماهير غفيرة مصرية وعربية بما فيها الوفود المشاركة في هذه الدورة برياضييها وإداريها ومشجعيها، وقد انتهت الدورة بانتزاع مصر المرتبة الأولى وحصولها على أكبر عدد من الميداليات، أما دولة الإمارات فقد حصدت 25 ميدالية منها 7 ذهبيات تعززت بفوز ذوي الاحتياجات الخاصة بعشر ميداليات منها 3 ذهبيات، ليكون الإجمالي 35 ميدالية.

وانطلاقاً من هذه الدورة علينا أن نعد العدة للمستقبل لأن شباب الإمارات متى هيئت لهم الظروف والإمكانيات المناسبة، باستطاعتهم المنافسة في البطولات العربية والقارية والدولية والذهاب إلى أبعد مما تحقق الآن بعيداً عن التشاؤم والاحباط.

وكنت مع الإخوة الإداريين وبينهم يوم الافتتاح وخلال هذه الدورة وكانت صحبة جميلة تخللتها حوارات أجمل وذكريات رياضية استرجعناها مع بعض الإخوة الإعلاميين. أما فريق العمل التنفيذي فكان مستواه وهمته فوق العادة فبذل كل في موقعه أقصى جهد لراحة اللاعبين وتلبية طلباتهم.

وكان هذا الفريق مثل خلية نحل تعمل وتتحرك في كل موقع لتحل مشاكل اللاعبين في معسكراتهم في فنادق مختلفة، مع ذلك لم تخل الدورة من بعض المشاكل الإدارية والتنظيمية مثلها مثل كل الدورات الكبيرة، فكان علينا أن نتقبلها ويتقبلها اللاعبون بروح رياضية.

أما أركان السفارة بقيادة سعادة سفير دولة الإمارات في القاهرة، فلقد كانوا خير معين لإدارة البعثة ووفروا كل الإمكانيات لإنجاح مهمتها خاصة بتواجدهم في كل المناسبات مما كان له الأثر الكبير في نفوس

اللاعبين، فلهم منا كل الشكر والتقدير.

هذا عن الدورة، أما عن القاهرة المدينة المستضيفة فمازالت كما يفتخر بها المصريون، «أم الدنيا» مدينة عتيقة وكبيرة بها مشاكل ككل المدن الكبرى في الشرق الأوسط والعالم الثالث.

وبالذات في الانتقال من موقع لآخر وهي مشكلة الازدحام المروري، مع أن هذه مشكلة كل المدن بل مشكلة القرن، وحتى دبي تواجهها، لكن التنظيم المناسب لحركة السير والمرور والالتزام بقواعد وقوانين السير والسعي الدائم لإيجاد حلول بديلة، هو الذي يفرق بين مدينة وأخرى.

فالمشكلة في القاهرة هي عدم التزام السائقين بالنظام، فالكل له الأسبقية دون الاهتمام بالآخر والكل يوقف سيارته أينما يشاء، لا كما يقول نظام المرور، وبالصدفة خلال مرورنا بأحد الشوارع لاحظنا وجود سيارة واقفة وسط جزيرة الشارع العام، عندما سألنا عن السبب هل هي عطلانة؟! كان الجواب، إن صاحبها ذهب لقضاء مشوار في مكان قريب!

كما فوجئنا عندما دخل مرافقنا بالسيارة على الدوار عكس السير ولف حوله بشكل مخالف، وقال ضاحكاً هذا هو أسلوب قيادة السيارات عندنا، فإن فعلت غير ذلك فأنت لست في القاهرة.

لماذا كلما زرت مدينة عربية أتساءل هل هناك مشكلة بين المواطن العربي وبين الالتزام؟

بالرغم من هذا فالقاهرة مدينة جميلة بمبانيها التاريخية القديمة وسط المدينة، ووسط البلد كما يقال.

هذه المباني التي شاخت وهرمت لكنها متماسكة وكأنها سيدة أرستقراطية تفتخر بجمالها ووقارها وتثق بنفسها وتقف شامخة ليتم

التفريق، والمقارنة بينها وبين هذا الكم من البنايات الحديثة المكدسة كعلب الكبريت مع أنها كغيرها مع الأسف بلا نظافة ولا صيانة، ولا تجد من يرحمها!

وأتساءل مرة أخرى هل المسؤولون في كثير من الدول العربية حريصون على تجديد أنفسهم فقط؟

خلال هذه الفترة زرنا مدينة الإسماعيلية لمتابعة مباراة كرة القدم بين منتخبي الإمارات والسعودية، وكان في استقبال البعثة مشكورين سعادة محافظ الإسماعيلية ورئيس النادي الإسماعيلي، وقمنا بجولة سريعة في هذه المدينة التي تمتاز بطابع خاص تختلف به عن باقي المدن المصرية.

حيث كانت في منتصف القرن الماضي واحة جميلة يسكنها الأجانب العاملون في قناة السويس. فذهبنا إلى فندق مطل على القناة للاستراحة ومشاهدة القناة. وكعادة المصريين في الترحاب وحسن الضيافة أقام فاروق حسني وزير الثقافة عشاءً خاصا لنا في منزله في القاهرة، دار خلاله حوار حول القضايا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية العربية.

وكانت ليلة شاعرية في موقع جميل مطل على النيل ودفء أجواء تزينه لوحات فنية رائعة، وبوجود أصحاب وأصدقاء مميزين بعيداً عن السياسة والرياضة.

هذه هي مصر أم العرب، والقاهرة أم الدنيا وأم المدن العربية، مع أني شخصياً كنت أفضل أن تتماشى مع العصر وتصبح بنت الدنيا، على الموضة أو «النيولوك» الدارج هذه الأيام.

الهند.. بلد المتناقضات والتنوُّع

الهند ثاني أكبر دولة بعد الصين من حيث عدد السكان حتى يومنا هذا، إذ فاق عدد سكانها المليار، ولو استمرت الصين في سياستها لتحديد النسل سوف تصبح الهند الأولى لأنها راضية بازدياد عدد سكانها وليس لها نيّة للحد منها.

زرتها مرات ومرات، وأعتقد أن معظم أبناء دول مجلس التعاون قد زاروها بحكم العلاقة التاريخية التي تربط بيننا، حيث كان آباؤنا وأجدادنا يقصدونها للتجارة بالسفن الشراعية، ثم بالبواخر مع بداية القرن الماضي.

وكان من أشهر البواخر لنقل المسافرين بين الهند والخليج «داره» و«دواوكه» و«دمرة» التي عُرفت عندنا بالمعلي والسنان، واعتبرت كارثة باخرة «داره» التي اشتعلت فيها النيران على سواحل دبي إثر انفجار في ابريل عام 1961 من أشهر الكوارث البحرية في المنطقة.

لكن زيارتي الأخيرة للهند كانت إلى منطقة جديدة لم أزرها من قبل وهي ولاية راجستان التي تقع غربي الهند وقريبة من الحدود مع باكستان، يبلغ عدد سكانها حوالي 15 مليون نسمة.

بدأت رحلتنا من مطار دبي إلى مدينة دلهي العاصمة، ومنها إلى مدينة «اديبور» وتعني البحيرة، وهي ثاني مدينة في ولاية راجستان بعد «أجيبور» العاصمة، واراد الأصدقاء هناك تكريمنا فحجزوا لنا في فندق كان في الأصل قصراً لأحد المهراجات، «اوراجا» كما يطلق عليه، ويقع

وسط بحيرة كبيرة من المياه الحلوة، تربطها بالبر العبرات والقوارب.

وقد تم تحويل القصر إلى فندق بعد أن تم ترميمه من قِبل شركة فندقية عالمية، وأراد مدير الفندق أن يهتم بضيوف أصدقائه في دلهي، فأرسل سيارتين أميركيتين لنقلنا من المطار، واحدة من طراز عام 1938 والثانية من طراز عام 1944 تم تجديدهما من الداخل لكنهما لا تتحركان إلا في حدود 25 كلم/ ساعة وبحد أقصى 40 كلم/ ساعة مع أن المسافة بين المطار والفندق لا تتعدى 26 كيلومتراً إلا أن الرحلة في السيارة استغرقت أكثر من رحلتنا بالطائرة من نيودلهي!

مدينة «اديبور» اكتشفت كما يقول أحد المؤرخين عام 1553، مساحتها صغيرة، وعدد سكانها لا يتجاوز 500 ألف نسمة، لكنها تعجّ بالسائحين الأوروبيين الذين تصادفهم في كل مكان حتى يُخيَّل إليك أنهم أكثر من السكان الأصليين، والسبب يرجع إلى أن هذه المدينة بالإضافة إلى طبيعتها الخلابة المتمثلة في بحيرتها المميزة، مليئة بالمتاحف والقلاع والقصور القديمة والتاريخية، إضافة إلى أن ولاية راجستان نشطة في مجال الترويج السياحي، حيث تُقام هناك مهرجانات عدة على مدار السنة، منها مهرجان الفيلة وآخر للهجن، ومهرجان الصحراء وعادات أهلها.

قضينا في مدينة «أديبور» أياماً جميلة بعيداً عن صخب المدن وضجيجها، لم نتحرك إلا قليلاً في الفندق وسط البحيرة التي يساوي عرضها حوالي 3 مرات عرض خور دبي، أما طولها فيزيد على خمسة أضعافه، ثم عدنا إلى مدينة دلهي، أو نيودلهي كما أطلق عليها بعد استقلال الهند من بريطانيا.

الهند بلد التناقضات الكثيرة، يمتزج فيها الفقر المدقع بالغنى الفاحش،

وتختلف فيها الألوان والأشكال، وتتعدّد اللغات والمذاهب والديانات، ومع كل هذا هي متماسكة إلى أبعد الحدود، حيث يُقال عنها إنها البلد الأكثر ديمقراطية في العالم، وتتجسد التناقضات على كل شبر من أرضها.

خاصة على مظاهر حياة أهلها، ولقد لفت انتباهنا منظر قال صديقنا إنه يتكرّر في كل المدن الهندية، وهو عن عائلة تعيش على رصيف الشارع، مكوّنة من 5 أفراد حسب ما رأينا، الأب والأطفال نائمون على الرصيف والأم تكنس، لكن رغم عيشتها تلك، فهي لم تفرط في قطعة الذهب في أذنيها وأنفها، وقال لنا صديقنا لما لاحظ دهشتنا، إن هذا ليس بغريب على المرأة الهندية لأنها تعتبر الذهب من المقدسات حتى لو عاشت هي وعائلتها على الرصيف إلى الأبد.

ومن الأمور المثيرة التي اكتشفناها هناك أن الهند تعيد استيراد العمالة الهندية من دول مجلس التعاون، حيث قال لنا أحد التجار إن هناك شركات متخصصة لجلب العمالة التي تم تأهيلها وتدريبها في دول مجلس التعاون وعرض إغراءات مادية عليها تساوي تقريباً ما تتلقاه هناك.

وقد تم إلى الآن جلب حوالي 15 ألف عامل من دول الخليج، وعندما سأله أحد الأصدقاء: هل هذا يعني أن الشركات الهندية أصبحت تنافس الشركات الخليجية على العمالة؟ قال: ليس إلى هذا الحد، فالعمالة التي تأتينا من دول الخليج أكثر تأهيلاً وتدريباً وعطاءً من العمالة الموجودة هنا، وهذا يعني بالمقاييس العلمية توفيراً للوقت والتكلفة، وبالتالي القدرة الإنتاجية تكون أفضل، خاصة بالنسبة للشركات العاملة في مجال البناء، إذ أن بعض هذه الشركات التي تعمل في الهند هي من دول مجلس التعاون.

تحولات الزمن في حياة الشعوب والأمم

تتأرجح حياة الأمم بين فترات القوة والضعف، لذا عليها الاستفادة منها دون المبالغة والتفريط وإيذاء الشعوب، سواء كانت هذه الفترات اقتصادية أو سياسية أو غيرها، وهذه هي الحال كذلك بالنسبة للشخص العادي، فالإنسان إذا لم يحافظ على صحته قد يضعف ويمرض وتتدهور صحته، وبالتالي لن يعود عضواً فاعلاً وهو في عز عطائه، وكذلك الحال بالنسبة للمال، فالإنسان إذا لم يستثمر ماله بالشكل الصحيح، فإنه قد يخسر، ومن ثم يفقده إلى الأبد.

وفي كل الأحوال، على الإنسان أن يجتهد ويعمل ليحافظ على النعم التي أنعم الله بها عليه، لأن ما يضيع لا يمكن استرجاعه، والتاريخ خير شاهد على ذلك. ففي القرون الوسطى كانت الدولة الإسلامية أقوى دولة على الكرة الأرضية، كما كانت الدولة الأموية في الأندلس مثالاً للتقدم في مجالات عديدة، ووصولها إلى القمة لم يكن أسوأ ولا أصعب من انحدارها. هذه المقدمة كان لابد منها قبل الدخول إلى موضوعنا اليوم.

ففي رحلة بالطائرة تعرفت على شخص كان يجلس بجانبي سألته من أين؟.. قال من جزيرة نورو: فسألته مستغرباً لعدم سماعي بها من قبل أين تقع؟.. قال في المحيط الهادئ تقريباً بين أستراليا وجزيرة هاواي، وهي أصغر جمهورية في العالم وكانت مستعمرة بريطانية واستقلت عنها بالاتفاق مع استراليا عام 1968.

وبسبب جهلي بوجود دولة اسمها «نورو» كان أول ما فعلته عند

رجوعي هو البحث عن معلومات عنها في مواقع مختلفة عبر شبكة الإنترنت وما وجدته أشبع فضولي، «نورو» جزيرة تقدر مساحتها بـ 21 كيلومتراً مربعاً، عدد سكانها حوالي 14 ألف نسمة، اكتشفت بداية القرن الثامن عشر على يد قبطان باخرة ركاب بريطانية، وهي أصغر جمهورية في العالم، وأول دولة ليست لها عاصمة رسمية.

وعلى الرغم من صغر حجمها وقلة عدد سكانها، إلا أنها كان لها دور في الحربين العالميتين، حيث كانت تابعة لألمانيا في الأولى ومحتلة من اليابان في الثانية، أصبحت عضواً في الأمم المتحدة عام 1999 ولها مندوب دائم فيها، وحسب ما ورد في أحد المواقع فالدولتان العربيتان الوحيدتان اللتان لهما علاقات دبلوماسية معها هما دولة الإمارات ومصر.

ويقول أحد الكتاب على أحد المواقع باللغة الإنجليزية إن «نورو» هي الجزيرة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تقطع مساحتها كلها بالدراجة وقبل الإفطار لصغر حجمها، ويضيف انه ركب دراجة هوائية ليكشف ساحل الجزيرة فقطع مساحتها كلها في ساعة ونصف الساعة. فالزائر في «نورو» لن يحتاج إلى سيارة لأنه لا يوجد بها إلا شارع واحد، والسرعة محدودة بـ 25 كلم/ ساعة.

ومع أنها جزيرة صغيرة، لكن «نورو» كانت من أغنى الدول ودخل الفرد فيها هو الأعلى في العالم، وذلك منذ استقلالها وحتى 1991، نتيجة احتوائها على مخزون مهم من الفوسفات النقي والذي يعتبر الثروة الوحيدة على الجزيرة، تم اكتشافه عام 1900، وبدأ استغلاله عام 1906، من قبل شركات تابعة للدول التي توالت على احتلال «نورو»، وبعد استقلالها بسنتين أي عام 1970، انتقل التصرف في هذه الثروة إلى

السكان الأصليين، وهذا ما جعل مستوى دخلهم الأعلى في العالم.

ولأنهم لم يقدروا هذه الثروة، ولم يستغلوها بشكل جيد تحولت الجزيرة في فترة وجيزة إلى صحراء قاحلة، والسبب أنه خلال سنوات الرخاء القليلة بدأ سكان الجزيرة يبعثرون ثرواتهم في غير مكانها، وحتى أنهم لم يسعوا إلى إيجاد بدائل دخل أخرى قبل أن تنفد ثروتهم الطبيعية الوحيدة، بل أنفقوا أموالهم في السفر، وشراء الكماليات دون حدود أو ضوابط.

فعلى سبيل المثال شراء سيارات غالية الثمن بالرغم من عدم وجود شوارع، إلا شارعا واحدا، وبددوا ثرواتهم في متع الحياة وملذاتها وتركوا أعمالهم وبدأ الكسل يدب في أوساطهم حتى أصبحت «نورو» اليوم تشكل أعلى نسبة بدانة في العالم، حيث ان 90٪ من المواطنين البالغين يعانون من هذه المشكلة، وانتشار مرض السكري من النوع الثاني فيها يشكل أعلى نسبة في العالم، إذ يعاني منه حوالي 40٪ من عدد السكان.

وهذا ليس بغريب على دولة لم تعرف كيف تحافظ على ثروتها ولم تعمل على خلق موارد اقتصادية جديدة، واعتمدت على جلب كل احتياجاتها من الخارج، بما فيها جلب العمالة من جزر المحيط الهادئ المجاورة لتحل محل العمالة المحلية، وتقوم بالأعمال التي لم تعد للمواطنين رغبة في أدائها بعد أن أصبحوا من أصحاب الثروات، فمنهم مثلاً من استأجر طائرات خاصة للذهاب للترفيه والتسوق في هاواي وفيجي وسنغافورة، وهم الذين لم يغادروا الجزيرة طوال حياتهم.

أما حاليا، كما يقول الكاتب، فإن أهالي الجزيرة يعيشون حالة فقر

وبؤس، وأصبحت الدولة تعتمد على مساعدات من استراليا، حتى أنها اضطرت إلى بيع بعض ممتلكاتها هناك لدفع دين الطائرة الوحيدة التي تمتلكها خطوط طيران «نورو».

وفي الانتخابات الأخيرة، وعد الرئيس الجديد، وهو بطل سابق لرفع الأثقال، مواطنيه بتحسين أوضاعهم مع أنه اعترف أن الأوضاع المعيشية لن تعود كما كانت في السابق، «فنحن الآن وقعنا في حفرة وسنعمل بجهد لكي نخرج منها، لكن بكل تأكيد عهد الرفاهية والبحبوحة قد ولى».

هذا ما ورد في موقع بي بي سي «BBC» عن أصغر جمهورية في العالم، والعهدة على الراوي. جمهورية صغيرة وغنية تنتقل في فترة وجيزة إلى دولة فقيرة، لأنها لم تستطع السيطرة على رغباتها ولم تقدر تحولات الزمن.

اسطنبول.. إرث تاريخي وأوهام عربية

بدعوة كريمة من المعهد العربي لإنماء المدن، حضرت الندوة الدولية الثالثة لمدن المعرفة التي نظمها المعهد في مدينة اسطنبول ما بين 19 . 17 نوفمبر 2008، بالاتفاق والتعاون مع بلديتها.

شارك وحاضر في الندوة مجموعة من الأساتذة والمختصين، من أميركا وأوروبا وبعض الدول العربية ومن تركيا الدولة المضيفة ومع الأسف لم يشارك أحد من مدن الإمارات، وكان ذلك ملفتا للنظر، خاصة وأننا نتباهى باستخدام وسائل المعرفة والتكنولوجيا المتطورة في أكثر من موقع في مدننا، ونفتخر بالتقدم في استخدامها على مستوى الوطن العربي، لكن حتى لو كنا متقدمين إلى حد ما، فإن المعرفة لا حدود لها، ونحتاج دائما المزيد للارتقاء ومجاراة من سبقونا، بل التفوق عليهم.

أو على الأقل كان يمكننا الحضور لمشاركة ونشر ما توصلنا إليه ليعم النفع والاستفادة، مع ذلك فالندوة حققت أهدافها ونجح المحاضرون في إبراز الوسائل التي وصل إليها العالم في مجال المعرفة وسبل استخدامها في البنية الأساسية للمدينة.

اسطنبول مدينة تفتح ذراعيها لتضم آسيا وأوروبا، وهي بوابة التقاء القارتين، مساحتها الأكبر تقع في أوروبا، وهي مدينة جميلة تلبي مختلف الأذواق. وتعد هذه الزيارة الثالثة لي لها، وفي كل مرة أكتشفها من جديد، زيارتي الأولى لها كانت عام 1996 لحضور مؤتمر المستوطنات البشرية «بءةشءش» وكان عمدتها حينها «رجب طيب أردوغان» الذي تعرفت عليه

لأول مرة خلال هذا المؤتمر واستمر تواصلنا إلى يومنا هذا، والذي أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء تركيا، ومن هنا بزغ نجم هذا الرجل الذكي الطموح وآمن الشعب التركي بقدراته وقدم له كل الدعم والمساندة للوصول إلى كرسي الحكم، بعد أن رأى منه العمل الجاد بإخلاص في مدينة اسطنبول التي لم يبخل عليها بوقته وجهده في سبيل إرضاء سكانها.

ومنذ ذلك الوقت وكل عمدة يحكم المدينة هو من حزب العدالة والتنمية، لثقة الأتراك في التغيير الذي أحدثوه منذ وصولهم إلى الحكم، ولأنهم يعملون بنفس الروح والحماسة التي بدأها رجب طيب أوردغان.

اسطنبول مدينة المناظر الطبيعية والجو الرائع، والمعالم التاريخية المتنوعة، ولم يكن ينقصها إلا روح الإبداع والعمل بإخلاص من المسؤولين الحاليين في تركيا الذين حققوا، ليس لها فحسب بل للدولة، نجاحات سياسية واجتماعية واقتصادية أثارت إعجاب الجميع وأصبحت فعلا تجسد قول نابليون عنها: «لو كان العالم دولة واحدة لكانت اسطنبول عاصمة له» يبلغ عدد سكان اسطنبول حوالي 12 مليون نسمة مع ذلك نظافتها تبهر الزائر ويجد راحته لممارسة مختلف الهوايات.

وتستعد اسطنبول حاليا للقب عالمي عام 2010 وهو «مدينة العالم الثقافية» حيث تقوم السلطات المحلية بالتجهيز لهذا الحدث، وذلك بترميم وصيانة المعالم الأثرية والتاريخية. ويقال إن عدد مساجدها حوالي عشرة آلاف مسجد أشهر مسجد أيا صوفيا.

اسطنبول كانت معروفة فيما مضى بالقسطنطينية، وقد ورد في الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لتفتحن

القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»، وأول محاولة لفتحها كانت في عهد معاوية، وتلتها عدة محاولات وكل قائد حاول فتحها كان يأمل في أن ينطبق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم، إلى أن فتحت على يد محمد الفاتح عام 1435م.

واللغة العربية لها مكانة واضحة في اللغة التركية ومفرداتها فيها كثيرة، يقول أحد الخبراء أن اللغة التركية مكونة من 60٪ عربية و 25٪ فارسية و 15٪ تركية.

ولأن وقتي هذه المرة كان أكثر في كل زياراتي السابقة، زرت بعض المواقع التاريخية، منها مسجد وميدان با يزيد وهو اسم ابن محمد الفاتح ، كما زرت السوق الكبيرة التي يرجع تاريخ إنشائها إلى حوالي 700 سنة وجزء «منها يسمى» سوق الصحافيين وهي مزدحمة بالسياح والمواطنين الأتراك من اسطنبول وخارجها، وتجد فيها البضائع التقليدية والحديثة، ورغم كبر حجمها وشكلها القديم وتنوع بضائعها، إلا أنها نظيفة ومعاملة تجارها أنظف.

ومع أن اسطنبول عاصمة المراكز الثقافية والمتاحف والمساجد والتي يمكن زيارتها برسوم رمزية وأحيانا مجاناً، إلا أني استغربت عندما عرفت من أحد الأصدقاء الأتراك أن البيت الذي صورت فيه أحداث أحد المسلسلات التركية تبلغ رسوم زيارته 50 دولاراً، مع أن رسوم أقدم وأشهر موقع تاريخي في اسطنبول وهو مسجد «أيا صوفيا» لا تتعدى «15 دولاراً» والسبب كما قال لي الصديق هو توافد العائلات العربية لزيارة الموقع، بسبب متابعتها للمسلسلات التركية التي اكتسحت البيوت العربية في الآونة الأخيرة دون استئذان ولم يعد يشغلها الا

مشاكل أبطالها!

ترى ما الذي يشدهم ويستهويهم للوقوف في طابور لزيارة بيت عادي صورت فيه قصة وهمية ليس إلا؟! أصبحنا في زمن العولمة بهذه السطحية حتى لم تعد لدينا الرغبة في زيارة معالم تاريخية تذكرنا بالقصص البطولية. ألم تعد تؤثر فينا مآسي وفواجع وأحزان قصص واقعنا العربي؟!

وكأن الشعوب العربية يئست في قصصها الواقعية التي لا نهاية لها، لذا فهي تبحث عن نهاية خيالية في المسلسلات البرازيلية والمكسيكية والأرجنتينية وغيرها، وهي في موقعها وواقعها كما هي عليه!!

والآن جاء دور المسلسلات التركية، وقد تأتي السنوات القادمة بغيرها، صينية أو منغولية لا يهم، المهم أننا متابعون منتظرون حالمون بوضع أفضل!

القرن الآسيوي (1)

زرت مدينة بانكوك عاصمة تايلند في بداية الثمانينات وكانت من أكثر المدن استقطاباً للسياح من كل أنحاء العالم، ومحطة مهمة للسياحة في آسيا بما تمتاز به من طبيعة خلابة، لكن مع الأسف اشتهرت حينها بانتشار القذارة فيها بكل أنواعها، خاصة سلوكيات الإنسان التي لوثت المدينة أكثر من تلوث الهواء، وقد ساعد في انتشار الإباحية والدعارة في ذلك الوقت الجنود الأميركان حيث كانت تايلند مقراً للقوات الأميركية لمحاربة ثوار فيتنام.

هكذا كنت وغيري من أبناء الخليج ننظر إلى هذه المدينة كمدينة سيئة السمعة، مشبوهة، حتى ان الكثيرين كانوا يخجلون من زيارتها أو يتحاشون الذهاب إليها مباشرة خوفاً من المساس بسمعتهم.

زرتها قبل أسابيع وأذهلني الفرق الشاسع بين ما كانت وما أصبحت عليه.

مع انها ما زالت مدينة في طور الحداثة والتطوير حسب نمو وإمكانيات الدولة التايلندية، لكنها تتقدم بخطى ثابتة وسريعة فيما يخص البنية الأساسية كالفنادق الفخمة والخدمات الراقية، والشوارع والجسور المتطورة، والمراكز التجارية الضخمة التي تحتوي على بضائع من كل أنحاء العالم وبأسعار زهيدة.

وفوق كل هذا ركزت الدولة التايلندية اهتمامها على الإنسان ورفع مستوى التعليم، كما أصبحت مركزاً مهماً لتقديم الخدمات الصحية

والطبية للزائرين من كل أنحاء العالم ومستشفياتها لا تقل جودة عن مستشفيات أوروبا ، لذا يقصدها إلى جانب العرب ،الأوروبيون وحتى الأميركان للعلاج لأنها لم تنافسهم في هذا المجال فحسب بل تفوقت عليهم بأسعارها الرخيصة.

وضمن جولتي السياحية زرت مدينة «هواهين» حيث يسكن ملك تايلند وهي مدينة لا تقل جمالاً ونظافة عن أية مدينة أوروبية صغيرة، مدينة توفر لزائريها جميع وسائل الراحة والاستجمام وأسعار الإقامة فيها رخيصة وخيالية لذا تجذب إليها عدداً كبيراً من السياح الأميركان والأوروبيين للإقامة فيها.

وبالرغم من أن تايلند لا تمتلك الموارد الطبيعية كباقي دول شرق آسيا لكن أهم مواردها بشرية تتجلي في قدرات مواطنيها وحبهم وعبادتهم للعمل، وأداء واجبهم بأكمل وجه وبشكل راق، أما اهتمامهم بالعلم والمعرفة فلا حدود له ولقد اعتبرت الدولة أن من أهم واجباتها التركيز على الإنسان وتنمية قدراته، فقامت باستثمار عقول وإمكانيات مواطنيها ودربتهم وعلمتهم خير تدريب وتعليم، حتى أصبحت بذلك تنافس دولاً كبرى في مجالات كثيرة ، دول تدعي أنها فوق البشر، ويقال ان من أشهر أطباء العالم طبيب تايلندي مختص في علاج القولون يعيش في ألمانيا وهو أستاذ في هذا المجال، ولا شك ان هناك أساتذة تايلنديين في مجالات أخرى.

وهذا ينطبق بشكل عام على كل دول شرق آسيا وفي رأيي ورأي الكثيرين ان هذا القرن سوف يكون قرن الصين وأخواتها وسيكون لهذه الدول دور بارز وفاعل في العالم مهما حاولت بعض الدول إعاقتهم

والتصرف وكأنها مالكة العالم بقدراتها العسكرية، فإذا كنا نعيش في زمن القوة، أو البقاء للأقوى فلماذا ما زال العرب يراهنون على دولة واحدة، ويضعون كل أوراقهم وقضاياهم وإمكانيات شعوبهم في خزينتها؟ وفي خدمة سيطرتها؟ وهي لا تهتم ولا حتى تحسب لهم حسابا!

فإذا كانوا لا يملكون القدرة والقوة للتخلص من ضغوطها، فعلى الأقل فليحاولوا التقرب من دول شرق آسيا والاقتداء بها وتنمية قدرات شعوبهم ليختاروا طريقهم، وهنا لابد لي أن أشيد بمبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود بزيارة بعض الدول الآسيوية عل هذه المبادرة تفتح باب التعاون أمام باقي الدول العربية في شتى المجالات.

القرن الآسيوي (2)

يشهد العالم تطوراً سريعاً ويتنامى بسرعة فائقة في شتى المجالات وأبرزها قطاع السياحة والسفر الذي حقق نمواً متزايداً، خاصة في القارة الآسيوية، أما أوروبا التي كانت لها الريادة في هذا المجال فقد تفوقت عليها دول لم تكن أوروبا تضعها في الحسبان أو تشك في أنها سوف تسبقها وتأخذ الصدارة منها، وأعتقد أنها لن تفرط فيها.

إن التطور الشامل الذي شهدته البنية التحتية للسياحة والسفر في شرق آسيا جعل منها أكثر منطقة حيوية في العالم وتقدمت على أوروبا، ويعد أسطول الطائرات الآسيوية الأحدث في العالم، وتفوقت الناقلات الجوية الشرق آسيوية على نظيراتها الأوروبية خدمة وراحة، مع أن صناعة الطائرات ما زالت أوروبية وأميركية.

أما مطاراتها فإنها تعتبر من أحسن المطارات وأحدثها في العالم، وأسهلها حركة، وأسرعها في إنجاز معاملات دخول وخروج المسافرين، مقارنة بأوروبا التي يتعب فيها المسافر كثيراً قبل أن يدخل أو يخرج من أحد مطاراتها، أو قد يصاب بالإحباط بسبب بطء عمل موظفي الجوازات، أو بسبب قلتهم نتيجة ذهاب بعضهم لفترة راحة، حتى إن طوابير المسافرين لا تثنيهم عن تأجيل فترة راحتهم.

قال لي أحد المسؤولين الفرنسيين عندما سألته مستغرباً عن سبب تراجع مستوى الخدمات في مطارات فرنسا، خاصة مطار شارل ديغول الذي يعد من أشهر المطارات في العالم، ومن أكثرها استيعاباً للمسافرين

ولأحدث الطائرات وتناقض ذلك مع عدد «الكاونترات» المخصصة لإنهاء معاملات المسافرين، حتى إنه لا توجد «كاونترات» مخصصة للإجراء السريع لمسافري الدرجة الأولى الموجودة تقريباً في كل مطارات العالم، فرد مستهزئاً:

يا صديقي لا تتوقع بأن تجد ما يشبه ذلك في أي مطار من مطارات فرنسا، فأنت في بلد يتباهى ويتغنى بحقوق الإنسان، ولن يسمح لك بأن تتميز عن باقي المسافرين حتى وإن دفعت أكثر منهم مع أن معاملة بعض الموظفين في المطارات عندنا جافة ولاإنسانية!!

أما فيما يخص الفنادق والتي تعتبر عمود السياحة فإنها في شرق آسيا تجمع بين العراقة والحداثة، وتتميز بتقديم خدمات راقية بما فيها الخدمات الصحية والعلاجية وعلى أعلى مستوى وبأرخص الأسعار، وتلبي جميع الاحتياجات، حتى أصبحت دول أوروبا تستعين في فنادقها ومنتجعاتها السياحية بخبرة موظفين من شرق آسيا لقدرتهم على العمل دون تذمر، وعلى إرضاء مختلف العملاء.

إلى جانب ذلك فالمراكز التجارية في شرق آسيا لا تقل فخامة عن أوروبا بل تفوقها من حيث المساحة وتضم أشهر الماركات العالمية وبضائع لا تقل جودة عن بضائع أوروبا، بل إن أغلب الملبوسات الأوروبية هي من صنع شرق آسيا. وعلى ذكر التطور الذي وصلت إليه دول شرق آسيا في مجال السياحة والسفر، لابد من ذكر دول غرب آسيا وعلى رأسها دولة الإمارات التي حققت إنجازات في هذا المجال أوصلتها إلى العالمية بدءا بطيران الإمارات التي لم تتنازل عن المكانة التي وصلت إليها رغم شدة المنافسة، فهي من أحسن الخطوط الجوية خدمة وراحة، وأسرعها نمواً

وتوسعاً بشهادة الجميع.

وحالياً تسعى كل من الخطوط القطرية وطيران الاتحاد للوصول إلى مراكز متقدمة، وتحقيق نجاحات في قطاع السفر، مع أن طيران الاتحاد حديثة العهد، إلا أنها بدأت متحدية بإمكانيات كبيرة وخدمات راقية أهلتها لدخول المنافسة. أما فيما يخص الفنادق، فالمقومات السياحية المتطورة المتوفرة في دولة الإمارات أهلتها لتكون الموقع الأمثل لكبريات سلسلة الفنادق العالمية، ويعتبر برج العرب في دبي، وقصر الإمارات في أبوظبي من أبرز الفنادق في العالم وأشهرها.

أما مراكزها التجارية، فتعد الأكبر والأرقى، والمراكز التجارية في إمارة دبي لوحدها تفوق في عددها وحجمها وفخامتها مراكز كل دول أوروبا. ولا شك أن النمو في مختلف القطاعات في دولة الإمارات قد حدث في فترة وجيزة، وهذا يعني أنه كانت وراءه قيادة ناجحة سخرت الدعم اللازم لتحقيق نمو ايجابي في شتى المجالات وأتاحت الفرصة لجميع المبدعين للابتكار والتطوير دون تمييز.

وأصبحت مثالاً يحتذى به بفضل نشاطاتها المتواصلة لتعزيز مكانتها والمحافظة عليها، خاصة وهي جزء من قارة تتنافس فيها جميع الدول لتكون الوجهة السياحية الأولى في العالم، رغم أن الظروف المناخية تعاكس بعضاً منها، إلا أن هذا لم يمنع الشعوب الآسيوية من السير بخطى ثابتة وجادة في مجال السفر والسياحة وبإمكانيات وقدرات هائلة قد تؤكد من خلالها على أن هذا القرن هو فعلاً قرن آسيا وشعوبها.

وهذا يعني أن قدرات شعوب آسيا ليست أقل من قدرات شعوب أوروبا، خاصة وأن أوروبا الآن تأخرت وشعوبها استكانت وأصبحت

تعتمد على الغير، وكادت تفقد روح الإبداع والتميز وربما قد تعكس الأدوار ونجدها تهاجر إلى آسيا بحثاً عن النجاح وفرص أفضل لإثبات الذات.

فإذا كانت آسيا قد برزت إمكانياتها وتقدمها في هذا المجال مع بداية هذا القرن، فنتمنى أن تكون هذه بداية لتطورات في مجالات أخرى ونتمنى من الدول العربية أن تمشي جنباً إلى جنب مع آسيا، وتتعلم من دروس أوروبا، وتطلق العنان لشعوبها للمشاركة في عجلة التطور وتحاول استقطاب واسترجاع أبنائها من ذوي الكفاءات العلمية الذين يخدمون بعلمهم أوروبا وأميركا.

المغرب بلد العجائب

زرت المملكة المغربية مرات عديدة، زيارات رسمية وخاصة إلى مختلف مدنها ومناطقها، وكتبت عنها حينها سلباً وإيجاباً.

المغرب بلد العجائب، وإذا كان علماء الآثار صنفوا عجائب العالم السبعة وشجعونا على زيارتها، فإن المغرب فيه من العجائب العشرات التي تستحق الزيارة.

فهو يجمع بين جمال الطبيعة وتنوع المعالم الأثرية في مدنه، وتعدد ثقافات سكانه، بدءاً بالرباط العاصمة الرسمية والإدارية التي تمتلك إمكانيات سياحية ذات طابع خاص تميزها عن غيرها، مروراً بالدار البيضاء أو «كازابلانكا» كما أطلق عليها البرتغال، العاصمة الاقتصادية والتجارية الأهم بين جميع مدن شمال إفريقيا، والمدينة المشتركة لجميع المغاربة، يفد إليها المواطنون خاصة القرويون منهم من مختلف مناطق المغرب بحثاً عن فرص أفضل للعيش.

أما أشهرها فهي مدينة مراكش درة الجنوب والعاصمة السياحية دون منازع بما تملكه من طبيعة خلابة تتخللها جبال الأطلسي، وتراث عريق ومتنوع، وإمكانيات سياحية رفيعة اجتهدت على إنجازها من فنادق راقية، ومشاريع سياحية متكاملة الخدمات، جعلت منها أشهر وأكثر وجهة مفضلة للسياح من مختلف أنحاء العالم، كما أن جمالها وتمازج ثقافتها البربرية والعربية وتوفير المناخ الاستثماري المناسب استقطب إليها شركات أجنبية وعربية تتهافت على الاستثمار فيها.

وتنافسها في جلب السياح مدينة أغادير الساحلية الجنوبية التي

تمتاز بشواطئها الجميلة، واعتدال جوها خاصة في فصل الشتاء، وسحر الحياة فيها، ثم مدينة فاس العاصمة العلمية التي تشتهر بثقافتها وتراثها الإسلامي الممتد منذ عصور، والذي مازلنا نلاحظه في أزقتها ومكتباتها القديمة وحرفييها التقليديين الذين لم يغرهم عصر العولمة والتغيير التكنولوجي على ترك حرفهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

كما يميز مدينة فاس موقعها إلى جانب عدد من الموانئ التاريخية المغربية كمدينة مكناس، ومنابع للمياه المعدنية أشهرها منطقة (مولاي يعقوب) التي تضم أهم مركز في المغرب للعلاج بالمياه المعدنية، وعلى فكرة فإن المغاربة يستعملون كثيراً في ثقافتهم كلمة (مولاي وسيدي) كما أن بعض المناطق في المغرب تبدأ بكلمة سيدي ومولاي وأغلبها لاحتوائها على أضرحة لأولياء مغاربة. وتعتبر مدينة أفران أو سويسرا المغرب كما يطلق عليها المغاربة من أشهر المدن القريبة من مدينة فاس، وتمتاز باعتدال جوها في فصل الصيف وأفران تعني باللغة البربرية (الأسد).

وإذا اتجهنا إلى شمال المغرب لابد وأن نمر بمدينة أصيلة الساحلية الهادئة التي تشتهر بمهرجانها الثقافي السنوي إلى أن نصل إلى مدينتي تطوان وطنجة التي كتبت عنها عشرات القصص والروايات من قبل أدباء وكتاب مغاربة وكذلك أدباء فرنسيين وأسبان، مدينة طنجة، المدينة الوحيدة التي يلتقي فيها المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط.

المغرب بلد لا يختصر في مقال، ففيه العشرات من المناطق الجميلة والزاخرة بمعالم ومناظر طبيعية في منتهى الروعة والجمال، تأسر الزائر والسائح بتقاليدها وعاداتها وثقافاتها المختلفة حتى في الحزن والفرح، حيث يمتزج التراث العربي والبربري بالثقافتين الفرنسية والاسبانية

لتتكون الحضارة المغربية الحديثة.

المغرب بقبائله وأعرافه وطبائعه يقدم للسائح أشهى المأكولات وتختلف وتتنوع بين لحوم وأسماك وفواكه لترضي جميع الأذواق والتي لا تستطيع أن تجدها إلا في هذه الدولة.

المغرب خطا خطوات جيدة في مجال البنية التحتية ويمتلك حالياً شبكة من الطرق السريعة بين مدنه تربط بعضها ببعض بالرغم من بعد مسافتها، لكن لكي تكتمل هذه الخطوات لابد من البدء بالمطارات ورفع مستوى كفاءتها والتوسع فيها خاصة مطار الدار البيضاء أكبر المطارات وأكثرها حركة،. حيث أن التعامل مع المسافرين مازال يتم ببيروقراطية وتعقيد سيئ للغاية ولا يتناسب مع عدد السياح الزائرين له، إذ يمكن بقليل من الإجراءات إراحة أعصاب المسافرين، وتسريع دخولهم، ثم تقوية الطيران المغربي عدداً وعدة، ورفع مستوى خدماته، وكذلك خدمات البنوك لتسهيل حركة السياح والسياحة لأنها العمود الفقري للاقتصاد المغربي، خاصة وأن عدد السياح في ازدياد مستمر.

مع ذلك فإن المغرب استطاع ان يتماسك ويتطور في وقت مرت فيه دول عربية كثيرة بأزمات مختلفة خاصة في شمال إفريقيا، وتمكن من المضي قدماً رغم كل ما قيل عن أسلوب الحكم في ظل الاختلافات السياسية، ووصل إلى مرحلة من التنمية لم تصلها دول لديها إمكانيات ومصادر دخل في المعادن والثروات الطبيعية مثل الغاز والبترول والقوى البشرية، فالمملكة المغربية لا تمتلك كل هذه الإمكانيات ومع ذلك هي أحسن وضعاً من تلك الدول، بل أنها في الفترات الصعبة ساعدت بما لديها من مصادر زراعية دولاً أكبر وأقوى منها.

المغرب في الوقت الحاضر يمر بمرحلة جديدة، مرحلة القرن الواحد والعشرين، قرن الشعوب، قرن الحريات، قرن من هو أحسن أداءً دون تمييز بين مواطن وآخر، قرن من يقدم الأفضل للوطن، قرن المحاسبة لا قرن المجاملة، وهذا ما يتضح بعد الانتخابات التشريعية التي اختار من خلالها الشعب المغربي بكل فئاته من رآه مناسباً لحكم بلده، في ظل الدستور والنظام. وهذا ما عبر عنه الملك محمد السادس في آخر خطاب له، حيث طلب من الشعب أن يختار مصيره ومصير وطنه، وأنه لن يسمح بالتلاعب ومتمسك بأن تكون الانتخابات حرة ونزيهة دون أي تدخل من السلطة، ودون اللعب تحت الطاولة من قبل بعض الأفراد ذات مصالح خاصة. كما كان يحدث في الماضي، فلأول مرة قامت جميع الأحزاب بمختلف توجهاتها بطرح برامجها مباشرة وتنتقد الأداء الحكومي عبر القنوات التلفزيونية الحكومية الرسمية، كما وعدت هذه الأحزاب ببرنامج جديد ونوعي، فإذا حصل هذا والواضح أن هذا المنهج الذي يتمسك به الملك والشعب، سيكون بداية لعهد جديد ليس في المغرب فحسب، إنما في جميع دول شمال إفريقيا.

المغرب يتقدم وينمو في جميع المجالات الاقتصادية والسياحية، ولا شك أن مرجعه في ذلك البنية التحتية الحديثة وطبيعته الخلابة ومصادره السياحية التي تحسده عليها دول كثيرة، كما أن قيادة الملك الشاب له بعزم وطموح، وبإتاحة الفرصة للجميع للعمل في ظل النظام والقانون، ورغبته الواضحة في التطوير والارتقاء سوف يدفع بعجلة التنمية في المغرب لتكون له مكانة مميزة على الخارطة العالمية.

بارك الله فيه وفي شعبه بعيداً عن المنافقين وما أكثرهم في الوطن العربي!

رحلة إلى بريطانيا

لأبتعد وأبعد عن السياسة، وعن هموم ومشاكل الوطن العربي التي لا تنتهي، وقد لا تنتهي في هذا الزمن.

اخترت اليوم أن أشارك القراء عن إجازتي الصيفية، إجازة هذا العام كالعادة قضيتها مع العائلة والأصدقاء في لندن ملتقى الأحبة والأصدقاء من مختلف الجنسيات في هذه الفترة في كل سنة بعيداً عن زحمة العمل.

وكالعادة، التقيت بالأخ والصديق الأديب محمد المر وقضينا يوماً معاً في زيارة بعض معالم لندن الثقافية، لكن أهم ما يميز هذا اليوم هو زيارتنا إلى معرض «إغراء الشرق» وهو معرض يضم لوحات لمستشرقين بريطانيين وعلى رأسهم لوحات دافيد روبرت أول فنان بريطاني محترف سافر إلى الشرق الأوسط سنة 1838 /1839 ورجع منه بمئات الدراسات كونت قاعدة لفن الرسم لأكثر من عشرين سنة، ومعظم اللوحات المعروضة هي لفنانين بريطانيين نقلوا بفنهم صوراً من الشرق عن الفترة ما بين 1830 و1920، وقد وجد هؤلاء الفنانون في الشرق تأثيراً وتحدياً، فتركزت مواضيع الرسومات على الحياة الدينية والثقافية والإسلامية في كل من مصر وفلسطين وتركيا وركز بعضها على صور لوجوه ومناظر طبيعية داخلية لإظهار أسلوب الحياة في هذا العصر.

وقد أقيم هذا المعرض لفترة مؤقتة من الرابع من يونيو ولغاية 31 أغسطس، ويعتبر من أبرز المعارض الفنية في بريطانيا، إذ أن بعض اللوحات لا يقدر بثمن، من بينها لوحتان معارتان إحداهما من متحف

الشارقة بدولة الإمارات والثانية من متحف الدوحة بدولة قطر، وكم كنت أتمنى خلال زيارتنا للمعرض أن أصادف زواراً عرباً، وأتمنى أكثر، إقامة مثل هذه المعارض في الدول العربية والتسويق والدعاية لها بما يناسب قيمتها.

بعد ذلك أكملنا مشوار يومنا إلى إحدى مكتبات لندن للاطلاع على الإصدارات الجديدة من الكتب والمراجع، وعلى فكرة تقع في وسط مدينة لندن حوالي 15 مكتبة حجم كل واحدة أكبر من الأخرى، أما أكبرها فهي مكتبة Foyles التي تضم كما يقال حوالي 7 ملايين كتاب وهذا ليس بغريب، إذ أن حجم كل مكتبة يساوي حجم أكبر مركز تجاري في لندن، فكما في المراكز التجارية أقسام مختلفة للبضائع في عدة أدوار.

فكذلك المكتبات هناك تحتوي على عدة أقسام لمختلف الكتب وفي جميع المجالات، وفي رأيي أن حجم مكتبة واحدة يساوي دور المكتبات في الدول العربية. لندن بحدائقها ومراكزها الفنية والثقافية والتجارية تلبي جميع الأذواق ولمختلف الأعمار. لكن للتغيير ذهبت مع العائلة لزيارة مدينة إدنبرة باسكتلندا، التي زرتها لأول مرة قبل 30 سنة، استغرقت الرحلة بالقطار حوالي أربع ساعات ونصف، انطلقنا خلالها في الريف الانجليزي الجميل إلى الريف الاسكتلندي الأجمل، حيث المناظر الخلابة تريح الناظرين العطشى لجمال الطبيعة.

مدينة إدنبرة مدينة صغيرة وجميلة يبلغ عدد سكانها حوالي 450 ألف سنة، وصادفت زيارتنا موعد مهرجانها السنوي والذي تشهد المدينة خلاله إقامة معارض فنية وثقافية وحفلات مسرحية وموسيقية وعدداً من الفعاليات في الشوارع الخاصة بالمشاة، كما يقام بعض منها في الحديقة

العامة وسط المدينة

ولأن الجو كان مناسباً واسكتلندا معروفة بريفها الجميل وغاباتها وبحيراتها الأجمل، ذهبنا لقضاء بعض الوقت خارج المدينة، حيث أطلعنا مرافقنا على أهم مناطقها.

اسكتلندا ومدينة أدنبرة أخرجت مجموعة من العلماء والفلاسفة والمفكرين والفنانين والسياسيين البريطانيين من بينهم «توني بلير».

رئيس وزراء بريطانيا السابق الذي ولد في أدنبرة ودرس في جامعتها، وكذلك «جوردون براون» رئيس الوزراء البريطاني الحالي وهو من مواليد «غلاسكو عاصمة اسكتلندا وتخرج أيضاً من جامعة أدنبرة، ومن الفنانين المعاصرين الممثل «شين كونري» المعروف «بجيمس بوند» وهو شخصية محبوبة ومرحة عكس الأدوار التي يمثلها، حيث التقيته فيما مضى ودعوته للحضور إلى دبي لكن لم تسنح الفرصة لانشغال كل منا بالعمل.

وقد سألت مرافقنا في هذه الرحلة عن رأيه في هذه الشخصيات ذات الأصل الاسكتلندي والتي نالت شهرة عالمية قال: أنا فخور بعرقي الاسكتلندي وبانتمائي البريطاني لكن لا أريد أن أكون انجليزياً وهذا يعني أن الشعور بالخلافات العرقية ما زال مستمراً رغم المحاولات السياسية لإصلاحه.

روما المدينة المتحف

روما عاصمة ايطاليا زرتها مؤخراً للمرة الثالثة وقد كتبت انطباعاتي عنها قبل فترة لكن مدينة كبيرة كروما وعاصمة لدولة لها تاريخ عريق لا يمكن تلخيصها في موضوع واحد، روما ثاني أقدم مدن أوروبا بعد أثينا وتحتوي على آثار وفنون معمارية تعتبر الأعرق في العالم، فالمعالم الأثرية منتشرة في كل جزء منها إذ أن أغلب العمارات القديمة مبنية بأسلوب فني معماري جميل وفريد لا يوجد مثيل له إلا في هذه المدينة وبأعداد كبيرة وتتراوح أعمارها بين 500 و700 عام، كما يميز روما كثرة أزقتها التي تستطيع المرور فيها بالسيارة.

وضمن برنامج زيارتنا داخل المدينة زرنا متحفاً كان كنيسة في الأصل، ويطلق عليه كنيسة العظام، يضم حوالي أربعة آلاف هيكل عظمي للرهبان معلقة على جدران الكنيسة مع لوحة كبيرة كتب عليها «كنا مثلكم وسوف تصبحون مثلنا». وإذا كانت المدن العريقة مليئة بالمتاحف فإن «روما متحف قائم من أولها لآخرها».

يبلغ عدد سكان روما حوالي 5,3 ملايين نسمة، وأهالي روما كمعظم الشعب الإيطالي يحبون الراحة والأنس، فإيطاليا معروفة بكثرة العطل الرسمية وفي شهر أغسطس يذهب أغلب الإيطاليين في إجازة صيفية خارج المدينة،.

حيث يقال إن أكثر من نصف روما معطل، وأعتقد أن هذا ينطبق على كل مناطق إيطاليا، مع ذلك فعدد السواح إلى روما يزداد عاماً بعد عام حتى

في هذا الشهر المعطل، وحسب بعض المصادر الإيطالية فإن عدد السواح إلى مدينة روما سنوياً يفوق عددهم إلى أية مدينة أوروبية أخرى، مع أن الملفت للنظر في مدينة روما رغم جمالها وروعة معمارها أنها مدينة غير نظيفة، فهي أقل نظافة من أية مدينة أوروبية.

والأسوأ من ذلك شوارعها ليس لعدم سعتها واستيعابها لأعداد السيارات إنما لعدم صيانتها وكأنك في مدينة من مدن الدول النامية، والرومانيون يشتكون من ذلك وهم غير راضين عن الحكومة الإيطالية الجديدة مع أن هذا الموضوع قديم لكن الحكومة الحالية وعدت كسابقاتها برفع مستوى الخدمات الأساسية وبالذات في مجال البنية التحتية لأن نائب رئيس الوزراء الحالي كان عمدة لمدينة روما وهو شخصية نشطة ومحبوبة من الجميع.

أما الغريب في أمر إيطاليا وفي أمر عاصمتها روما أن دولة أخرى تقع وسطها، فدولة الفاتيكان لها كل امتيازات الدولة ولا يستطيع الزائر الدخول إليها إلا بتأشيرة الدخول، حتى الإيطاليين لا يمكنهم الدخول إليها إلا بإذن رسمي مثلهم مثل الأجانب أو برخصة عمل، فأهل روما بل الشعب الإيطالي ككل يتمنى العمل في دولة الفاتيكان لأنها لا تطبق نظام الضرائب لذا يستطيع كل فرد شراء ما يشاء بثمن رخيص له ولأصدقائه وأحيانا ليعيد بيعها!

هذا ما قاله لنا مرافقنا وعندما سألته عن سبب انتشار ظاهرة الباعة المتجولين قال: إنهم ليسوا باعة عاديين فهم يبيعون البضائع المقلدة من الماركات العالمية أمام المحلات الأصلية مع أن ذلك ممنوع قانوناً، لكن من المتابع؟

فحالهم كحال شوارع المدينة! قلت له هذه هي أوروبا المليئة بالتناقضات قصور وشقق فاخرة، وفقراء بلا مأوى ينامون في الشوارع ومحلات فاخرة وباعة متجولون.

سائح يتسوق في الماركات في لندن، وآخر من البضائع المقلدة في روما، ليذهب في داهية في باريس، حيث نشر على كل ممرات مطاراتها «ممنوع منعاً باتاً دخول البضائع المقلدة» ومن يخالف يتعرض للغرامة المالية وقد يسجن أو يحرم من دخول فرنسا أو ربما بسبب ذلك يمنع حتى من دخول أي بلد أوروبي آخر بحكم نظام التأشيرة الموحدة.

عروس البحر ومدينة «إيفان الرهيب»

إذا كانت مدينتا لندن وباريس من أكثر المدن شهرة، فإن مدناً عربية كدمشق من أقدمها في التاريخ، والقاهرة التي أطلق عليها أحد المؤرخين الانجليز، وبتعبير مصري عربي «أم الدنيا» والمصريون عندما يقولون مصر، فهم يعنون القاهرة، أما أحدث المدن العربية وأكثرها شهرة خلال السنوات الماضية بلا منازع فهي مدينة دبي، ملاذ السائحين في كل أنحاء العالم، لها تسميات كثيرة، من أشهرها «دانة الدنيا»، «لؤلؤة الخليج».

مؤخراً زرت مدينتين وأردت أن أشارك القراء انطباعاتي عنهما، زيارتي الأولى كانت لمدينة عربية خليجية. مدينة تشعرك براحة نفسية، وتدخل في نفسك البهجة والسرور بمجرد أن تطأ قدماك أرضها، هي مدينة «جدة» التي يطلق عليها عروس البحر الأحمر حيث تمتد شواطئها حوالي 80 كيلومتراً على البحر الأحمر، كما تمتلك امكانيات سياحية مميزة كفنادقها الفخمة، ومراكزها التجارية الراقية التي تجمع بين الفن المعماري الحديث والتراث السعودي، أما محلاتها فإنها تضاهي المحلات العالمية،

وهذا ما تسنى لي مشاهدته لأن زيارتي لها كانت قصيرة.جدة المدينة الثانية في المملكة العربية السعودية من حيث المساحة وعدد السكان، وفي نظري هي من أجمل مدن المملكة وتتميز بقربها من الأراضي المقدسة، يعتقد الكثيرون أن مدينة جدة تحمل هذا الاسم نسبة إلى جدتنا «حواء» نتيجة وجود قبر تاريخي لا يعرف حتى الآن من المدفون فيه.

لكن اتضح لي من وثائق رسمية أن تاريخها يعود إلى حوالي 3 آلاف

سنة عندما أنشأها مجموعة من الصيادين، ثم جاءت إليها قبيلة «قضاعة» قبل أكثر من 2500 سنة ويقال انه أطلق عليها اسم أحد أبناء هذه القبيلة وهو «جدة بن جرم بن ريان بن قضاعة» ويعود نسبهم إلى الجد التاسع عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا تقول الوثائق الصادرة من الجهات الرسمية في المملكة. وفي اعتقادي أن هذه المدينة الجميلة التي لا تخفى امكانياتها على أحد حتى لو زارها لفترة قصيرة، لم تأخذ إلى الآن حقها من الترويج السياحي والتسويق والإعلان عنها، على الأقل في الدول العربية، أو حتى في دول مجلس التعاون، خاصة وأننا نعيش في عصر يعتمد على السياحة كداعم أساسي للاقتصاد الوطني.

فهناك الآلاف من السائحين العرب بمن فيهم السعوديون يسافرون إلى الخارج لقضاء عطلاتهم، فلماذا لا يكون لمدينة جدة نصيب منها؟ ألا تستحق هذه المدينة أن تأخذ مكانها في سوق السياحة؟ أما المدينة الثانية التي زرتها أخيراً فهي موسكو، المدينة العريقة، المدينة التي كانت في يوم من الأيام تهز العالم برأيها عندما تطرح قضايا مصيرية شرقاً كانت أم غرباً، مدينة كانت ملجأ لكل أبناء الشعوب الفقيرة في آسيا وأفريقيا وحتى أوروبا، كانت عاصمة لدولة كانت لها كلمة مسموعة،

وتقاسمت قيادة العالم مع الولايات المتحدة. كانت جنة للفقراء والمساكين، وحلم كل إنسان لزيارتها أو الإقامة فيها، واكتشفت في زيارتي لها أنها مدينة كمدن العالم الثالث، باستثناء طبيعتها، فالغابات والأشجار المحيطة بها، وجوها المعتدل في الصيف تميزها، موسكو مازالت تعيش على صيت الماضي الذي رسخه الحزب الشيوعي،

أما حياة مواطنيها اليومية فهي عادية جداً، أصبح كل ما لديهم من

وسائل للراحة مستورداً من الخارج، وبالذات من الدول الغربية، فمثلاً فيها أقدم مركز تسوق تجاري في أوروبا كما يقال، والذي بناه أحد القياصرة وهو القيصر «ايفان الرهيب» وهو معلم تاريخي في المدينة لكن كل البضائع الموجودة فيه مستوردة من أوروبا وأميركا واليابان، أما البضائع الروسية فلا وجود لها.

وقد حاولنا إيجاد هدايا مصنوعة محلياً فلم نوفق، والسؤال الذي لم نحصل له على إجابة هو كيف وماذا كان يستخدم النظام السابق؟

حتى أضخم الفنادق، فلقد بنيت حديثاً، أما التكنولوجيا المستخدمة بشكل يومي فاعتمادها الكلي على المستورد حتى الحكومية منها عندما سألت أحد المرافقين عن التكنولوجيا الروسية التي كانت أول من وصل إلى الفضاء كان رده: روسيا أثناء الحكم الشيوعي تقدمت في المجال العسكري وسباق الفضاء لتنافس الغرب وبالذات الولايات المتحدة الأميركية، لكن المسؤولين آنذاك نسوا متطلبات الحياة اليومية للشعب،

حيث كانوا يظنون أن تلك كماليات تعتبر ترفاً لا داعي له، فسألته لقد مضت الآن سنوات على القضاء على الحكم الشيوعي فماذا فعلتم؟ سكت: ثم قال نحتاج لعشر سنوات أخرى لنبدأ من جديد، وأعتقد أن الشعب الروسي إذا انطلق سوف يبدع في الفنون والتكنولوجيا، وأستطيع أن أقول إننا قد نلحق بالغرب بسرعة، لأن الشعب الروسي له امكانيات ذهنية وعقلية أكثر من امكانيات كل الشعوب الغربية،

لكن مع الأسف في الوقت الحاضر يستغل ذلك من قبل أميركا فالعلماء يهاجرون إلى أميركا التي توفر لهم فرصاً أفضل للحياة، وقد يدركون بعد وقت أن وطنهم أولى وأكثر أماناً كما فعل الصينيون من قبل.وأجمل ما

شاهدت في موسكو هو الكرملين مقر الحكومات السابقة والحالية، زرنا متحفه، وبه الصور الزيتية والمجوهرات الأغلى في العالم، وهو بالفعل أغنى متحف في العالم.

زواره من أهالي موسكو وروسيا بشكل عام أكثر من الأجانب، تقطن روسيا جنسيات مختلفة وأغلبها يعيش في موسكو الذي وصل عدد سكانها إلى أحد عشر مليون نسمة إضافة إلى حوالي أربعة ملايين زائر يومياً، وخلال السنوات العشر الماضية ازداد عدد السيارات فيها ليصل إلى ثلاثة ملايين سيارة مع أن ضريبة استعمالها مرتفعة.

موسكو لوحدها تعيش على أرضها 147 جنسية مختلفة وبها 41 طائفة دينية ومذهبية ولم تشهد عبر التاريخ أي نزاع قومي أو مذهبي هكذا يقول المسؤولون فيها، بها حوالي 100 مدرسة لتعليم اللغات القومية المختلفة.لكن لا تستخدم في روسيا، إلا اللغة الروسية في جميع المدارس كما ما زالت تستخدمها شعوب بعض الدول التي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي.

قلت لأحد المسؤولين مازحاً: عندما كان العرب في عز قوتهم وتقدمهم العلمي في ظل الدولة الإسلامية كانت كتبهم تترجم إلى لغات مختلفة ليستفيد منها العلماء في الغرب لكنهم رغم التقدم الذي وصلتم إليه إلا أن لغتكم لم تنتشر عالمياً وسط هيمنة اللغة الانجليزية فإذا أردتم مجاراة هذا العصر الذي لا يعترف إلا باللغة الانجليزية عليكم أن تستخدموها بجانب لغتكم.وأغرب ما شاهدت في موسكو وجود شارع جانبي سريع للمسؤولين لتخطي كل الإشارات المرورية، وهذا الجزء من بقايا النظام الشيوعي كان يستخدمه كبار المسؤولين ومازالوا!.

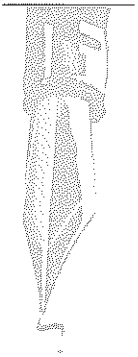

أوراق رياضية

كرة القدم لعبة السياسة

في عام 2002 تم تنظيم كأس العالم لكرة القدم لأول مرة في آسيا مشاركة بين كوريا واليابان وتزامن حضوري مؤتمر منظمة المدن العالمية في مدينة سيئول مع انطلاق هذه المناسبة الرياضية فدعيت ومجموعة من عمداء المدن المشاركين في المؤتمر لحضور حفل الافتتاح بدعوة من عمدة مدينة سيئول، يقيناً منه بأن الجميع سوف يلبي الدعوة لأن كرة القدم هي اللعبة الشعبية الوحيدة التي سحرت العالم كباراً أو صغاراً رجالاً ونساءً، لذا لم يتردد أحد من المدعوين في الحضور.

وعلى الرغم من أن الاستمتاع قد يختلف من شخص لآخر ويأخذ طابع الجدية والتطرف في أغلب الأحيان إلا أن الجميع يشجع ويتفاعل كل حسب ميوله، فهناك من يشجع منتخباً إيماناً منه أنه يقدم اللعب الجميل ويتفنن في إمتاع المشاهدين.

وهناك من يشجع منتخب بلاده إيماناً منه بأنه واجب وطني أو قومي وهؤلاء هم الأغلبية، وهناك من يشجع المنتخبات الكبيرة والقوية إيمانا بأنها ستنافس للنهاية، وبالتالي سوف يطول استمتاعه وحماسته إلى المباراة النهائية.

لكن لا يختلف أحد على أن هذه اللعبة الجميلة غالباً ما نتابعها بحماسة وتفاؤل وتنتهي، وقد أصابتنا بصداع وتوتر، حتى لو لم يكن منتخبنا المفضل طرفاً فيها.

ومرة أخرى حضرت افتتاح كأس العالم منذ أيام في مدينة ميونخ بألمانيا بدعوة كريمة من طيران الإمارات الراعي الرسمي لهذا الحدث العالمي، وطيران الإمارات لا تحتاج مني إلى تعريف أو إشادة فهي شركة ولدت عملاقة وطموحها ونشاطها في ازدياد مستمر ورعايتها لمختلف الأحداث الرياضية جعلت منها رائدة شركات الطيران العالمية في هذا المجال.

وكما يعلم الجميع تشارك في كأس العالم مجموعة منتخبات من جميع القارات، منها منتخبات دائمة المشاركة منذ انطلاق هذه البطولة ولا تحلو بدونها، ومنها منتخبات دائمة التواجد في البطولة وتسعى جاهدة كل دورة لترك بصمة ببلوغ دور الثمانية على الأقل، اما باقي المنتخبات فأغلبها يقتصر دوره على الظهور ككمبارس ليس إلاّ!

وغالباً ما تتأرجح البطولة بين أوروبا وأميركا الجنوبية وخلال نصف القرن الماضي كانت البرازيل من أكثر الدول فوزاً بها، اما فرق الكمبارس، فهي تتبادل المراكز بين قارتي آسيا وإفريقيا، ومن أكثر الدول المرشحة للفوز في هذه الدورة، البرازيل وانجلترا واسبانيا والأرجنتين ولا أستبعد مفاجأة حصان أسود أوروبي يأتي من الخلف.

وبالنسبة للدول العربية تعتبر مصر من أولى الدول العربية والإفريقية مشاركة في البطولة، لكنها مع الأسف تراجعت ولم تستطع مجاراة الدول الإفريقية التي سبقتها، وذلك بما يمتلكه اللاعبون الأفارقة من قدرات وإمكانيات أهلتهم للعب كمحترفين في أندية أوروبية مرموقة حتى أصبح البعض منهم من أشهر اللاعبين

في أوروبا.

وفي السنوات الأخيرة تجاوزت شعبية كرة القدم الجماهير البسيطة وشدت انتباه السياسيين ورجال المال والأعمال، حيث أصبح بعض رؤساء الدول يستغلون هذه اللعبة كورقة رابحة للفوز بكرسي الرئاسة أو كسب أصوات أكثر لحزبهم في الانتخابات البرلمانية، أما رجال المال والأعمال فلا شك أنهم يتهافتون على استغلال مثل هذا الحدث لأنهم مستفيدون بشكل أو بآخر، وبمجرد رعايتهم للفرق أو الدول المستضيفة يحققون مكاسب كبيرة اقلها الترويج لمنتجاتهم والدخول في منافسة مع الشركات الأخرى.

وفي ظل سياسة الرئيس الحالي للاتحاد الدولي لكرة القدم جوزيف بلاتر قد تتطور اللعبة في عصر العولمة وتتعدى الأهداف التي أقيمت من أجلها أول مرة وقد يصبح الاتحاد إمبراطورية تتخذ قرارات تتحكم من خلالها في هذه اللعبة كيفما تشاء، وهذا لن يفاجئنا وقد تكون الإمبراطورية الوحيدة في العالم غير الخاضعة للمحاسبة.

في عام 2002 كان الحدث الأبرز الذي طغى على نهايات كأس العالم هو انتخابات الاتحاد الدولي لكرة القدم وكان حينها من أبرز المرشحين إلى جانب الرئيس الحالي، رئيس الاتحاد الإفريقي «عيسى حياتو»، حينها وعده البعض وتعاطفوا معه ظناً منهم ان الاتحاد بحاجة إلى تغيير وإلى شخصية غير أوروبية قد تخدم أكثر القارات الأخرى.

وحينها كان رأيي ان هذا غير ممكن في ظل وجود إخطبوط متمكن مثل بلاتر الذي يمتلك خبرة واسعة صقلها في خلال احتكاكه بالعمل

في هذا المجال منذ سنوات.

إضافة إلى كونه من أوروبا وهذا لوحده كفيل بإضعاف فرص منافسه ومهما حاول القائمون على الاتحاد الدولي لكرة القدم الترويج لمناهضة العنصرية داخل اللعبة إلا ان سياسة الانتخابات تختلف وقد تظل الأفضلية بالنسبة للرئاسة للأوروبيين لسنوات طويلة، وعلينا أن نكون واقعيين فمن الصعب حالياً منافسة بلاتر مهما كانت إمكانيات وقدرات الطرف الآخر، فهو متواجد بقوة على رأس الجهاز ويتحكم فيه.

ولا يعجز عن طرح خطط واستراتيجيات لتطوير كرة القدم، إضافة إلى أن أوروبا تعتبر نفسها المؤسس الرئيسي لهذه اللعبة، مع أنها في الأصل من اختراع الصينيين، كما يقال، لكن الأوروبيين طوروها، خاصة الإنجليز.

مع ذلك فالمنتخبات الأوروبية بمجملها لم تنل الشهرة التي نالتها البرازيل، بالرغم من أن أغلب اللاعبين البرازيليين اشتهروا في الأندية الأوروبية، لأن أوروبا تتحكم في ما يسمى بتجارة كرة القدم، وحالياً يتم تجهيز شخصيات لرئاسة الاتحاد في المستقبل وعلى رأسهم الألماني بكنباور، والفرنسي بلاتيني، ومع أن الجوهرة السوداء بيليه لا يقل شهرة عنهما، إلا أن اسمه غير مطروح في قائمة بلاتر.

إلى جانب كل هذا ففي اعتقادي أن استراتيجية بلاتر تتلخص في جعل الاتحاد الدولي لكرة القدم «FIFA» أكبر شركة تجارية يتجاوز رأسمالها مليارات الدراهم، وفي رأي الكثير من المحللين هو يمتلك العصا السحرية التي تكمن في جنون العالم بكرة القدم، فها هي أميركا

بكل قوتها الاقتصادية وجبروتها ترضخ لهذه اللعبة بعد أن حاولت بشتى الوسائل الابتعاد عنها والاهتمام ببدائل أخرى مثل كرة السلة وكرة القدم الأميركية، حتى أنها لم ترض بتسميتها FOOT BoAL .

وأطلقت عليها اسم SOCCER، ومؤخراً بعد أن اعترفت بسحر هذه اللعبة أسست أندية محترفة في كرة القدم، وفي آخر أربع منافسات شارك المنتخب الأميركي في نهائيات كأس العالم، ليس لأنهم أقوياء في هذا المجال بل لأنه لا يوجد منافس لهم في قارتهم.

يقول فرانسوا فانو الفيلسوف الفرنسي المولود في الجزائر إنه عندما يتابع مباراة جميلة في كرة القدم يتخيلها مسرحية ليس للمخرج يد في نهايتها.

زيارة ناجحة للدوحة

زرت الدوحة ما بين 24 و25 مارس 2008 بدعوة كريمة من اللجنة الأولمبية القطرية، للمشاركة في اجتماع اللجان الأولمبية لدول مجلس التعاون، وكان الاجتماع مفيداً وبناء حيث اتخذ المجتمعون عدة قرارات لصالح الرياضة في دول المجلس، أهمها استمرار الألعاب المصاحبة لدورة الخليج، ومباركة دولة قطر لبناء مختبر فحص المنشطات في الدوحة يكون تحت تصرف جميع الأعضاء، كما تم خلال الاجتماع الإعلان عن دعم ترشح دولة قطر لاستضافة دورة الألعاب الأولمبية عام 2016، ومن المعروف أن دولة قطر سوف تستضيف الدورة الرياضية العربية المقبلة.

وبعيداً عن هذا الاجتماع كانت الزيارة بالنسبة لي لها طعم خاص، حيث كانت فرصة للقاء مجموعة من الإخوة والأصدقاء الخليجيين والقطريين بشكل خاص، واسترجعنا مع بعض ذكريات لقاءات مضت، وكان على رأس الأصدقاء القطريين معالي الأستاذ والصديق عبدالله العطية نائب رئيس الوزراء وزير الطاقة في دولة قطر، وهو شخصية معروفة في الأوساط الخليجية والعربية. محبوبة لدى الجميع، لصفاته الحميدة، مثقف مطلع على الشؤون العامة وعلى التاريخ، ومفكر ذو عقلية متفتحة، ثم كان اللقاء مع معالي عبدالرحمن العطية أمين عام مجلس التعاون.

وخلال هذه اللقاءات دار الحديث حول شؤون وشجون الرياضة الخليجية والعربية، وكذلك القضايا السياسية الساخنة في الوطن

العربي، أما الأشقاء الخليجيون الآخرون فكان على رأسهم الشيخ عيسى بن راشد آل خليفة «أبو عبدالله» بشخصيته المتواضعة المرحة، فعندما يطرح موضوعاً للمناقشة، يتقبله كل الأطراف حتى لو اختلفوا معه، وذلك لأن أسلوبه في طرح الموضوع تتخلله روح الدعابة والجدية في آن واحد.

أما أهم ما يشغل بال القطريين فهو ترشحهم لاستضافة دورة الألعاب الأولمبية عام 2016، والاخوة في قطر مهتمون بهذه الاستضافة ومقدرون أن المنافسة ستكون قوية وعليهم الاستعداد والاعداد لها من الآن، لذا هذا الحدث هو الشغل الشاغل في قطر ومحل اهتمام الحكومة القطرية والمسؤولين المعنيين وعلى رأسهم الشيخ تميم بن حمد آل ثاني ولي عهد قطر مع ان القطريين يبدو أنهم واثقون من قبول عرضهم في يونيو القادم موعد تصويت اللجنة التنفيذية على المدن المرشحة.

والدليل أنهم حددوا تاريخ الألعاب الأولمبية القادمة ما بين 14 و20 أكتوبر 2016 والألعاب الأولمبية لذوي الاحتياجات الخاصة بين 14 و23 نوفمبر في السنة نفسها، حيث يكون الجو مناسباً في المنطقة، حتى ولو كانت هناك مدن قوية تنافس الدوحة هي شيكاغو وبراغ وطوكيو وريودي جانيرو وباكو ومدريد لاستضافة هذه البطولة، إلا أن الاخوة القطريين واثقون كذلك من قدراتهم على إنجاحها، حيث نجحوا بجدارة في تنظيم الألعاب الآسيوية عام 2006 بشهادة الجميع.

والمسؤولون في قطر لم ولن يقصروا ويبذلون كل جهدهم لاستضافة هذا الحدث العالمي الفريد، وفي سبيل ذلك عملوا ويعملون في الداخل والخارج، فداخلياً تقوم الجهات المسؤولة بإنشاء وإعداد البنية التحتية وتطوير المنشآت الرياضية استعداداً للبطولة، وخارجياً يتم الاتصال بكل

المؤسسات الرياضية العالمية، لذا من واجب الدول العربية والخليجية دعمهم وبذل كل ما يمكن من جهد كل في موقعه، لمساندة طلب دولة قطر الشقيقة، لأن هذا الحدث لن يضيف إلى دولة قطر فحسب، بل سيكون مفخرة للعرب وبالذات لدول مجلس التعاون، لأنه لن يتكرر في المنطقة خلال هذه الفترة.

قد يقول البعض لماذا دولة قطر تصرف الملايين لاستضافة هذه البطولة، إلا أنه في اعتقادي مثل هذا الحدث يستحق، والدول التي سبقتنا له وكل الدول التي تسعى إليه ليست اغنى منا، فنحن مثلهم، ننتمي إلى الأسرة الدولية وهذا الحدث التاريخي تتسابق عليه دول كثيرة وسوف يكون حدث القرن، ثم إن أكثر من 70٪ من ميزانيته سوف تصرف على تنمية الدولة التي ستستفيد منها لعشرات السنين، كما يمكن تغطية الكثير من المصارف بإجراء نظام تسويقي جيد. كما هي العادة في مثل هذه المنافسات.

هذا عن البطولة، أما ما يجري في دولة قطر من تنمية اقتصادية واجتماعية، فإنها تتحرك بعقلانية وتستفيد من تجارب الآخرين، كما قال أحد الأصدقاء، وتعمل من أجل خلق توازن بين التنمية والاهتمام بالمواطن القطري لكي لا تتأثر التركيبة السكانية، ولذلك هم غير مستعجلين في خطواتهم التنموية، ما تستثمر قطر مواردها المساعدة ومشاركة العالم في كثير من مشاريع التنمية مثلها مثل باقي الدول الخليجية.

أما عاصمتها الدوحة فهي تشهد نهضة عمرانية شاملة وحركة في البنية التحتية في مجال الخدمات الأساسية، كالطرق والحدائق العامة

والمراكز التجارية، تنافس بها أهم المدن الخليجية.

وأهم ما لفت نظري هو تقبل الاخوة القطريين للرأي الآخر، وهذا أمر مهم للغاية، وكما سمعت فإن قطر تتجه نحو بناء مؤسساتها بمشاركة شعبية دون ضجة إعلامية. ويكفي دولة قطر انطلاق أهم منبر إعلامي عربي منها هو «قناة الجزيرة» التي أصبحت من أكبر الأجهزة الإعلامية في آسيا وأوروبا والتي علمتنا الرأي والرأي الآخر.

أخيراً ضمن زيارتنا ذهبنا والاخوة أعضاء وفد الإمارات إلى سوق تقليدي مبني بأسلوب العمارة الخليجية بطابع محلي خاص، وهو «سوق واقف» مع ذلك جلسنا وشربنا القهوة!!!

قراءة في أحداث «خليجي 19»

لعدة أيام تابعت كما تابع كل مهتم ومشجع لكرة القدم، دورة كأس الخليج «خليجي 19» في مسقط، هذه الدورة التي انطلقت من البحرين عام 1970 واستمرت حتى الآن دون مشاكل تذكر، وزاد عدد الدول المشاركة إلى أن وصل إلى ثماني دول بمشاركة جمهورية اليمن الشقيق.

بداية أهنئ منتخب سلطنة عمان على فوزه بالبطولة والواقع الفني يقول إنه يستحقها، والفريق لم يصل إلى النهائي إلا باجتهاد وإصرار، وقدرات فنية رائعة، فمبروك لهم البطولة.

وبعد هدوء الساحة الرياضية من التعليقات الساخنة، والاتهامات المتبادلة لي ملاحظتان أريد أن أشارك القراء والمهتمين بكرة القدم بهما، أولاهما موقف وشكل منتخبنا الوطني، والثانية الإعلام الرياضي المرئي بشكل خاص ودوره قبل وأثناء البطولة.

إن كرة القدم لعبة جماهيرية قائمة على الفوز والخسارة والكل يسعى دائماً للفوز، ومنتخبنا كغيره حاول بقدر الإمكان تحقيق الأفضل مع أن المستويات كانت متقاربة والمنتخبات الشقيقة لم تكن أفضل منا، وفي دورة الخليج كما يقال الحظ يلعب دوراً كبيراً للوصول إلى النهائيات لكنه لا يخدم من لا يخدم نفسه، فمنتخبنا لم يقدم ما كان متوقعاً منه خاصة إذا أخذنا بالاعتبار أنه بطل خليجي 18.

وقلت في مقابلة في جريدة «الاتحاد» بعد فوزنا بالبطولة علينا أن لا نبالغ بل يجب أن نركز ونعد لما هو قادم خاصة أن التصفيات القادمة

آسيوية وعالمية مع أن حصولنا على البطولة جاء نتيجة جهود بذلت منذ سنوات، أما الآن ما يحصل في دوري الإمارات لا يبشر بالخير للمنتخب مستقبلاً.

وما يجري هو تقوية بعض فرق الأندية للتنافس فيما بينها، ويا ليتهم في دوري المحترفين اكتفوا بتسجيل لاعبين أجنبيين فقط واهتموا أكثر بصقل مواهب إماراتية لكسبها في المنتخب، أما أن نصرف الملايين على لاعبين أجانب فهذا لا يخدم المنتخب، واجتهاد بعض الأخوة لإخراج دوري المحترفين بهذا الشكل ما هو إلا محاولة لتقليد بعض الدوريات الأوروبية.

وبالذات الدوري الإنجليزي، مع أن وضعنا مختلف تماماً فالدوري الإنجليزي له شروط، وهناك شركات ذات ربحية تمتلك الأندية ويهتم المساهمون في هذه الشركات بالكسب المادي لأنها تعتبر ذلك استثماراً، لذا هي تهتم بفرق الأندية ولا يهمها المنتخب، والدليل أن المنتخب الإنجليزي مثلاً لم يحقق منذ سنين أية بطولة تذكر على مستوى أوروبا أو العالم مع أن كرة القدم انطلقت من بريطانيا، وهي أساس ومرجع العالم لهذه اللعبة. مع ذلك حتى لو طبقنا هذا المنهج فنحن لا نستطيع جعل كرة القدم تجارة وصناعة، لأسباب عديدة، أهمها أن الأندية بشكل أو بآخر مدعومة إن لم تكن من الجهات الراعية للرياضة الاتحادية فإنها مدعومة من الحكومات المحلية ولا تستطيع أن تكون شركة لأنها لا تمتلك المقومات. وهذا موضوع آخر يحتاج إلى وقفة أخرى.

أما بالنسبة للإعلام والإعلام المرئي في هذه البطولة فإنه مع الأسف نقل لنا صورة سلبية لا ترتقي بأهدافها فهناك أكثر من فضائية رياضية كانت تبث حوارات ونقاشات لم يكن هناك داع لها، واعتبرها البعض

تعبيراً عن حرية الرأي. مع أن الحرية كانت بعيدة عنها، وبدت بعض الحوارات محتدمة وكأننا في حالة حرب وغابت عنها الروح الرياضية.

وتناسى البعض أنهم يشاهدوننا في كل أنحاء العالم، وأننا أشقاء وتقام هذه البطولة من أجل التواصل بيننا وخلق روح المنافسة بين اللاعبين لرفع مستواهم للمشاركات القارية والدولية. وكما نعرف فإن الاتحاد الدولي لكرة القدم «الفيفا» لم يعترف بها، مع ذلك كان لهذه البطولة دور في رفع المستوى الفني للمنتخبات الخليجية بالإضافة إلى إعداد الشباب لخلق قادة رياضيين في مجالات الإدارة والتنظيم.

وهذا ما تحقق في هذه الدورات فنرجو من أجهزة الإعلام وبالذات المرئية وضع ذلك في الحسبان وعدم الجري وراء المواضيع الهامشية والأخطاء غير المعتمدة لخلق مشاكل بين شبابنا في دول الخليج، إذا أردنا الاستمرار في هذه البطولة التي حققت الكثير للشباب ولكرة القدم الخليجية، وهذا وحده كاف للحفاظ على استمراريتها والعمل للارتقاء بها. وأتمنى من البعض أن لا يخلقوا من بعض السلبيات التي قد تقع هنا أو هناك أثناء أية بطولة جواً مستفزاً وصداماً نحن في غنى عنه، فهذا يحدث حتى في البطولات العالمية والدورات المحلية.

ولنسعى أن تبقى دائماً الرياضة المتنفس للتخفيف من المآسي والأحزان التي يعيشها العالم يومياً وكفانا أننا نتابع ذلك على باقي القنوات الفضائية، ولتبقى رسالة القنوات الرياضية لنشر روح المودة والمنافسة الرياضية الشريفة.

الرياضة والاستثمار الاقتصادي

استكمالاً للموضوع السابق عن كرة القدم، وعن الاتحاد الدولي ورئيسه، وكيف ولماذا توقعت أن يجعل منه أكبر شركة استثمارية في هذا المجال تمتلك المليارات، ومن خلالها تتحكم بهذه اللعبة كيفما تشاء.

إن أية شركة أو مؤسسة لابد وأن تضع معايير وتمتلك أدوات لإدارتها، من مستوى أداء ومنتجات عالية الجودة ومستهلكين ومتعاملين لإنجاحها. والشركة الناجحة تتكون من رأسمال + أدوات + جودة، ثم يأتي المنتفعون والمستهلكون ليساعدوا على نشرها في العالم، ولا شك أن الاتحاد الدولي لكرة القدم قد وصل إلى هذه المرحلة، فهو يدير شركة ذاع صيتها في العالم.

كما أنه بالمفهوم التجاري يتاجر في بضاعة اجتمع الجميع على حبها دون الحاجة إلى دعاية أو إعلان. والاستغلال الذكي لأدواتها، أي للاعبين جعلت من هذه البضاعة، أي كرة القدم، تتربع على عرش الرياضات والفنون في عصرنا الحالي.

فاللاعب الذكي عدا عن مهارته وموهبته يستعمل عقله لتحريك الكرة بقدمه ليبهر المشاهد ويمتعه وهذه قمة الفن والإبداع، لذا فكرة القدم هي المجال الوحيد الذي يرضي جميع الأذواق، ويتابع أخبارها الكبار والصغار بشغف، حتى السياسة رغم أهميتها لا يمكنها مجاراة أو منافسة كرة القدم في هذا العصر، والناس في سخطهم على الأخبار السياسية التي لا تتغير إلا إلى الأسوأ صاروا يتابعونها صدفة أو من باب العلم

بالشيء ليس إلا!

والسياسي المحترف مهما اجتهد وعمل من أجل تحقيق آمال من صوتوا له، فوعوده لهم غالباً ما يطالها النسيان أو تبقى قائمة مع إيقاف التنفيذ.

وعندما يصل إلى المنصب لا يحقق شهرة وثروة لاعب كرة القدم المحترف. ففي فرنسا مثلاً يتجاوز راتب اللاعب الفرنسي زين الدين زيدان السنوي 5,6 ملايين يورو، ويصل راتب مواطنه تيري هنري السنوي إلى 10 ملايين يورو، بينما لا يتعدى راتب رئيس وزراء فرنسا 216 ألف يورو سنوياً.

ولا يختلف الوضع في ألمانيا حيث يحصل المهاجم الألماني وأغلى لاعب في العالم حالياً مايكل بالاك على 5. 12 مليون يورو سنوياً في حين يحصل المستشار الألماني على 240 ألف يورو سنوياً، وفي اسبانيا يتسلم كابتن ريال مدريد والمنتخب الإسباني راؤول جنزاليس سنوياً 5. 6 ملايين يورو.

بينما لا يتعدى راتب رئيس وزراء إسبانيا السنوي 85 ألف يورو، وفي إيطاليا يحصل فرنشيسكو توتي سنوياً على 10 ملايين يورو وراتب رئيس وزراء إيطاليا السنوي 144 ألف يورو فقط، وفي بريطانيا يحصل نجم المنتخب الإنجليزي ديفيد بيكهام على 5. 6 ملايين يورو سنوياً في حين يصل راتب رئيس وزراء بريطانيا السنوي إلى 320 ألف جنيه.

هذا بالنسبة للاعبين الأوروبيين الذين انتشرت واشتهرت هذه اللعبة في بلادهم، لكن وضع اللاعبين في إفريقيا مثلاً لا يختلف كثيراً عنهم رغم اختلاف الأوضاع الاقتصادية والسياسية، فاللاعب الكاميروني ايتو

المحترف في نادي برشلونة الاسباني يحصل سنوياً على 8. 2 مليون يورو. ويعتبر أغلى لاعب في إفريقيا في حين يصل راتب اللاعب الغاني مايكل آسيان المحترف في نادي تشلسي الإنجليزي إلى 5. 2 مليون يورو سنوياً حيث انتقل إليه من نادي ليون الفرنسي مقابل 48 مليون يورو وهذا المبلغ يعادل ميزانية بعض الدول الإفريقية أو قد يقضي على مشاكل المجاعة فيها.

ويتراوح دخل باقي اللاعبين المحترفين في أندية الدرجة الأولى الأوروبية بين 250 ألفا و220 ألف يورو سنوياً، لكنهم ليسوا أقل شأنا من رئيس الولايات المتحدة الأميركية الذي لا يتعدى راتبه السنوي 300 ألف دولار ولو عاد به الزمن إلى الوراء لكان اختار احتراف كرة القدم بدل السياسة.

وربما قد فلح فيها! وجنب العالم شر قرارات سياسية زادت الناقمين عليه اليوم، وقد تضاعف الساخطين عليه بعد تركه، بينما هذا ليس حال محترفي كرة القدم الذين يزيد حب الجماهير لهم بعد اعتزالهم.

فمارادونا مثلاً رغم أخطائه ومن أشهرها الهدف الذي سجله بيده في مرمى إنجلترا في نهائيات كأس العالم عام 1986، إلا أن عشاقه زادوا بعد اعتزاله اللعب وغفروا له أخطاءه وما زالوا يتابعون أخباره ويتعاطفون مع أحزانه، ولا يذكرون سوى أنه اللاعب الموهوب، واللاعب الأسطورة.

تلك هي المفارقات العجيبة التي خلقتها هذه اللعبة المجنونة، والأرقام المذكورة تؤكد أن كرة القدم تحولت من مجرد اللعبة، إلى نشاط اقتصادي مؤثر وتجارة مربحة في أوروبا بشكل خاص، ولا نستبعد أن تطرح أسهمها للتداول في السوق العالمية قريباً.

لكن هذه الشهرة والشعبية لم تتحقق بين ليلة وضحاها، بل إن عمر هذه اللعبة بشكلها الحالي يعود إلى 300 سنة، وتم تنظيمها وممارستها في أندية أوروبية قبل ذلك.

ويعتبر نادي شيفلد الإنجليزي أقدم ناد في العالم حيث تأسس عام 1857، ولم تمارس بهذا الشكل في الدول العربية والإفريقية والآسيوية إلا قبل حوالي 60 سنة. وتعتبر مصر من أقدم الدول العربية التي بدأت بممارستها.

أما الاتحاد الدولي لكرة القدم فقد تأسس عام 1904 باتفاق بين سبع دول أوروبية، في حين تم إنشاء الاتحاد الآسيوي عام 1954، لذا فمن حق الأوروبيين أن يتفاخروا اليوم بعد أن أصبح الاتحاد يضم تحت لوائه 204 أعضاء، وما زالت الدول الأوروبية هي المنافس الأكبر في النهائيات كل دورة، وقد عملت دول أميركا اللاتينية جاهدة لتصل إلى المستوى الذي وصلت إليه.

ومن قال إن العرب لم يحققوا شيئاً إلى الآن وغير متواجدين في المونديال؟! فهم مشاركون أساسيون ولا يمكن للفرق المنافسة التحرك دونهم! فلقد اختارت الشركة المكلفة بصنع كرات القدم الخاصة بنهائيات كأس العالم، الصناع المغاربة لتركيب هذه الكرات في إحدى فروعها في مدينة فاس المغربية.

ولنا أن نفخر نحن العرب بوصولها إلى هذه المرحلة، بالتواجد بشكل أوبآخر داخل المستطيل الأخضر بعد أكثر من 70 سنة من عمر نهائيات كأس العالم، فإذا استمررنا بهذه الإستراتيجية لنا أن نحلم بالمنافسة باللعب داخل المستطيل بعد قرن! .

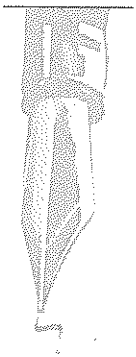

أوراق ملونة

متى تتحرر عقولنا لنواكب عصر العولمة؟

قال لي صديق أعتز برأيه.. معلقاً على ما أكتبه أحياناً في جريدة «البيان»، إن الفرق بين الكاتب العربي والكاتب الغربي هو أن الأول ينتقد فقط، بينما الثاني ينتقد ويقترح، وتابع أنا أقرأ لك وألاحظ أن كتاباتك غالباً ما تكون نقدية دون أن تطرح بدائل أو حتى وجهة نظرك، لكني لا ألومك فهذه حالة الكُتاب العرب بشكل عام.

وبما أن رأيه يشمل الكتاب العرب فإني قلت له كما أقول دائماً، فأنا لست كاتباً ولا محللاً، إنما مواطن عربي يعبر عما يجيش في صدره، ويتفاعل مع الواقع الذي يعيشه، ومع حالة التمزق والانشقاق والخلافات المستمرة في وطننا العربي، والتي فرضت عليه منذ زمن ولا بوادر تدل على قرب نهايتها.

كما أعبر نيابة عن مجموعة من المواطنين العرب الذين يتأثرون مثلي بما يجري حولهم، وهذا ما تقوله الرسائل التي تصلني عبر البريد الالكتروني. وغالباً ما أطرح وجهة نظري في أغلب المواضيع التي أكتبها. مع ذلك ارتأيت أن طرح صديقي لهذا الموضوع يستوجب الكتابة، لأن واقع الكاتب العربي مختلف تماماً عن نظيره الغربي، وبالذات الأميركي، فالعرب يشكلون دولاً، وليسوا دولة واحدة كأميركا، وكل دولة لها وضعها وسياستها وقوانينها، وإن كانت في مجملها متشابهة.

والكاتب العربي عامة رغم أنه يطرح رأيه بحرية وحيادية، لكنه يعرف أن عليه ألا يتجاوز الخطوط الحمراء التي تفرضها حكومته، وإن حصل وطفح كيله منها فقد لا يجد نفسه معاقباً أو محروماً من حقوقه فحسب،

وإنما مجرداً حتى من أصغر مقتنياته وأقواها وهو قلمه، إذ قد يمنع من الكتابة أو يسجن بسببها، عكس الكاتب الأميركي الذي تكفل له حكومته ممارسة حريته بكل أشكالها دون حواجز أو ضغوط، بل وإن لزم الأمر قد تدافع عنه أو تحارب من أجله حتى وإن كان ضد سياستها، لذلك من الطبيعي أن يمتلك الكاتب الأميركي حرية النقد والاقتراح لأنه يمارسها بإيصال صوته بقوة إلى جميع فئات المجتمع.

لذا من الظلم مقارنة إعلاميي الغرب بزملائهم العرب الذين كما يعرف الجميع واجهوا ويواجهون بشكل متواصل التضييق والتهديد وحتى الإيذاء من هذا الطرف أو ذاك، عندما يتعرضون في كتاباتهم لموضوع أو قضية فوق المساءلة أو حتى النقد كما هي الحال دائماً، حتى لو فعلوا ذلك شكلياً دون الدخول في التفاصيل أو إبداء رأيهم، لأن عقلية معظم أصحاب السلطة العرب لا تقبل برأي مخالف لرأيها، لأنهم وحدهم مخولون ومؤهلون لمعرفة مصلحة الوطن، وهم دائماً على حق ومن يخالفهم أو ينتقدهم على باطل، ويسعى لنشر البلبلة أمام الرأي العام، ويكره مصلحة المجتمع، ويهدد استقرار أمن الوطن، لذا أبسط ما يقومون به هو إصدار قرارات بتوقيفهم، والزج بهم في المعتقلات والسجون، لكتم أصواتهم وكسر أقلامهم، ليكونوا عبرة لزملائهم فيتعظوا أو يكفوا عن توريط أنفسهم بكتابة الحقائق وتوعية المجتمع.

فهل تصادف وسمعنا أو رأينا كاتباً أو صاحب رأي يحاكم أو يسجن في الدول الغربية بسبب كتاباته أو آرائه؟ مع الأسف هذا هو التعامل الأمثل والسائد في معظم الدول العربية، وهو يعكس الصورة القاتمة للحريات الإعلامية فيها، والتضييق والانتهاكات التي يتعرض لها صاحب

الرأي إذا مارس حرية إبداء رأيه، عكس أميركا والدول الغربية التي تحترم الرأي الآخر، والكاتب الصحافي عندها صاحب رسالة وهدف، مثله مثل أي مسؤول، لذا يسمح له بالعمل بحرية دون قيد أو شرط، لأن لا أحد فوق المساءلة أو الخطأ عندهم عكس المسؤولين العرب الذين ماداموا على كراسيهم فهم معصومون من الخطأ!!

ففي الدول الغربية يدرك المسؤولون والساسة أن الدور الإعلامي مهم وضروري، بل إنهم قبل حملاتهم الانتخابية يدرسون كيفية التعامل مع الإعلام الذي بإمكانه أن يرفعهم أو يسقطهم، لذا فهم غالباً ما يلتزمون بما وعدوا به بعد وصولهم إلى كراسي الحكم، لأنهم يعرفون تماماً أنهم في المنصب لفترة محددة، ليخدموا مصلحة الوطن والشعب الذي اختارهم، ولابد من تركه في يوم ما، فحسناتهم وسيئاتهم محسوبة عليهم بكل دقة عبر التاريخ، وتحت مجهر الإعلام الذي يراقب خطواتهم إلى أن يعودوا مواطنين عاديين بين الملايين.

إذن فالفرق شاسع بين من يحكم بهذا المنطق ويتعامل بهذا الأسلوب، وبين من يعتقد أنه أعرف العارفين وأنه باق إلى ما لا نهاية!! هذا هو الواقع يا صديقي، فالكتاب العرب رغما عنهم عندما يكتبون في موضوع ما، يراعون كل الظروف المحيطة بهم، وهم يكتبون وعيونهم تراقب أقلامهم قبل الآخرين، حتى وإن استطاع بعضهم القفز فوق الحواجز والعقبات، فإنه لا يستطيع كتابة كل شيء بحرية تامة داخل وطنه، وإلا أصبح من المغضوب عليهم.

في ظل هذا الوضع كيف تعتقد أنهم يستطيعون أن يكونوا كزملائهم في أميركا والدول الغربية؟

فقبل أن نطالبهم بذلك، علينا أن نغير مفاهيمنا وعقلياتنا، التي تسيطر عليها نظرية «أن من جاملنا فهو معنا، ومن انتقدنا أو أبدى رأيه فينا بما لا يعجبنا فهو ضدنا» فأغلبية الدول العربية مازالت تعيش بهذه العقلية، عقلية العصور الوسطى، عقلية المحكوم والحاكم الذي لا يخطئ، ولا بديل له.

والذي شعاره الدائم «إما أن تكونوا معي بكل أخطائي وإلا فأنتم لستم ضدي فقط، إنما ضد الدولة والشعب»!! لا كمن يعيش في القرن الواحد والعشرين، قرن العولمة والتكنولوجيا المتطورة، قرن الفضائيات المنتشرة التي ترصد كل كبيرة وصغيرة، وتتكفل بنشر أخطائنا وعيوبنا عبر الأقمار، قرن الحوار وتقبل الرأي الآخر، فمتى تتحرر عقولنا لنقبل به؟؟!!

محاربة الفساد بين الدول المتقدمة والنامية

قبل أيام أهداني صديق أميركي من أصل عربي كتاباً يلقي الضوء على ظاهرة تفشي الفساد المالي والإداري في مختلف الدول في العصر الحالي.

في مقدمة الكتاب يقول الكاتب: إن الفساد المالي والإداري بدأ وانتشر في المجتمعات عبر التاريخ والموضوع لا علاقة له بدين أو مذهب، ولا بزمن محدد أو قوم ما، بل انه وجد وتطور مع التطور البشري منذ الأزل، واستمر مع ظهور الحكومات والمؤسسات ويتجدد بتجديدها، ولم تعرقله القوانين والأنظمة التي كانت تسن لمحاربته، فأينما وجدت مجموعة من البشر وجد الخير والشر معاً، ومن ضمنها الفساد بشتى أنواعه وأشكاله.

ومع تطور الأنظمة والقوانين في المجتمعات المدنية وظهور الرقابة الشعبية، وإنشاء الرقابة المالية والإدارية، تغيرت الأوضاع إلى حد ما في بعض الدول، وظهرت المنظمات الدولية ومارست دورها في الرقابة على المؤسسات الحكومية، وكذلك المؤسسات العامة، وفي ظل الوسائل الحديثة والتكنولوجيا المتطورة، أصبح بإمكان الجميع الاطلاع على التقارير التي تجتهد هذه المنظمات على العمل عليها وإصدارها سنوياً بكل شفافية.

كما يتضمن الكتاب احصائيات وبيانات صادرة عن بعض المنظمات والتي تبين أكثر القارات والدول فساداً في هذا القرن، وتأتي إفريقيا في

المقدمة ثم دول الشرق الأوسط، وبعدهم أميركا الجنوبية وبعض الدول في آسيا، ويرجح الكاتب أن يكون السبب الرئيسي في انتشار الفساد في بعض الدول هو الأنظمة الاستبدادية المستهترة، والتصرفات الفردية في الأموال العامة دون رقيب أو حسيب، والتي غالباً ما تأتي عن طريق صفقات الأسلحة.

حيث المبالغ الكبيرة ولا قوانين تحترم، أما فيما يتعلق بالمؤسسات العامة، ففي رأي الكاتب أن سبب تفشي الفساد فيها مرده أن رئيس المؤسسة يتجاوز صلاحياته، بتعيين أقربائه في مراكز حساسة ومهمة لتغطية تصرفاته الشخصية الخاطئة، ومن ثم يستغل مثل هؤلاء مواقعهم ويحذون حذوه للتلاعب كما يريدون، هذا بعض ما ورد في هذا الكتاب.

وفي رأيي أن دول أوروبا وأميركا الشمالية ليست بعيدة عن هذا الموضوع، لكن الرقابة الشعبية التي تنفذ على الجميع، ووجود أحزاب ذات توجهات مختلفة على رأسها برلمانات قوية وقوانين صارمة وملزمة للجميع، دون أن يكون هناك من هو فوق المساءلة، إلى جانب وعي الشعوب، وفهمها لدورها واهتمامها وحرصها على معرفة ما يجري في بلدها يقلل من انتشار هذه الظاهرة.

والأهم من ذلك الإعلان عنها إن وجدت عن طريق الصحافة الحرة التي تمارس دورها الفعلي كسلطة رابعة، تتابع وتكشف كل مخالف، وتلاحقه بجرأة وموضوعية دون خوف، وكلما زادت مثل هذه الرقابة، قل الفساد أو حورب من جذوره، أو على الأقل قبل أن يستفحل.

كما حدث مؤخراً مع عمدة مدينة فيلادلفيا في الولايات المتحدة

الأميركية، مع ان ما قام به العمدة لا يستحق تلك الضجة الإعلامية التي شنت ضده. إذا حكمنا على ما قام به بمنطق ما يجري في دول العالم الثالث!

لم يكن للصحف الصادرة في فيلادلفيا بتاريخ 2007/6/29 إلا موضوع عمدة المدينة. فالعمدة لم يرتكب مخالفة أو استعمل صلاحيته لعدم دفع الغرامة، إنما ذهب ووقف في الطابور حاله حال جميع المواطنين ليشتري جهاز هاتف نزل في السوق حديثاً، فهو لم يستغل مركزه بإرسال مدير مكتبه أو أحد الموظفين العاملين تحت سلطته، أو استغل نفوذه واتصل بالمتجر ليرسلوا إليه ما يريد دون الحاجة إلى الوقوف في طابور. مع ذلك لم ترحمه الصحافة وجعلت من رغبته في اقتناء أحدث جهاز تلفون وتصرفه كعامة الناس قضية لماذا؟

لأنه أضاع وقته خلال فترة عمله بالوقوف في الطابور لساعات، في الوقت الذي كان عليه أن يكون في مكتبه لقضاء مصالح المواطنين وإنهاء معاملاتهم، وليس لقضاء مصالحه الشخصية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رقابة المجتمعات المتقدمة على المسؤولين وأصحاب المراكز الرسمية، حتى وإن كانوا يعتقدون من وجهة نظرهم ان ما يقومون به لا يتعارض مع المصالح العامة، لكن إذا حصل ذلك خلال أوقات العمل الرسمية، عليهم ألا ينسوا أنهم تحت مجهر الرقابة التي تعد عليهم كل صغيرة وكبيرة وتراقب كل خطواتهم، ولا تلتمس لهم العذر أبداً.

هكذا تجتهد وتحاول المجتمعات المتقدمة والواعية بفرض الرقابة على تصرفات كل مسؤول قائم على أمورها ومصالحها لذا تعمل على

محاربة الفساد المالي والإداري ومكافحته بشتى الطرق، ولا تتنازل عن محاسبة أي أحد دون استثناء.

أما في الدول النامية فالفساد المالي والإداري مستمر في الانتشار، بل يزداد عاماً بعد عام حسب ما تنشره وسائل الإعلام العالمية والمنظمات المختصة.

فإلى متى يستمر هذا الفساد وهل يمكن القضاء عليه أو الحد منه؟

لا أعتقد أنه بالإمكان ذلك على الأقل في المستقبل القريب. ما دامت هناك شعوب غير قادرة على المواجهة والمحاسبة، وراضية بالعيش تحت رحمة من يعمل من أجل مصلحته، دون رقيب أو حسيب، ويتبجح بالظهور في وسائل الإعلام بمناسبة ودون مناسبة للتباهي بالشفافية ولبس ثوب النزاهة غير مكترث بمآسي الشعوب ويعرقل تقدمها.

لكن من يدري فلا سخط دائم ولا رضا دائم.

مشاكلنا وإعلامنا

خلال الأسابيع الماضية، دار حوار بيني وبين شخصين في مكانين مختلفين وحول قضية واحدة، قال لي أحد الأصدقاء وهو يناقشني حول ما أكتبه أحياناً في «البيان»: ألاحظ أمراً غريباً في أغلب وسائل الإعلام الخليجية بما فيها الإماراتية.

وهو التركيز على مشاكل الدول العربية وإبراز سلبياتها التي لا تنتهي، أتعتقد أنه ليس لدينا مشاكل سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية تستحق المناقشة أو الكتابة عنها؟ أم أن دول مجلس التعاون هي الجزء الوحيد في الوطن العربي الممتد من المحيط إلى الخليج التي تعيش في رفاهية واطمئنان وتمتلك الحصانة ضد أية مشاكل؟

إن الصحف ووسائل الإعلام في الدول المتحضرة وجدت لكي يبدي أصحاب الفكر والرأي والمتخصصون آراءهم وليطرحوا وجهات نظرهم ويقترحوا حلولا مناسبة للمشاكل الداخلية في بلدانهم.

أما عندنا فالأغلبية مختصة في انتقاد الغير وتتسابق في نقل الأخبار العاجلة عن الغير، فلنأخذ قناة الجزيرة مثلاً مع أنها في رأيي من أكثر القنوات الفضائية حرية وإبداعاً إلا أنها منذ إنشائها وحتى الآن وفي المستقبل لم ولن تقدم سوى قضايا وآراء حول المشاكل والمعاناة في الدول العربية، أليست هناك قضايا ومشاكل خليجية تستحق المناقشة أو الطرح للمعالجة؟

ومع الأسف قلدتها جميع القنوات الفضائية الخليجية الحكومية

والخاصة، فكل واحدة منها تدعي أنها تقدم برامج نوعية يتنافس فيها أشهر المقدمين في الوطن العربي لمناقشة قضايا عربية مع نخبة من الخبراء وغالباً ما تنتهي دون جدوى أو فائدة، ولم أذكر أنه يوماً تمت مناقشة قضايا خليجية بحيادية وشفافية وأعطيك مثالاً آخر الصحف الصادرة في دولة الإمارات. والتي أطلع عليها كأي مواطن يومياً، تتضمن حوالي 140 مقالاً أسبوعيا، لكن ألاحظ أن ما يطرح من القضايا المحلية لا يتعدى 1٪ وجزءا منها مدح أو ثناء فلا مشاكل ولا متاعب تواجه المواطن ولا أخطاء ترتكب، أليس هناك على الأقل ما يسمى بمستقبل المواطن الخليجي والأجيال القادمة يستحق التطرق إليه؟

مع أنني واقعي وأعرف أنه ليست هناك وسيلة إعلامية واحدة في العالم العربي قادرة على طرح سلبيات ومشاكل مجتمعاتها أو حكوماتها بحرية وشفافية، وإن وجدت فتعتبر شاذة وتواجه ما لا يحمد عقباه.

تساؤلات كثيرة طرحها وتركني دون أن ينتظر مني الجواب، وكأنه يعلم أن لا جواب لي عليها.

في موضوع آخر كنت حاضراً خلال مناقشة دارت بين صديقين أحدهما خليجي والآخر مصري، وكان الصديق الخليجي يتحدث عن مصر والمشاكل التي تواجهها في مجالات عديدة، والتي تخص المواطن المصري وتحد من عطائه فكان رد الصديق المصري نعم، مصر تواجه أزمات كبيرة ومتعددة في مجال النمو السكاني، ومشاكل البطالة، وغلاء المعيشة، والتلوث البيئي، والازدحام المروري والفقر، والفساد المالي والإداري، وأزمات سياسية مستمرة، وفوق كل هذا الأزمة الدائمة والأبدية مع العدو المتربص بمصر والعرب، إسرائيل التي قد تشن الحرب

علينا في أي وقت وبذلك قد تواجه مصر ما هو أسوأ من كل مشاكلها الحالية والتي هي بكل تأكيد ليست سهلة، مع ذلك فحلها ليس مستحيلاً، لكنها في رأيي لا تساوي شيئاً أمام ما سوف تواجهه دول الخليج، فمما لاشك فيه أنكم تعيشون حالة اجتماعية واقتصادية ممتازة، والطفرة التنموية سببها استغلال الثروات، خاصة البترول الذي تعتمد عليه هذه الدول وجعلها تتمتع بإمكانيات الدول المتقدمة خاصة في مجال البنية التحتية والنظام الصحي والتعليمي.

والجيل الحالي في هذه الدول يعيش في نعيم يحسده عليه الكثيرون حتى مواطنو الدول الغربية، لكن إلى متى سوف يستمر هذا الرخاء والاطمئنان للحياة الكريمة مع ازدياد عدد الأجانب الذي سوف يفوق عدد أصحاب الأرض المواطنين الذين سيصبحون أقلية في أوطانهم، إنكم بذلك سوف تواجهون أزمة الأزمات .

وهي أزمة الهوية واللغة معاً، بعكس مصر التي مهما واجهتها من مشاكل تظل هويتها ولغتها العربية لا خوف عليهما، أما أنتم بهذا الشكل سوف تواجهون المجهول، وهذا الأمر قد لا يطول ويمكن أن يحدث خلال سنوات قادمة ومع هذا الجيل الذي يعيش في ترف ورغد، فهل تدركون ذلك أم أنستكم الحياة المريحة مستقبلكم ومستقبل الأجيال القادمة؟

نحن والآخر.. التقصير الذاتي أولاً!

قبل أيام قرأت كتاب «العرب وجهة نظر يابانية» للكاتب «نوبواكي نوتوهارا وهو أستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة طوكيو. وقد كتبه باللغة العربية ليقول للقارئ العربي رأيه في بعض قضاياه كما يراها في الخارج، اذكر في هذا المقال بعضاً منها وأتمنى من القراء العرب قراءة الكتاب، على الأقل لنعرف ما يكتب عنا، وكيف ينظر إلينا في الخارج علّنا نتعلم ونستفيد!!

في البداية يقول الكاتب انه زار عدداً من الدول العربية والتقى بمجموعة من الأدباء والكتاب العرب، وله صداقات في كل من مصر وفلسطين ولبنان وسوريا والمغرب العربي، وزار أيضاً الريف المصري وتعرف على الفلاحين هناك، كما زار بادية الشام وتعرف على العادات والتقاليد البدوية.

ويعبر في هذا الكتاب عن رأيه ويبدي وجهة نظره تجاه العرب وقضاياهم بعد أن قضى أربعين عاماً في السفر إلى بعض الدول العربية وأريافها وبواديها من أجل العلم والمعرفة.

ويقول ان أهم ما اكتشفه في معظم الدول التي زارها هو غياب العدالة الاجتماعية، وهذا يعني في رأيه غياب الحرية والحقوق الاجتماعية ويستغرب من استعمال كلمة الديمقراطية كثيراً في المجتمعات العربية مع أن الواقع لا يسمح باستعمالها لأن ما يجري هو عكسها، ويقارن في الكتاب انطباعاته عن المجتمع العربي بالمجتمع الياباني.

ويذكر في جزء آخر أن الحرية هي باب الإنتاج والتواصل والحياة الكريمة، بدل القمع الداء العضال المقيم في الوطن العربي، والذي إن لم يتم التخلص منه ستفقد حياتنا كبشر الكثير من معانيها.

ويكتب على لسان أحد الكتاب العرب المعروفين أن الفرق بين المواطن الياباني والمواطن العربي، هو أن الأول يشعر بالمسؤولية تجاه وطنه لأن له دوراً في كل شيء في السراء والضراء، والثاني فلا مبالاته نتيجة القمع الذي يعيشه وعدم مشاركته الفعلية في شؤون دولته التي تفرض عليه في الضراء فقط.

ويقارن بين أسلوب الحكم في الدول العربية وفي اليابان، ويقول إن اليابانيين إذا لم يعجبهم وضع ما، فإنهم يتظاهرون ويعبرون عن رأيهم أمام مقر الحكومة بمكبرات الصوت وينادون بشعارات ضد القرار الحكومي الذي لم يرضوا عنه، ولو بعدد قليل. أما في بعض الدول العربية فحتى المرور أمام مقر الحكومة صعب، ويخاف المواطن العربي حتى من استعمال بعض الكلمات، وإن ذكرت أمامه يهرب!!

فالمواطن في الدول العربية تقاس كرامته بمقدار ولائه وطاعته للحاكم والحكومة، فالحاكم في الدول العربية يحكم مدى الحياة مهما كان نوع الحكم في تلك الدولة، وفي الدول العربية لا توجد الرقابة التي تحقق العدالة الاجتماعية، ويتساءل لماذا لا يستفيد العرب من تجاربهم وكم يحتاجون من الوقت لتصحيح أخطائهم؟

ويقول إن اليابانيين جميعهم سواسية أمام القانون، سواء الوزير أو المواطن العادي، ويذكر مثالاً على ذلك أن أقوى وأحب الشخصيات التي شغلت منصب رئيس مجلس الوزراء هو السيد «ناتاكا»، مع ذلك عندما

اكتشفت الصحافة مسؤوليته في فضيحة، حوكم كأي مواطن عادي وذهب إلى السجن بالقبقاب الياباني!!

وفي جزء آخر من الكتاب يقول إن أحد أصدقائه في دولة عربية دعاه إلى منزله، وعند وصوله إلى الحي الذي يسكنه وجده مليئاً بالقاذورات والنفايات المختلفة على الأرض والشارع، وكذلك مدخل البناية والدرج كان قذراً، لكنه اندهش عندما دخل شقته فوجدها نظيفة ومرتبة وأنيقة، ولم يصدق ما رآه. ومن هنا فهم أن كل ما هو ملكية عامة في الدول العربية يعامله الناس كأنه عدو.

فالمواطن العربي لا يشعر بالمسؤولية تجاه الممتلكات الحكومية لأنه لا يعتبرها ملكاً له، وفي لا وعيه ينتقم سلبياً من السلطة، فيدمر بانتقامه وطنه ومجتمعه بدلاً من أن يدمر السلطة.

وذكر مثالاً آخر عما يحدث في بعض مطارات الدول العربية وكيف يعامل مسؤولو الأمن المسافرين بشكل فظيع، وبعجرفة وتعالٍ، ويقول إن المواطن العربي يخاف أكثر مما يخاف من رجال الأمن، مع ان هؤلاء وجدوا لحمايته، لكن ما يحدث هناك يختلف عن الواقع، فالمواطن العربي يعتبر رجال الأمن أناساً فوق العادة يستطيعون التصرف في أي شيء وفي أي وقت، ويبادرهم بالاحترام الكاذب والنفاق المبالغ فيه، ويرجع السبب إلى الخوف والقمع وتمتع رجال الأمن بامتيازات اجتماعية لا يستطيع المواطن العادي أن يحلم بها.

ففي اليابان لا يمكنك أن تراقب شخصاً أو حتى هاتفه من دون إذن من المحكمة، أما في الدول العربية فتتم مراقبة الأفراد والبيوت والهواتف وحتى الهواء، بلا إذن محكمة ولا قانون.

وفي جزء آخر يقول إن العالم العربي كغيره من دول العالم ينقسم إلى دول غنية وأخرى فقيرة، مع ذلك لا عون ولا مساعدات من تلك إلى هؤلاء، وعلى سبيل المثال مساعدة اللاجئين الفلسطينيين منذ نكبة 48 وحتى الآن إن لم تقل فإنها لم تزد في أي حال من الأحوال.

ويضيف أن اليابانيين عرفوا عن القضية الفلسطينية عن طريق الإعلام والكتاب الغربيين، وأغلبها لم تكن صحيحة أو محايدة، وكذلك الإسلام عرفوا عنه عن طريق الدراسات التي كُتبت في الغرب، لكن المفكر الياباني إزوتسو توسهيكو قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية للاستفادة منه، ويرجع له الفضل في تعريف اليابانيين بالإسلام والمسلمين بشكل أفضل.

كما لعب الأستاذ والباحث إتاغاكي يوزوق دوراً مهماً في كشف التشويه الذي يتم دائماً للقضية الفلسطينية عبر الإعلام الغربي، مع ان إسرائيل تجتذب بعض الشباب للدراسة في جامعاتها لاستغلال نتائج دراستهم، لكن النتائج تأتي غالباً عكسية حيث درس صحافي ياباني معروف في إسرائيل وعاد مؤيداً للقضية الفلسطينية، لأنه رأى بنفسه التناقض بين ما تقوله وسائل الإعلام الإسرائيلية وبين الواقع.

وفي رأيي هذا يؤكد مدى تقصير العرب عبر سنوات مضت، خاصة المؤسسات الحكومية بالرغم من الإمكانيات المادية المتوافرة لديها وعدم الاجتهاد والعمل على ترجمة الكتب الثقافية الإسلامية والعربية التي تساعد على نقل صورتنا للآخرين بشكل أفضل، بدلاً من أن يأخذوا من الغرب الصورة المشوهة التي يراها عنا، خاصة في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

حيث نضيع وقتنا وجهدنا بلوم الحكومات الغربية وشعوبها على موقفها من القضية ودعمها للموقف الإسرائيلي الذي استطاع أن يدخل عقول كل الشعوب بإيصاله صوته عبر وسائل الإعلام وخدع العالم وأقنعه بأنه هو صاحب الحق ونحن على باطل، والسبب ضعفنا واتكالنا على الآخرين لإيصال قضايانا إلى العالم، سواء كانت سياسية أو دينية.

خرجت من قراءتي لهذا الكتاب الشيق ونقد الكاتب البناء والواقعي للمجتمع العربي، بأن نظرة العالم إلينا لم ولن تتغير، ففي ما مضى كنا ننفعل تجاهها ونرد بالكلام ثم أصبحنا نتجاهلها ولا نرد لا بالكلام ولا بالفعل، وقد نصبح عديمي الإحساس ميؤوسا منا تجاهها!

مؤخراً أهداني الصديق الأستاذ إبراهيم بوملحة مجموعة من الكتب والدراسات الصادرة عن الجائزة الدولية للقرآن الكريم ومنها دراستان تحت عنوان: 1. سنريهم آياتنا في الآفاق .

2. ظواهر كونية بين العلم والإيمان أتمنى من مؤسسة الجائزة بالتعاون مع مؤسسات أخرى داخل الدولة ترجمتها إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية على الأقل، لكي يستفيد المسلمون الناطقون بهاتين اللغتين والمثقفون من ديانات أخرى منهما، ولنبين معجزة القرآن الكريم وقوة هذا الدين العظيم.

تلفزيونات الماضي وفضائيات الحاضر

في عصرنا الحالي أصبحت الفضائيات الوسيلة الأكثر سرعة والأكثر انتشاراً وأصبح للكلمة العربية صوت مسموع من خلال فضائياتنا العربية، حتى وإن كان هذا الصوت مازال مقيداً في عالم لا يعترف إلا بالأقوال التي أصبحت أكثر من الأفعال، لكن على الأقل أصبح للمشاهد العربي حرية الاختيار ما بين برامج وحوارات هادفة وجادة تفرض نفسها عليه، وبرامج سطحية وتافهة تُفرض عليه.

قبل أسابيع تابعت في إحدى الفضائيات العربية برنامجاً عن الإعلام العربي في فترة الستينات، ودوره في التضليل والخداع الذي كان يمارس حينها في العالم العربي، وركز مقدم البرنامج على دور التلفزيون بصفة خاصة والذي كما قال كان مقتصراً على المدح والثناء للحكام والنظام.

وكأن مقدم البرنامج يريد إقناع المشاهدين بأن الوضع قد تغير وأن فضائياتنا العربية وما أكثرها أصبحت بعيدة كل البعد عن التضليل والنفاق، وإن كنت لا أريد أن أختلف معه حول ما كان يحصل في تلك الفترة، لكن مع الأسف في عصرنا الحالي فإن عشرات الفضائيات العربية، اقتصرت رسالتها على الرقص والغناء والابتذال وتبادل الرسائل البذيئة.

وبدل أن توظف التكنولوجيا المتطورة لتنمية عقول المشاهدين والارتقاء بهم، وظفتها لتضليلهم أكثر مما مضى، فإذا كان للتلفزيونات العربية سلبيات في الماضي رغم قلة عددها فهي في الحاضر أسوأ حالاً

رغم كثرة عددها، حيث أصبحت سلبياتها تبث فضائياً للعالم أجمع.

وإذا كان دورها هو ذكر محاسن حكوماتها والثناء عليها فحالياً هي أكثر مدحاً ونفاقاً لكن بأسلوب أكثر ذكاءً لإلهاء المشاهدين عن المشاكل الداخلية، ففيما مضى كانت إمكانيات الانتشار محدودة وكل تلفزيون يجتهد في المدح داخل حدود وطنه، «ولا من شاف ولا من دري»، أما الآن فبفضل التكنولوجيا المتطورة أصبح باستطاعة الفضائيات الدخول إلى كل بيت دون استئذان بل إلى كل قرية حتى وإن كان أغلب سكانها أميين يحتاجون أكثر إلى برامج تعليمية تنور عقولهم، وتحفزهم على الارتقاء بمستواهم، وتجعلهم يشعرون بإنسانيتهم ومعرفة حقوقهم، لكنهم ليسوا أسوأ من تستهدفه بعض الفضائيات، فهناك أنواع مختلفة حسب متطلبات الأوضاع.

وهناك فضائيات استهدافها أعمق، فهي إما تتبنى قضايا وسياسات لصالح دول كبرى تحاول من خلالها تضليل الرأي العام العربي بأمييه ومثقفيه لصالح تلك الدول، وإما تجد في مشاكل دولة عربية أخرى مادة دسمة فتأتي بضيوف أكثرهم ممن يعيشون خارج أوطانهم لمناقشتها، وكأنه لا توجد في الدول التي تمول مثل هذه الفضائيات مشاكل تستحق الطرح والمناقشة.

فما الذي تغير يا ترى؟ فإذا كانت التلفزيونات في الماضي تطبل لسياسات أنظمتها فعلى الأقل لم تقصر في بث روح الإرادة والعزيمة في نفوس جيل ذلك الزمن، وبقيت هذه الروح الوطنية العروبية ترافقهم حتى عصرنا هذا.

ان مقدم البرنامج نسي أو تناسى ان يذكر ان أغلب الفضائيات العربية

لا تقدم إلا الرخيص وتجتهد في تقليد بعضها، كما تتباهى بتقليد البرامج الأوروبية والأميركية وكأنها معيار للجودة، وهذا عكس ما يحصل في الدول الغربية التي لا تتهاون في طرح قضايا تخدم مواطنيها وتناقش مشاكلهم حتى وان كانت بسيطة وتنتقد حكوماتها حتى وان جاءت باختيار شعبي.

فقناة الـ BBC مثلاً ممولة من الحكومة إلا أنها أكثر انتقاداً لسياسة حكومتها وليست مزماراً للتطبيل لها والدفاع عنها، وفي حال تقديمها برنامجا عن دول أخرى فإنها تكون أكثر حيادية وموضوعية، وهذه هي رسالة الإعلام بشكل عام.

ولاشك ان هناك برامج في بعض الفضائيات العربية تطرح أفكاراً ورؤى لرفع مستوى فكر المواطن العربي، لكنها قليلة جداً، ومع ذلك فقد اجتهد مقدموها وتميزوا ونجحوا وسط زحمة فضائيات لا تقدم شيئاً يفيد المواطن العربي أو يخدم قضاياه اللهم إلا بث روح الهزيمة والتشاؤم في نفسه، لأنها ان فعلت غير ذلك تكون قد خرجت عن طاعة سيدها.

نقاش عن العرب والإسلام

في جلسة مع صديقين أوروبيين، دار الحوار حول نظرة الغرب إلى العرب والمسلمين، والتي تبيّن لي أنها لم تتغير رغم الانفتاح الذي تعيشه معظم دول العالم ورغم كثرة وسائل الإعلام وانتشارها في عصرنا هذا، حيث أصبحت بفضل التطور التكنولوجي السريع تجمع العالم ببعضه وتنقل أخباره كل دقيقة.

قال أحدهما: أتدري أن من بين كل شعوب العالم، أنتم المسلمون أكثر قسوة وعدوانية مع من يختلف معكم، ونستغرب نحن الأوروبيين ونتساءل دائماً: هل الإسلام دين دائم الاختلاف مع الآخر، ولا يعترف بالحوار؟ وشخصياً أستغرب أكثر من تشدد الإسلام تجاه المرأة التي هضم حقها ، كما تُجبر على ارتداء لباس لا يكاد يظهر إلا عينيها، ولا يسمح لها حتى بقيادة السيارة بالرغم من أن ذلك أصبح ضرورياً في عصرنا. قلت له: سأرد على تساؤلاتك كلها، فنحن كما تقول مسلمون، فالإسلام دين سلم وسلام ودين حياة ومحبة، فعندما نلتقي ببعضنا بعضا أو أي شخص آخر، أول ما نبدأ به إلقاء التحية بالسلام عليكم، نحن لا نعادي الآخرين كما تتصوَّر أنت، فالقرآن الكريم الذي هو دستور الإسلام يؤكد على التعايش مع الآخرين من كل جنس ولون، وفي حالات الاختلاف في وجهات النظر فإنه يدعو إلى الحوار والنقاش.

فعبر قرون كان المسلمون يعيشون مع جنسيات وديانات مختلفة في أمان وسلام، حتى وهم في عز قوتهم ومجدهم، لأن هذا هو ما ينادي به الإسلام منذ البداية ولا يزال، وهكذا تحدث عنهم الأوروبيون الأوائل

وبعض المستشرقين، إلا أن أطماع الغرب بغية السيطرة على ثروات البلدان الإسلامية باستعمارها وإقحام السياسة في الدين وتقسيم الدولة الإسلامية إلى دويلات مختلفة بالقوة، تحت شعار «فرّق تسد» كانت سبباً في ما هم فيه الآن من تفكُّك، ما أشعل فتيل الغضب في نفوس بعض المسلمين من أجل الدفاع عن كرامتهم وأوطانهم.

أنت تكلمت عن قسوة المسلمين وعدوانيتهم، ألا تعتقد أنها نتيجة طبيعية لتعنُّت وجبروت المستعمر الغربي؟ فمع الأسف إن بعض الأوروبيين نسوا أو تناسوا أن دولهم عبر التاريخ كانت ولا تزال هي البادئة بالحرب على الإسلام والمسلمين، أو إثارة الخلافات، وسياسة هذه الدول الغربية هي التي أوصلتنا إلى هذه المرحلة وأوصلتك أنت وغيرك إلى هذه الاستنتاجات.

أما في ما يخص تساؤلك عن المرأة وملابسها وعدم السماح لها بقيادة السيارة فهذا دليل على أنك لا تعرف شيئاً عن الإسلام وعن الدول الإسلامية واكتفيت بما تنقله لكم بعض وسائل الإعلام عندكم عن جهل وعنصرية أحياناً لتقنعكم بالنعمة التي تعيشون فيها.

فهناك ملايين من النساء في الدول الإسلامية يقدن السيارات من ماليزيا إلى المغرب، ومنهن من يقدن الطائرات، فالمرأة المسلمة تعمل في شتى المجالات فهي الوزيرة والطبيبة والمهندسة والاستاذة الجامعية.

وهي شريك أساسي للرجل في كل موقع، وهي أميرة وملكة تقوم بواجباتها الاجتماعية والانسانية في عدد من الدول الإسلامية، فمنذ ظهور الإسلام وقفت مع الرجل جنباً إلى جنب حتى في الحروب والغزوات.

أما بالنسبة للباسها فهذا يدخل ضمن خصوصياتها وضمن الحرية

الشخصية التي تتباهى بها الدول الغربية وتبرر بها تجاوزاتها في كل المجالات. أما ديننا الإسلامي فهو يؤكد على حشمة المرأة في مظهرها احتراماً وتقديراً لها، واحترامها لنفسها من احترام الناس لها.

وهنا تدخّل الصديق الآخر وقال: في اعتقادي أن أغلب الأوروبيين وبالذات الفرنسيين، بما انني فرنسي لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، ويكوّنون أفكارهم من وسائل الإعلام الغربية التي أغلبها تتعمّد نقل صور غير دقيقة تتناسب مع سياستها، فأنا شخصياً لدي أصدقاء من المسلمين ولي علاقات طيبة بعائلاتهم أقضي معظم المناسبات معهم.

وأحتفل معهم بأعيادهم وأشاركهم أفراحهم وأحزانهم، لكن هناك فرنسيين يجهلون كل شيء، ليس عن المسلمين فحسب بل حتى عن فرنسيين من ذوي الأصول الأخرى الذين عاشوا وترعرعوا على أراضينا.

وأريد أن أخبركم قصة جدتي التي تعيش في نورمندي، التي تبعد عن باريس مئات الأميال، فعندما فاز منتخب فرنسا بكأس العالم عام 1998 دخل علينا أحد الأقرباء مبتهجاً بهذا الفوز . وقال: لولا هؤلاء الفرنسيين من ذوي البشرة السوداء لما فازت فرنسا بكأس العالم، فردّت جدتي بدهشة: فرنسيون ويمثلون فرنسا وهم من ذوي البشرة السوداء كيف؟ فهي لم تكن تعرف أن هناك فرنسيين من أصول إفريقية.

هكذا نعيش داخل أوروبا في القرن الواحد والعشرين ونجهل حتى ما يدور داخل مجتمعاتنا ونغضّ البصر عن المشكلات اللامتناهية التي نعيشها يومياً ونكتفي بتقييم الشعوب الأخرى والحكم عليها، استعمرنا دولاً إفريقية وآسيوية ومنها دول غير إسلامية وعندما دافعوا عن بلادهم وطالبوا باستقلالها، قلنا إنهم وحوش وقتلة؟

الدولة والعولمة والاستعمار الجديد

خلال المئة سنة الماضية تقدمت البشرية تقدماً هائلاً وسريعاً في شتى المجالات، منها البحوث العلمية والطب، والاختراع التكنولوجي والصناعة، وفاق هذا التقدم والتطور كل التوقعات حتى خيال الباحثين، وكان أكثرها شعبية وشهرة، التلفزيون والقنوات الفضائية التي تنقل لك كل ما يدور على الكرة الأرضية، بخيره وشره، بجده واستهتاره.

وكذلك التليفون الذي يصلك بالعالم وتتواصل من خلاله بأي مكان ومع أي شخص بالصوت والصورة وفي لمح البصر، وتطور الأمر أكثر مع الرسائل القصيرة SMS حيث تستطيع الآن الحصول على أي خبر كتابة أو بالصوت خاصة الأخبار الخاصة جداً التي تربط بين أبناء الوطن الواحد وعبر القارات، ومازال هذا الجهاز قادراً على أن يكون ملعباً للاختراع والابتكار ولا ندري ما الجديد الذي سيطرح ربما بعد غد.

مع ذلك يظل الاكتشاف الأكثر بروزاً وتداولاً بين الأفراد في السنوات الأخيرة هو الإنترنت الذي يتقدم يوماً بعد يوم ليحل محل الراديو والتلفزيون والتليفون والصحف، وجميع وسائل الإعلام والاتصالات، ومن خلاله تستطيع الحصول على جميع المعلومات سواءً عن أفراد أو مؤسسات كبيرة أو صغيرة، وبأدق التفاصيل وفي جميع المجالات، ومهما كان طلبك أو هواياتك فإن هذا الجهاز يوفرها لك برضى وعن طيب خاطر، ورغباتك مستجابة.

حيث تستطيع الاطلاع على كل شيء وما تريد مشاهدته أو معرفته

وفي أي مكان في العالم سواء كان البحث من أجل التسلية أو من أجل المعرفة وكأنه مخبر «سري» يقدم لك تقارير عن الماضي والحاضر وأحياناً المستقبل، كذلك يستطيع كل شخص أن يبحر في عالم الإنترنت دون حواجز وتأشيرات كما يستطيع التعبير عن رأيه دون خوف من رقيب أو حسيب.

خاصة رقابة الحكومات في بعض الدول، وتوفر لك المواقع المختلفة آخر أخبار وأحداث وبرامج مجانية وبكل اللغات وعلى رأسها اللغة الإنجليزية التي أصبحت لغة العصر، والفضل يرجع للولايات المتحدة الأميركية التي أصبحت لغتها الرسمية الإنجليزية دون أن يتضمن دستورها ذلك.

إن الإنترنت وجهاز الكمبيوتر العقل المحرك له فاق كل اختراعات القرن وهناك أفراد في مجتمع الإمارات استقطبهم هذا الاختراع فأصبحوا يعتمدون عليه في كل شيء ويقضون ساعات وساعات عبر صفحاته، وأعتقد أن هذا ينطبق على أغلب المجتمعات في العالم خاصة الشباب منهم حتى أصبح العالم فعلاً قرية صغيرة. ومع كل هذا التقدم وفي ظله هناك شعوب مازالت تعيش تحت خط الفقر، وملايين لا يستطيعون فك حروف الأبجدية.

ومع ارتفاع عدد سكان العالم وتناقص معيشتهم ومع ازدياد عدد الدول المنضمة تحت لواء الأمم المتحدة قرأت في هذا الخصوص وعبر أحد المواقع على الإنترنت موضوعاً كتبه أستاذ يصف نفسه بأنه متخصص في تاريخ وإنشاء وتكوين الدول، ولأن الموضوع مثير، ألخصه لأشارك القراء في بعض ما ورد فيه.

يقول الكاتب إن فكرة تكوين الدولة بدأت مع مفكرين وفلاسفة اليونان في عهد الإمبراطوريات القديمة ثم انتقلت عبر التاريخ إلى المفكرين العرب والمسلمين الذين أضافوا وساهموا وتصوروا كيفية إنشاء تكوين الدولة، فالتقط المفكرون والفلاسفة في أوروبا هذه الأفكار، وطالبوا بإنشاء الدولة على أسس عصرية مع تحديد الصلاحيات، وانتقل بعضهم إلى أميركا وكندا وأستراليا لإنجاز هذه الرؤية وإظهارها للوجود، ويضيف الكاتب أن الدولة لا يمكن تسميتها بهذا المعنى إلاّ إذا تأسست على المبادئ والأسس التالية:

أولاً: وجود أرض وبشر يعيشون عليها يسمون بأصحاب الأرض وهم المواطنون وأصحاب القرار والصلاحيات ويعتمد هؤلاء نظام حكم يستند إلى دستور مكتوب يحترمه الجميع، ونظام الحكم قد يكون ملكيا أو جمهوريا حسب قرارهم ويجب ان تكون له قدسيته واحترامه، في النظام الملكي، الملك يملك ولا يحكم، أما الرئاسي فالرئيس يختاره الشعب لمدة محدودة أقصاها 12 عاماً.

ثانياً: البرلمان وهو ممثل الشعب وينتخب أعضاؤه من قبل الشعب، وله كل الصلاحيات التشريعية تتبعها الجهة التنفيذية وهي الحكومة. ثالثاً: السلطة القضائية ولها استقلاليتها ومطلق الصلاحية ومكونة من مجموعة محاكم ولا يحق لأي كان التدخل في شؤونها. وعلى رأسها المحكمة الدستورية العليا التي تستطيع أن تحاسب وتقاضي حتى رئيس الدولة. رابعاً: الصحافة وهي السلطة الرابعة، ويجب ان تكون حرة ومستقلة وتعبر عن مصالح الشعب والوطن.

وكل دولة ليست لديها هذه الثوابت لا يمكن تسميتها بالدولة واختار

الكاتب من بين دول العالم التي لديها هذه الأسس، دول أوروبا الغربية بنظاميها الملكي والجمهوري، ثم أميركا وكندا وأستراليا، وفي آسيا اختار الهند، حيث اعتبرها أكثر الدول ديمقراطية في العالم، ثم ماليزيا واختار مع الأسف عدوة العرب والمسلمين إسرائيل.

ومن إفريقيا مع أنه لم يعط لهذه القارة أهمية الا انه اختار جنوب إفريقيا والسنغال ضمن من تنطبق عليهم معايير الدولة، وأخيرا اختار تركيا بعد أن تخلت عن ثوبها العسكري وانطلقت إلى الديمقراطية وقد تكون هذه بدايتها حسب قوله، أما أغرب تعليق للقراء حول هذا الموضوع هو ما جاء في رسالة أحدهم حيث يقول: إن أي بلد لا تنطبق عليه هذه المعايير، من حق العالم مشاركته ثرواته لأن هذا البلد لا يعتبر دولة ذات سيادة.

هكذا يفكر البعض وقد يكون بينهم حكام أو أصحاب قرار يعتقدون ان من حقهم احتلال دول حسب رأيهم لا شرعية لها، كما قد يكون من بينهم قادة المستقبل، ومن هذا المنطلق قد يفكرون في استعمار جديد مغلف بالعولمة ومعزز بابتكاراتهم وإبداعاتهم التكنولوجية التي قد تؤهلهم إلى احتلال الدول مباشرة دون الحاجة إلى التسويق له أو الإفصاح عن أسبابه، أو البحث عن حلفاء له، أو ربما قد تفتح لهم الدول أبوابها لكي يحتلوها بسلام لأنها غير مؤهلة لمجاراتهم في هذا العصر.

رؤساء سابقون.. مواطنون عاديون

في إحدى زياراتي إلى فرنسا في الآونة الأخيرة، وأنا جالس في أحد المقاهي مع صديق فرنسي، مر علينا شخص لأول وهلة هيئ لي أني أعرفه، لكن بعد أن وقف يبحث عن طاولة تأكدت من ملامحه أنه الرئيس الفرنسي السابق، جاك شيراك، كان بصحبته شخص قد يكون صديقه، في البداية توقعت أن يهرول كل العاملين في المقهى بما فيهم المدير لاستقباله.

لكن لا شيء من هذا حصل بل انتبه بنفسه إلى وجود طاولة شاغرة جلس عليها مع من معه وجاءهم النادل بعد برهة لأخذ طلبهما هكذا بكل بساطة، وحتى خلال وجودهما في المقهى، فإن القليلين من بين عشرات المارة الذين تعرفوا عليه ألقوا عليه التحية، أما الأغلبية فكانوا يمرون بجانبه مرور الكرام.

ولم أشاهد حوله لا رجال أمن ولا مرافقين، فسألت صديقي الفرنسي، كيف هذه اللامبالاة برئيس فرنسا السابق؟ قال الأمر ليس كذلك، فالكل يحترمه ويقدره، لهذا لا يزعجونه، لأنهم يريدون راحته ويتركونه يعيش حياته بحرية فهو الآن مواطن عادي مثلي ومثل أي فرنسي آخر.

فقلت في نفسي، هكذا تكون الشعوب في الدول المتحضرة، تترك المجال لعشرات من الرؤساء تركوا مناصبهم ليعيشوا بين ملايين المواطنين يؤدون دورهم في المجتمع، ويخدمون أوطانهم من موقع ومجال آخر، لكن السؤال الذي ورد في بالي ساعتها، هل حدث وترك رئيس دولة عربية منصبه ليتفرغ لحياته الخاصة وخدمة وطنه وشعبه

في موقع آخر!

وحتى لا أظلم من فعل ذلك تذكرت ثلاثة رؤساء عرب في رأيي تركوا مناصبهم طواعية، أولهم كرم بلقب المواطن الأول لحين وفاته، لكن لم يقدم شيئاً لوطنه في موقع آخر وهو «شكري القوتلي» رئيس الجمهورية العربية السورية قبل وحدة مصر وسوريا، لتصبحا «الجمهورية العربية المتحدة»، الذي اختار الابتعاد عن الأضواء، واختار الشعبان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر رئيساً للدولة الجديدة، ولو كان «شكري القوتلي» رحمه الله يعرف أن الوحدة بين الدولتين لن تستمر لما ترك كرسيه!

أما الثاني فهو اللواء «سوار الذهب» الرئيس السوداني الأسبق، الذي قام بانقلاب عسكري سلم بعده الكرسي لشخص ثان، ليتفرغ للأعمال الإنسانية لخدمة الدول الفقيرة، وبالذات الإفريقية، وأعتقد أنه لن يتكرر، أما أحدثهم وآخرهم فهو الرئيس الموريتاني الأسبق الذي قام بانقلاب عسكري على ولد «الطايع»، لكنه بعد فترة وجيزة سلم الحكم للرئيس الجديد المنتخب.

وهذا بكل تأكيد لن يتكرر لأنه سوف يكون آخر الرؤساء العرب السابقين في القرن الواحد والعشرين! وفي رأيي إنه ربما قد تكون المفاهيم والمعايير عند الرؤساء العرب والغرب مختلفة، فالرؤساء العرب أغلبهم يعيش حياة الترف والرفاهية وهم في مناصبهم، ويقتصر عملهم على تلقي الأوامر وتنفيذها، وانتظار المساعدات والتفكير في كيفية صرفها!!

أما الرؤساء في الغرب فيعملون ضمن أجندة واضحة، وبجهد لتحقيق

ما انتخبوا لأجله لمدة محددة وتحت مراقبة شعبية عندما يكونون في مناصبهم، وتبدأ حياتهم الخاصة، وينعمون بالراحة والرفاهية بعد تركهم هذه المناصب. كما يقومون بعد ذلك بأعمال هادفة تساعد في عملية التطوير والتغيير ليس في مجتمعاتهم فحسب، بل في مختلف دول العالم.

وقد قرأت مؤخراً في احدى المجلات الأوروبية موضوعاً حول الحياة الثانية لرؤساء الدول بعد السلطة، جاء فيه أن بعض مسؤولي العالم السابقين يعيشون تقاعدا ذهبياً، سواء كان ذلك من خلال ندواتهم المدفوعة الأجر حول العالم، أو خلال كتابة مذكراتهم التي تدر عليهم ثروة أو حتى من خلال مهماتهم الإنسانية.

فالرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك كما جاء في الموضوع يصل مجموعة مستحقاته بعد أن ترك قصر الإيليزيه إلى 30 ألف يورو في الشهر، مع ذلك تفرغ لإطلاق مؤسسة تحمل اسمه والتي تعني بحوار الثقافات والنمو المستدام، كما يستمتع بين الفنية والأخرى بقضاء إجازات مع عائلته للراحة والاستجمام وهذا ما يفعله كذلك رئيس وزراء أسبانيا السابق خوسيه ماريا ازنار الذي يعيش حياة رياضية بعد التقاعد حيث يقضي معظم أوقاته في السفر، وممارسة الرياضات التي يحبها، رغم أنه لم يبتعد كلياً عن السياسة بحكم اشتغال زوجته فيها،كما هو حال بيل كلينتون الرئيس الأميركي السابق الذي يدعم زوجته في السباق إلى البيت الأبيض، مع ذلك فهو يستثمر وقته في إلقاء حوارات وندوات حول العالم يتقاضى عن الواحدة منها 95 ألف يورو، ويتفوق عليه في الأجر رئيس وزراء بريطانيا السابق «توني بلير» الذي تتراوح اتعابه بين 130 و250 ألف يورو.

وهناك رؤساء نذروا وقتهم وأسماءهم بعد السلطة لخدمة الإنسانية، كما يفعل آخر رؤساء الاتحاد السوفييتي «ميخائيل غورباتشوف» حتى لو كان ذلك إلى جانب المشاركة في إعلانات تجارية، ورغم أن السياسة هي شغف كل هؤلاء إلا أنهم تركوا كراسيهم ووجدوا لأنفسهم حياة استغلوا فيها خبراتهم وتجاربهم لخدمة شعوبهم والإنسانية في مواقع أخرى.

فمتى سوف نشاهد رئيساً عربياً سابقاً يقوم بجولة للدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان في العالم العربي كما يفعل كارتر وغيره؟ ومتى نشاهد رئيس حكومة عربية سابقا يتخلى عن كرسيه ليرأس لجنة لخدمة إنسانية كما يفعل توني بلير؟ أو يتفرغ لعائلته ويمارس هواياته كما يفعل «خوسيه ماريا أزنار رئيس وزراء إسبانيا السابق؟

قال أحد الأصدقاء مازحاً: هل هناك أحد في هذا الزمن يترك كرسيه ليشغله آخر حتى لو كان هذا الكرسي بلا سند أو ظهر؟ فما بالك بكرسي يدر على صاحبه ربحاً مادياً ومعنوياً لدرجة أنه يعتبره ملكه وعليه تركه لأولاده!

فرد عليه أحد الحضور وهو خبير اقتصادي: وهل تعتقد أن هناك رئيسا عربيا يفكر في كتابة مذكراته؟ وعن ماذا سيحتدث فيها يا ترى.. عن إخفاقاته أم تنازلاته؟! ام عن ثروته التي جمعها وهو في السلطة؟!

كما هو حال رئيس دولة أصبح من أغنى رؤساء الدول ومع ذلك فالدولة التي هو رئيسها تمر بأزمة اقتصادية حادة منذ زمن!

أزمة النشر في العالم العربي

القراءة والكتابة كانتا ومازالتا أساس تقدم وازدهار الدول والشعوب، وللأفراد عامة من أكثر الهوايات فائدة ونفعاً. فالقراءة كما يقال غذاء الروح، وبالقراءة والكتابة تكونت حضارات الشعوب وتقدمهم عبر التاريخ، حيث تعلموا ممن سبقوهم القراءة، وأرخوا كتاباتهم ليفيدوا من يأتي بعدهم.

وفي كل زمان ومكان كان للشعوب أسلوب في الكتابة والتعبير يختلف عن بعضهم البعض، الى ان استقر العالم على استعمال الحروف الأبجدية. ومع ظهور الإسلام أصبحت القراءة والكتابة عند العرب واجبة وضرورية، فأول آية نزلت على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كانت «اقرأ باسم ربك» ومن ثم تأكدت أهمية القراءة في عدد من الآيات القرآنية.

وكانت من أولويات رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم مؤسس الحضارة الإسلامية، عندما طالب أسرى كفار قريش بتعليم الصحابة القراءة والكتابة، وتقديرا لجهودهم أمر بإطلاق سراح كل من يعلم مسلماً.

هكذا بدأ الإسلام وانتشر بفضل الاهتمام بالعلم والمعرفة واستمر الخلفاء والأمراء وعلماء المسلمين في العمل على الدرب نفسه، إلى أن وصلت الدولة الإسلامية إلى قمة الحضارة والتقدم.

بينما كانت بعض الدول تعيش في ظلمات الجهل والتخلف.

فبالعلم والمعرفة سبقوا شعوباً كثيرة وترجمت أعداد من الكتب إلى اللغة العربية لغة المسلمين الرسمية آنذاك، كما ترجمت كتب إسلامية

وعربية إلى لغات مختلفة لأهميتها، ومع مرور الزمن أخذوا كفايتهم بما أنجزوا!!!

وبدأ عمل العرب يقل في هذا المجال رغم أنهم أصبحوا يشكلون 5٪ من سكان العالم، إلا أنهم مع الأسف لا ينتجون سوى 1٪ من الكتب التي تصدر على مستوى العالم.

وحسب الإحصائيات المنشورة في عدد من المواقع على صفحات الانترنت، فإن إجمالي الكتب المنشورة في العالم العربي عام 1995 لم يتجاوز 1348 كتاباً فقط، في حين وصلت في دولة كإسرائيل إلى 3284 كتاباً. وفي عام 1996 لم تصدر الدول العربية أكثر من 1945 كتاباً في الأدب والفنون بالرغم من عدد السكان الذي يصل إلى حوالي 280 مليون نسمة في 22 دولة عربية.

وهذا ما تصدره دولة كتركيا التي يبلغ عدد سكانها حوالي ربع سكان الدول العربية. وموقع آخر يشير إلى أن نسبة إصدار الكتب في العالم العربي ما زالت أقل من 30 كتاباً لكل مليون نسمة بينما تزيد في إسبانيا على ألف كتاب لكل مليون نسمة، وهي أقل الدول الأوروبية نشراً للكتب.

أما عدد دور النشر في الوطن العربي فالإحصائيات تقول إن المرخصة منها في لبنان حوالي 700 دار لكن العاملة منها فعلياً لا تتعدى حوالي 200 دار ولا تتجاوز القوية الناشطة منها 50 داراً للنشر.

وفي مصر يصل العدد إلى حوالي 370 داراً والناشطة منها حوالي 100 دار، في حين ان دولة كالهند تنشر سنوياً 70000 كتاب بأكثر من لغة، ويبلغ عدد دور النشر فيها حوالي 15000 دار بينما يبلغ إجمالي دور النشر المسجلة في اتحاد الناشرين العرب حوالي 332 داراً فقط.

من هنا نستنتج أن اللغة العربية تعاني من أزمة حقيقية، وأمامها تحديات كبيرة مترتبة عن العولمة، وتكاد تكون غير متداولة أو مهمشة بين جيل الشباب في العالم العربي الذين يشكلون الأكثرية من مجموع السكان، حيث أصبحوا يميلون أكثر إلى اللغة الإنجليزية التي تلبي الكتب المنشورة بها جميع احتياجاتهم العلمية والمعرفية في شتى المجالات.

فعلى سبيل المثال تم خلال القرن الماضي ترجمة حوالي 15000 كتاب إلى اللغة العربية في حين ان اسبانيا وحدها تترجم سنوياً عشرة آلاف كتاب.

وحسب إحصائيات غير مؤكدة فإن عدد الكتب المترجمة سنوياً في الوطن العربي يصل إلى حوالي 350 كتاباً في حين ان دولة كاليونان تترجم أكثر من 1650 كتاباً إلى اللغة اليونانية ولا يتجاوز عدد الناطقين باليونانية 11 مليون نسمة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جانب آخر من جوانب تأخر العرب!

الديمقراطية وكذبة أبريل

في زمن مضى وللتسلية كان الأوروبيون ينتظرون بفارغ الصبر حلول الأول من أبريل ليرفهوا عن أنفسهم بكذبة يخططون لها من قبل حتى يصدقها الجميع، وغالباً ما تكون عبارة عن مزحة أو نكتة تتداول بين الأصدقاء أو موقف أو رأي سياسي ينشر عبر وسائل الإعلام في أول اليوم ويتم تكذيبه بعد ذلك.

وكانت هذه الكذبة تنطلي على فئة كبيرة في المجتمع وتقضي يومها في التذمر في عواقبها أو في التفاؤل بمزاياها.

وهكذا جرت العادة كل عام، حتى انتشرت هذه البدعة في جميع أنحاء العالم واستخدمت لنفس الغرض وهو التسلية.

لكن في زمننا هذا لم يعد لكذبة أبريل طعم ولا لون، لأنه زمن باطنه الكذب المعولم من أجل المصلحة، وظاهره فرضه وتصديقه ولو بالقوة، لأن الصدق انقرض ولم يعد له مكان ولا موقع، خاصة بالنسبة للحكومات والمسؤولين في أغلب الدول الذين اتخذوا الكذب شعاراً لهم ونظموا ممارسته وقسموها بين مجموعات، مجموعة مختصة في تأليف الكذب، ومجموعة مختصة في تلميعه وتقديمه بأسلوب مقنع، أما المجموعة الأكبر والأخطر فهي التي تصدقه وهي الأغلبية مع الأسف.

ومؤخراً طفح كيل هؤلاء المسؤولين من كذبة ابريل، فهم يجتمعون ويتعبون طوال أيام السنة من أجل الكذب على الشعوب وخداعها، وتأتي كذبة ابريل وتأخذ منهم الجو.

كما يقولون لذا قرروا القضاء عليها فالحكم والحل والربط بأيديهم ولا منافس لهم، ومتطلبات العصر تستوجب عليهم تغيير كذبة أبريل لأنها اختراع أكل عليه الدهر وشرب، وعمرها قصير، يوم واحد فقط، لذا عليهم تبديلها بكذبة دائمة تليق بمكانتهم وبالتطوير الذي يشهده العالم في عهدهم، والأهم من ذلك أن يصدقها الناس، فوقع الاختيار على كذبة اجتمعت عليها آراء كل المسؤولين ألا وهي كذبة الديمقراطية التي يتغنون ويتباهون بها ويدعون أنهم يطبقونها ومستعدون للحرب على من يعارضها، وهذا ليس بغريب عنهم فالمسؤولون السياسيون عادة يحاربون من أجل أي شيء وكل شيء.

فهم يحاربون من أجل النفوذ ومن أجل السلطة ومن أجل المال ومن أجل السيطرة، فلم لا يحاربون من أجل كذبة تقتضيها مصالحهم العليا؟ حتى لو أخذت في طريقها آلافاً من الأبرياء قتلوا، أو اعتقلوا أو دُمرت أوطانهم ولا ذنب لهم سوى أنهم في عالم تسيطر عليه مجموعة أبدعت في الكذب وببراعة حتى صدقها الناس خاصة البسطاء منهم وما أكثرهم، ولم تكتف بذلك بل تفننت في تسخير كل الإمكانيات والوسائل التكنولوجية المتطورة لإيصال أكاذيبها وبأسلوب ذكي وعلى رأسها وسائل الإعلام المختلفة التي تسابقت في إقناع الناس بتلك الأكاذيب. وبشتى الطرق وكأننا نتابع أفلاماً سينمائية كنا نتمنى أن تنتهي نهاية سعيدة، لكن مع الأسف فالواقع أنها من إخراج وإنتاج مجموعة لا تريد إنهاء حلقاته المأساوية لا لشيء إلا لأن ذلك يتناقض مع مصالحها أو يكسر هيبتها التي اكتسبتها بإنصاف الظالم ودعمه والكذب على صاحب الحق المظلوم وقهره، وسلب ثرواته.

إن أكبر كذبة شهدها القرن الواحد والعشرون حتى الآن هي امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل التي كانت سبباً في الحرب عليه، وأقبح كذبة هي نشر الديمقراطية فيه وتحريره من حكم ديكتاتوري، وكانت سبباً في احتلال أرضه، وقتل شبابه، وتشريد نسائه وأطفاله، ومعاناة شيوخه، وتهجير علمائه، والقضاء على مستقبله بأكمله.

وما أكذبها تلك الديمقراطية التي تتغنى بها الدول. وما أغلاها تلك الديمقراطية التي يعيشها الشعب العراقي آمناً بعد أربع سنوات على احتلاله فهو الآن يعيش بين نارين، نار حرب مدمرة شنتها أميركا وحلفاؤها عليه، ونار حرب طائفية شنها أبناؤه على بعضهم البعض، لذلك تستحق كذبة الديمقراطية أن تسحب البساط من كذبة أبريل بجدارة واستحقاق، فكذبة أبريل تافهة لن يذكر التاريخ شيئاً لها سوى تسلية الناس وإلهائهم.

أما كذبة الديمقراطية فلقد حصدت إلى الآن أرواح حوالي 700 ألف مواطن عراقي وآلافا من الجنود الأميركيين وملايين من الجرحى واللاجئين.

من الذكاء أن لا نبحث يوم الأحد القادم عن كذبة، ترفه عنا ونتوهم اننا نعيش في عالم مثالي، حتى لا نجد أنفسنا متهمين بمخالفة أوامر مقاطعة كذبة أبريل التي قررها أسيادنا، ومن الجهل أن نتحرى صدقاً وسط عالم يكذب.

العالم الثالث بين الاستبداد والاستعمار

في زياراتي الأخيرة لبعض الدول، لاحظت أنها تسابق الزمن لتحقيق إنجازات في النمو الاقتصادي والعمراني وتطوير البنية التحتية، لم لا؟ فالعالم كله يشهد قفزة نوعية في جميع المجالات وخاصة في الحياة المعيشية داخل المجتمعات، لكن مقابل ذلك خرجت بانطباع أن هاجس حكومات هذه الدول الأكبر والرئيسي هو الأمن، وهذا شيء طبيعي فالأمن عمود التنمية ولا يمكن تحقيق الاستقرار بدونه، لكن أي شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، كما يقال.

والسؤال هو لماذا ونحن نعيش في عصر يشهد كل هذا التقدم ونتنافس على الارتقاء والتطور مازال الهاجس الأمني هو الشاغل الأكبر لبعض الحكومات حتى أصبح نظامها يقوم عليه؟

في مناقشة مع أستاذ متخصص في مجال التنمية قال: مشاكل شعوب العالم الثالث بدأت مع سيطرة مجموعة من الإقطاعيين وأصحاب رؤوس الأموال على الحكم في أوروبا والذين كان همهم جمع ونهب الأموال العامة، وتفاقمت مع ظهور فكرة الاستعمار والسيطرة على ثروات الشعوب عندهم.

ومع خروج الاستعمار شكلياً في منتصف القرن الماضي خلف وراءه مشاكل داخلية في كل الدول وفيما بينها لأنه طبق نظرية «فرق تسد» لكي يستطيع التدخل متى شاء وكيفما شاء، بحجة حل الصراعات والنزاعات فيما مضى وبحجة الإصلاح في الوقت الحالي.

فعلى سبيل المثال المشاكل المختلفة والضغوط والأزمات التي عانت وتعاني منها الكثير من الدول وأبرزها فلسطين وكشمير وتقسيم الكوريتين هي من مخلفات الاستعمار، ولا شك أن استمرارها يخدم مصالح الفكرة الاستعمارية والرغبة الدائمة في السيطرة، مما خلق مشاكل أمنية لا حصر لها.

واتفقنا على أن المشاكل الأمنية لها شقان، شق محلي وآخر خارجي، فأما المحلي فسببه الحرص الأمني المبالغ فيه الذي تقوم به بعض الحكومات للتعامل مع مشاكل مواطنيها وهذا ما تعتبره من حقها لدرء الأخطار التي تنتج غالباً عن انتشار الفقر والبطالة وكبت الحريات. فالمواطن في أغلب هذه الدول محروم حتى من المشاركة برأيه في تنمية وتطوير وطنه، ودوره شبه معدوم فهو يقرأ ويسمع عما يدور في بلده عبر وسائل الإعلام، كما هو حال الأجنبي.

ولا توجد لدى هذه الحكومات الشفافية الكافية فيما يخص مشاريعها الجارية أو خططها المستقبلية لأن هناك فئة تتحكم ومصالحها الخاصة تأتي فوق المصلحة العامة وهذه الحكومات في أغلبها لم تأت عبر اختيار شعبي وبرنامج واضح تجتهد على تحقيق ولو جزء منه، ولو جاءت هذه الحكومات بإرادة شعبية لاستطاعت على الأقل أن تتفهم معاناة من اختاروها من هنا تتسع الفجوة بين الحكومات وبعض الفئات من المواطنين.

وقد تابعت وتابع الكثيرون معي على إحدى الفضائيات مواطناً يبكي على حالة ابنه الذي يقول إنه خريج تجارة بأعلى تقدير مع ذلك فهو عاطل عن العمل منذ سنوات، وقد يكون هناك آلاف من أصحاب الشهادات العليا

عاطلين عن العمل، مع ذلك فهم أحسن حالاً من غيرهم في بعض الدول، الذين لا يحق لهم حتى التذمر أو الشكوى!!

سواء في عدم تحصيل التعليم اللازم أو من غلاء المعيشة وهذه هي أبسط الحقوق التي على الحكومات توفيرها لمواطنيها، وهكذا تكبر المشاكل وتزداد المظالم التي تولد حالات اجتماعية تعكر أمن المجتمع واستقرار أفراده، وبدورها تعمل الحكومات جاهدة بكل أجهزتها الأمنية لملاحقتهم والقضاء عليهم، وأحياناً تفبرك أدلة مبالغا فيها لزرع الخوف في قلب المواطنين وتكبيل حريتهم.

ولو كرست جهودها بدل ذلك لحل مشاكل المجتمع من جذورها لما وصلت الحالة الداخلية إلى هذا الحد من السوء. أما الشق الثاني فهو الشق الخارجي وسببه الأساسي هو تحكم القوى الكبرى ومحاولة السيطرة على ثروات الدول الضعيفة مع أنها الأقوى والأغنى ولا تحتاج إلى أكثر مما هي عليه، فعلى سبيل المثال الاستعمار الغربي كان له الدور الأكبر.

فيما وصلت إليه الشعوب في آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية، خاصة في الدول التي لم يخلف فيها شيئا يذكر أكثر من الجوع والفقر، مع أنها تزخر بمصادر ثمينة وثروات استغلها المستعمر أكبر استغلال واستفاد منها لمصلحته وعمل على قهر الشعوب وسفك دمائها وتقييد حرياتها، وهذا كله ولد الانفجار داخل المجتمعات وافرز حالات لم ترض بالوضع.

يقول الأميركي الحر والمخرج العالمي والمشهور مايكل مور في كتابه «يا صاحبي أين بلادي؟» ان برنامج جورج بوش للأمن القومي لن يحقق أمناً لأميركا، ويطرح مجموعة من التساؤلات على حكومة جورج

بوش منها:

.كيف توقفون الإرهاب؟: توقفوا انتم عن الإرهاب.

.علينا أن نعترف بأننا من صنع الإرهاب بسلوكنا الأناني تجاه العالم.

. عندما يقتلون مدنيين منا تقولون هذا إرهاب، أما اذا قتلنا منهم عشرات الآلاف كما هو حاصل في العراق وأفغانستان تقولون إنها عمليات إجبارية.

. عندما تقومون بانقلاب ضد زعيم دولة ينتخب ديمقراطياً أفعلوها صح، ولا تفرضوا على شعوب هذه البلاد دكتاتوراً من صنعكم كما فعلتم في تشيلي، واندونيسيا وغواتيمالا.

.لكي تكونوا جادين في دعوتكم لنشر الديمقراطية في العالم لا تحاربوا النتائج التي أفرزتها الديمقراطية في بعض البلاد.

هذا ليس إلا صوت رجل واحد لكنه يعبر عن ثورة الغضب المستمرة في أميركا وجميع أنحاء العالم والمكبوتة سواء من الخوف أو من قلة الحيلة وهكذا تضيع الشعوب بين ظلم أقوياء وجبابرة الخارج وطمعهم وبين مآسي ومعاناة الداخل مما يولد مشاكل أمنية في الدول وبين الدول.

هل هذا تقصير من حكومات هذه الدول لأنها لا تريد معالجة مشاكلها الداخلية من جذورها؟ مما أعطى الفرصة لمجموعة تستغل فئة مشحونة بمشاعر الغضب والاستياء وتحرضها وتوظفها لمصلحتها لزعزعة امن الدولة والمجتمع وخلق جو من عدم الاستقرار والأمان«»، ام هذا هو العالم الحر المتحضر الذي تطالب به القوى الكبرى؟ ام هي النهضة العلمية والاقتصادية والرفاهية التي تقدمها الحكومات لشعوبها في القرن الواحد والعشرين.

القراءة والأمية الثقافية العربية

كتاب «هاري بوتر» الذي صدرت مؤخراً النسخة السابعة منه والتي قد تكون الأخيرة كما قالت كاتبته، التي دشنت النسخة الأولى في روايتها عام 1997، ولم تكن تتوقع لها كل هذه الشهرة، أحدث ضجة كبيرة في العالم. وبالذات في بريطانيا مسقط رأس الكاتبة، ففي لندن اصطف آلاف المواطنين في طوابير طويلة منذ ساعات الصباح الأولى أمام المكتبات لشراء النسخة الأخيرة، والتي كتبتها المؤلفة في الأصل للأطفال لكن أعجب بها الكبار قبل الصغار، وركزت عليها وسائل الإعلام في مختلف أنحاء العالم قبل وصولها إلى المكتبات بأكثر من أسبوع، وحسب ما نشر في الجرائد فان المبيعات في الأسبوع الأول فاقت 1، 200، 000 نسخة، ومصدر آخر قال ان دخل مبيعات الكتاب وصل إلى اثني عشر مليون جنيه.

نال «كتاب هاري بوتر» شهرة لم ينلها كتاب من قبل في هذا العصر، وترجم إلى عدة لغات ومنها العربية، وحقق المصنع الذي نال حقوق صنع لعب أطفال من أبطاله مكاسب فاقت التوقعات، أما الكاتبة فبعد ان كانت فقيرة بل معدمة كما نشرت بعض وسائل الإعلام أصبحت من الأثرياء بل تقارن ثروتها بثروة ملكة بريطانيا.

سحرت هذه الكاتبة البشر في مختلف القارات ووصلت شهرتها إلى العرب والخليج، فأصبح حتى كبار السن في النساء في البيوت الخليجية والإماراتية بالذات يقرأون لها، هكذا كانت وتكون أهمية الكتب والقراءة

في حياة الأمم المتحضرة، والتي لابد وان تكون من الضروريات وتأتي في المقدمة، فبالقراءة تنمو الشعوب وتحيا وبدونها تموت.

وبالقراءة تتقدم الدول وبدونها تقف مكانها عاجزة عن المضي قدماً، ألم يقل المثل العربي، القراءة غذاء الروح، فبها نستطيع ان نفكر، ونبدع، ونتواصل، ونعرف ما يجرى في العالم حولنا، والدين الإسلامي أول من ركز على القراءة وأهميتها للبشرية فأول سورة نزلت على نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم كانت «اقرأ باسم ربك» من هنا بدأ الاهتمام بالتعليم والقراءة . حيث اننا نستطيع من خلالها الإلمام بديننا ودنيانا كما يمكننا بها أن نضيف إلى إنجازات من سبقونا، مع أنه ليس كل متعلم يقرأ وليس كل قارئ متعلما، فالقراءة موهبة وهواية، والشعوب الحية هي التي تعود نفسها منذ نشأتها الأولى على القراءة، والأوروبيون يبدأون تنمية حب القراءة عند أطفالهم في سن مبكرة، فهل هذا ما يفعله العرب الآن؟

يقول أحد الكتاب العرب إن الاهتمام بالقراءة عند العرب أقل من أي شعوب أخرى في العالم، خاصة عند الجيل الحالي إذ إن مبيعات الكتب قد تراجعت بشكل ملفت للنظر حسب الاحصائيات، كما قل عدد المكتبات مقارنة بزيادة عدد السكان في الدول العربية، فأهم مصدرين للكتب والكتابة كانتا مصر ولبنان، مع ذلك لم يتعد عدد المكتبات الجديدة فيهما خلال الخمس والعشرين سنة الماضية عدد أصابع اليد.

وبعض الاحصائيات تقول إن القاهرة عاصمة الكتاب بين الدول العربية، لم يزد عدد مكتباتها منذ بداية السبعينات مقارنة بزيادة عدد سكانها، وحسب هذه الإحصائية فإن عدد المكتبات بقي كما هو عليه منذ 20 عاماً، أما المكتبات العامة فلم تنشأ منذ 30 عاماً، مقابل ذلك تطبع وتصدر

وتوزع سنوياً مئات الألوف من الكتب في مختلف الدول حتى الأقل منا إمكانية. وحسب تقرير اليونسكو، فأعلى نسبة للأمية في العالم هي في الوطن العربي، والقراءة لا تأتي في المرتبة الأولى عند المواطن العربي خاصة في العصر الحالي حيث تعددت الهوايات واختلفت، وتأتي القراءة في أدنى مرتبة منها. فلا غرابة أننا لم نقرأ أو نسمع ان المبدعين من الكتاب العرب أمثال طه حسين ونجيب محفوظ ويوسف ادريس ويوسف السباعي، وغيرهم الكثيرون الذين أبدعوا في نقل أحداث تاريخية عبر العصور، وأحداث معاصرة تعبر عن واقع الحياة، تفاعلنا معها من خلال كتبهم وروائعهم التي أصبح بعضها من أشهر الأفلام العربية، والمسلسلات التلفزيونية.. مع ذلك لم نقرأ أو نسمع عن مكسب مادي حققه أحدهم يوازي ما يحصده الكتاب في الغرب والذين أغلبهم يحصد ثروة حتى لو كتب مسيرة حياته أو قصصاً للأطفال، هل لأن الاهتمام بالعلم والمعرفة عندهم يأتي فوق كل شيء، لأنه أساس التقدم والازدهار؟

أم لأن الشعوب العربية تصرف على بطونها أكثر مما تصرف على عقولها؟ أم لأن الحكومات العربية لا تناسبها شعوب مثقفة؟

يقول أحد الإخوة ان أغلب الشعوب العربية مغلوبة على أمرها، فهي لا تملك الصرف على بطونها، فكيف بعقولها.

قرأت في إحدى الصحف أن منظمة الأمم المتحدة اختارت العام الحالي 2007 للاحتفال بجلال الدين الرومي فلا شك أن ذلك يعد تكريماً واعترافاً بانجازات المفكرين والكتاب والأدباء المسلمين الأوائل وأهمية دورهم في نشر العلم والمعرفة عبر العصور، فأين نحن منهم؟ ولماذا مر هذا الخبر مرور الكرام على وسائل الإعلام العربية؟

النجاح.. بين ضرورات التغيير والخوف من المجهول

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي

هكذا هو الإنسان كلما قرأ كتاباً اكتشف مواضيع جديدة أكدت له جهله وحاجته إلى مزيد من العلم والمعرفة، فالكتاب ليس خير جليس فحسب، إنما هو غذاء العقل وعلاج الفكر، فالإنسان مهما تعلم وقرأ، هناك أشياء كثيرة يجهلها.

في الفترة الأخيرة قرأت كتاب «ترويض الخوف» «لبيت كوهين» خبير الحياة الاستراتيجي لقناة «GMTV»، ومع أن الكتاب موجه ومفيد لكل فئات المجتمع، لكني أعتقد أنه مهم أكثر للشباب في بداية حياتهم العملية.

الكتاب واضح من عنوانه، والكاتب يتحدث فيه عن الخوف الذي يرافق الإنسان في حياته اليومية، ويطرح في بدايته عدة تساؤلات حول أنواع الخوف وأسبابه، منها:

هل تخاف من الوقوع في الخطأ؟ هل تخاف أو تخشى الفشل؟ هل أنت راض عن حياتك كما هي لأنك تخاف التغيير؟

ويجيب عن هذه التساؤلات بأفكار بسيطة ومقتطفات لأقوال بعض

العلماء والمشاهير الذين كان لهم دور في تغيير مجرى حياتهم والإنسانية معاً، ويقول إن البعض منا يخاف دخول تجارب مع أنه عندما كان طفلاً مرّ بأكثر من تجربة إلى أن وصل إلى ما يريد دون أن يحد الخوف من محاولاته، لذا هو ينصحنا بتكرار المحاولات حتى لو فشلنا، كما كنا نفعل عندما كنا أطفالاً ما دمنا نريد التعلم والاستفادة والنجاح. فللنجاح ضريبة وهي عدم الوقوف عند حد أو موقع معين.

إن النجاح مرهون بإرادة الإنسان وقدرته على مواجهة الحياة، وأخذ الدروس مما تعرض ويتعرض له في تجارب فاشلة، وألاّ ينظر إلى الخلف أبداً إلا لأخذ العبر من تجارب الماضي.

ويضيف في فصل ثان مثالاً آخر عن الأطفال، ويقول إن الطفل تبدأ تجاربه عندما يحاول أن يقوم بأول حركة ليتعلم كيف يجلس أو يقف على رجليه، فخلال هذه المحاولات كم مرة يقع، وكم مرة يرتمي على الأرض، وكم مرة يصاب بأذى ويتألم ويبكي، لكنه لا ييأس ويقوم بعد دقائق ليعيد نفس الحركة إلى أن يتحقق له ما يريد تدريجياً بالجلوس أو الوقوف، ثم يبدأ بمحاولات لاكتشاف وتعلم أشياء أخرى كالمشي والركض، ويتحمل من أجل ذلك متاعب كثيرة، وكلما وقع وأصيب، كلما أصرّ على الاستمرار فيما يريد تحقيقه.

ويعيش على هذه الحال فترات طويلة من طفولته، لذلك على الإنسان ألاّ يتوقف طموحه عند حد أو عمر معين، وعليه أن يواجه الحياة بكل جرأة، وألاّ يستسلم عند أول فشل، ويمارس كل الطرق المشروعة للوصول إلى أهدافه وتحقيق طموحاته، لأن الجهد والعطاء والتفكير والابتكار والمحاولة تلو المحاولة هي التي تفتح الطريق إلى النجاح.

فوراء كل نجاح فشل متكرر، ولا يأس مع الحياة، ولا حياة دون أمل وتجارب، ولا تجارب دون نتائج وتكرار المحاولة هو بداية النجاح.

ويضرب مثلاً آخر بعلماء ومكتشفين ومخترعين، أناروا طريق البشرية بأبحاثهم واكتشافاتهم، يقول عن أديسون عندما قام بعدة محاولات لاختراع المصباح الكهربائي ولم تنجح، قال له أحد أصدقائه إنه فشل فلماذا لا يترك محاولاته لعمل آخر؟ فرد عليه: إنني لم أفشل بل نجحت لأنني اكتشفت وعرفت بأن جميع تجاربي لم تكن صحيحة، وعليّ أن أجرب طريقة وأسلوبا آخر، وهذا ما قام به وبعد محاولات عديدة تحقق له النجاح.

وفي جزء آخر يقول الكاتب إن الخوف يشعر به معظمنا عند التفكير في المستقبل، وهناك من يتخوف من الغد والمستقبل دون أن يراه ولا يدري كيف سيكون، وغالباً ما يرتبط هذا الشعور بالواقع الذي يعيشه ويتوقع أن يكون المستقبل مخيفاً، ويقول الكاتب إن هذا الأمر غير صحيح لأن لا شيء ثابت في الحياة، والشيء الوحيد الذي نستطيع أن نتحكم فيه هو اللحظة التي نعيشها، ولن نستطيع أن نتحكم في المستقبل من خلال قلقنا عليه.

والخلاصة هي أن شعورنا بالخوف ما هو إلا محاولة لوقاية أنفسنا من المجهول، وغالباً ما نخاف من عقبات ومشاكل لا وجود لها أو لم ولن تحدث، بل نتخيلها، ونستنفد طاقتنا في التفكير والخوف من حدوثها، ولا ندرك أن الخوف يحد من إمكانياتنا وبالتالي من عطائنا وفرص نجاحنا.

فلنتحرر من الخوف، علينا أن نواجه التحديات، ونعمل على تغيير سلبياتنا وإحداث تغيير ايجابي من حولنا وعدم الوقوف عند الفشل،

وهذه هي بداية النجاح. فبكل تأكيد العيش مع هذا الشعور مرهق ذهنيا وبدنيا.

وإذا كان الإنسان لا يفعل شيئاً للتغيير، فسيظل أسير خوفه مدى الحياة، لأنه يركز على المشاكل التي تأخذ حيزاً كبيراً من وقته وطاقته، بدل أن يركز على الحلول، لذلك يكون التخلص من الخوف أو القلق صعباً للغاية لكن عليه على الأقل محاولة تغيير أسلوب تفكيره للتعامل مع مخاوف غالباً ما تكون متخيلة لا وجود لها إلا في خياله، وبإمكان أي شخص تحويل شعوره بالخوف إلى شيء إيجابي والاستفادة منه لو أنه تحكم فيه ولم يتركه يتحكم فيه.

كما يقدم الكاتب نصائح وتمارين تحفز على التغيير للتخلص من الخوف، حتى لو أن الأشياء التي تحدث لك في حياتك لن تتوقف بمجرد تخلصك منه كما يقول، لكنك سوف تصبح أكثر مهارة في التعامل معها لأن هدفك عندها هو أن تستفيد من الحياة، لا أن تخاف منها.

وأخيراً يقال: لا يوجد إنسان ضعيف لكن يوجد إنسان يجهل موطن القوة في نفسه، ويقال الفاشلون قسمان، قسم فكر ولم يفعل، وقسم فعل ولم يفكر.

وأنا أقول: علينا أن لا نخاف من غدٍ لا نعرفه، بل أن نعمل ونبني لغد نأمل معرفته.

رحلة الحج بين الماضي والحاضر

بدعوة كريمة من معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، ومع مجموعة من الاخوة والأصدقاء توجهنا إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، لم تكن هذه الرحلة كغيرها من الرحلات والسفريات، كانت زيارة إلى أشرف وخير البقاع ومع خير صحبة ورفقة. انطلقنا من مطار أبوظبي إلى المدينة المنورة، وقضينا ليلة هناك ثم توجهنا إلى مكة المكرمة لأداء الفريضة، أرجو من الله العلي القدير أن يتقبلها منا.

لاشك أن الحج فرض على كل مسلم وركن من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا، وقد اتيحت لي هذه الفرصة الطيبة من شخصية كريمة لأداء الفريضة لأول مرة في حياتي، وما عشته وتعلمته هناك كان الشيء الكثير، واستفادتي كانت في ديني ودنياي، فبمجرد وصولك إلى الديار المقدسة تعيش أجواء روحانية وتحس بأنك أقرب إلى الله، وتتوحد مع ملايين المسلمين بلباس واحد، وهدف واحد ونية واحدة يتواصل فيها الجميع مع الله بالذكر والدعاء.

وبعد أداء الفرائض كنا بعد كل صلاة، نجتمع لنستمع إلى ندوات عن الحج وفوائده من الشيخين الكريمين الدكتور «أحمد الكبيسي» و«الحبيب علي الجفري» اللذين منّ الله علينا برفقتهما الطيبة في هذه الرحلة، فكانت دروسهما ممتعة ومفيدة. وكانت احاديثهما عن الدين والدنيا، وواجبات كل مسلم في دنياه، وماذا عليه أن يعمل من أجل آخرته.

كما كان الحديث يتضمن حوارات وأسئلة من المجموعة، واستطيع أن

اقول عن لسان كل من سألته انه استفاد مثلي الشيء الكثير فجزاهما الله عنا خير الجزاء، ونفع بعلمها البلاد والعباد، وبكل تأكيد الشكر والعرفان لصاحب الفضل معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان الذي استطاع بشخصيته المتواضعة والمحبوبة جمعنا معا.

إن كل مسلم يذهب إلى البقاع الطاهرة، لا يمكنه الا ان يقف إجلالاً وتكبيراً لعظمة الخالق سبحانه وتعالى، الذي تقف بين يديه هذه الأعداد الهائلة من المسلمين من كل جنس ولون ومن كل انحاء العالم، وبعضهم من قارات بعيدة، ومنهم من لا يملك الا قوت يومه، ويدخر منذ زمن من أجل فريضة الحج، ومنهم من يتحمل عناء السفر وهو مشلول الحركة مرفوع على الأكتاف، أو يعاني من إعاقة أو من تجاوز عمر الكهولة، ويسافر آلاف الأميال، وكله ايمان بواجب أداء الفريضة، وحباً في التقرب إلى الله، واغلبهم لا يبالي بالتعب أو بمشكلات الخدمات اليومية هناك، بقدر ما هم مؤمنون بأن طاعة الله هي السبيل إلى الراحة، وبكل تأكيد نحن أكثر نعمة ممن سبقونا، فاجدادنا كانوا يأتون للحج على الجمال والبغال، أو سيراً على الأقدام، وقد كانت الرحلة تستغرق أشهراً يتعرضون خلالها للجوع والعطش والمرض.

أما الآن فالتطور والتقدم التكنولوجي، سهلا متاعب السفر فأغلب الحجاج يستقلون الطائرة للوصول إلى هناك والراحة المتوفرة الآن في الأجواء تكاد تنسيهم مدة الرحلة وعناءها وتعبها التي عانى منها أجدادنا، مع أن هناك آلافاً من الحجاج لا يزالون يستقلون الباخرة أو السيارة، إلا أنهم كما قلت أحسن حظاً ممن سبقوهم.

لقد كنت دائماً أسمع من حجاج كثيرين عن المشاكل اليومية التي

يواجهونها أثناء أدائهم الفريضة، وعن قلة الخدمات المتوفرة هناك، وفي الحقيقة إن من يريد أداء الفريضة يجب أن يتوقع المتاعب وليس المهم أن تكون الخدمات بأعلى المستويات، فالمسؤولون في مكة المكرمة وفي المدينة لم يألوا جهداً لتوفير كل سبل الراحة الممكنة وتفادي بعض النواقص.

وبشهادة بعض الحجاج فإن كل عام تضاف خدمات جديدة لتلبية طلباتهم، إلا أن ارضاء ملايين من الحجاج والذين وصل عددهم في هذه السنة إلى حوالي مليونين وسبعمئة ألف أمر صعب، فكل إنسان يختلف عن الآخر بطباعه وعاداته اليومية وأسلوب حياته، لذا فالمسؤولية في وجود أي تقصير مشتركة بين الطرفين، لكن ماذا عن المستقبل؟

فكما نعلم أن عدد المسلمين في العالم حالياً حوالي مليار ومئتي مليون مسلم، ولو فرضنا أن نسبة 20٪ في استطاعتهم حج بيت الله الحرام سنوياً، فهل بالإمكان السماح لمئتي مليون مسلم بالحج وكيفية استيعاب هذا العدد؟

نتمنى ذلك والله في عون المسلمين وفي عون المسؤولين في المملكة العربية السعودية ،وبالذات المسؤولون في مكة المكرمة والمدينة المنورة

الفهرس

أوراق محلية 5

- محمد بن راشد.. المبادرة والقرار
- مبادرة لامتلاك العلم وتنمية المعرفة
- «دبي العطاء» قدوة للآخرين
- التعليم والمسؤوليات الكبيرة
- زيارتان مهمتان في توقيت استثنائي

أوراق عربية 25

- مبادرة تقود الوطن إلى النهضة
- هل علينا أن نستعد للأسوأ؟
- في زمن الضعف العربي
- أوباما وأحلام الشعوب العربية
- الاستبداد هو السبب
- الشعوب المناضلة هي صاحبة القرار
- تساؤلات حول أحوال الأمة
- صعود الدول الغنية على حساب الفقيرة
- العرب وعادات الحيوانات المفترسة
- العرب.. حالة واحدة وأسباب متعددة
- خطوة من أجل تحطيم قيود التخلف
- صفقة الموانئ الأميركية
- غزة أزمة الإنسانية كلها
- في مثل هذا اليوم .. كان العرب
- عطاء بلا حدود لآل مكتوم في إفريقيا والعالم

أوراق سياسية

79

- عفواً سيد غيتس
- قد نكون ضعفاء لكننا لسنا أغبياء
- قدر الجيران
- متى يبزغ فجر العرب؟
- نوايا أميركا وتراجع مصداقيتها
- روسيا تعلمت الدرس وأميركا غرقت في الوحل
- إدارة بوش والإرث السيئ
- العرب.. بين الضعف والاستضعاف
- الأزمة المالية والمسؤولية الأميركية
- الإصلاح والديمقراطية من أجل استغلال الشعوب
- التطاول غربي.. والتقصير عربي
- الخبز أم الديمقراطية ؟
- المعركة بين الخير والشر
- النووي الإيراني والإسرائيلي والعرب
- أميركا والعرب.. علاقات شدّ وجذب
- بإرادتنا يفرّقون بيننا
- حلم مع إيقاف التنفيذ
- خطط الفتنة لإشعال المنطقة
- رحلة مع الانتخابات الأميركية
- صعود الدول الغنية على حساب الفقيرة
- عندما يفشل الآخرون وتنجح قطر

أوراق سياحية

157

- اللي يشرب من النيل لازم يرجع له تاني
- أسبوعان في أم الدنيا

- الهند.. بلد المتناقضات والتنوُّع
- تحولات الزمن في حياة الشعوب والأمم
- اسطنبول.. إرث تاريخي وأوهام عربية
- القرن الآسيوي (1)
- القرن الآسيوي (1)
- المغرب بلد العجائب
- رحلة إلى بريطانيا
- روما المدينة المتحف
- عروس البحر ومدينة «إيفان الرهيب»

أوراق رياضية 199

- كرة القدم لعبة السياسة
- زيارة ناجحة للدوحة
- قراءة في أحداث «خليجي 19»
- الرياضة والاستثمار الاقتصادي

أوراق ملونة 217

- متى تتحرر عقولنا لنواكب عصر العولمة ؟
- محاربة الفساد بين الدول المتقدمة والنامية
- مشاكلنا وإعلامنا
- نحن والآخر.. التقصير الذاتي أولاً!
- تلفزيونات الماضي وفضائيات الحاضر
- نقاش عن العرب والإسلام
- الدولة والعولمة والاستعمار الجديد
- رؤساء سابقون.. مواطنون عاديون
- أزمة النشر في العالم العربي

- الديمقراطية وكذبة أبريل
- العالم الثالث بين الاستبداد والاستعمار
- القراءة والأمية الثقافية العربية
- النجاح.. بين ضرورات التغيير والخوف من المجهول
- رحلة الحج بين الماضي والحاضر